اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

جهود ابن أبي الحديد النحوية في شرح نهج البلاغة

رسالة تقدّم بها الطالب :
عبد الواحد خلف وساك آل عجيل

إلى مجلس كلية الآداب / جامعة البصرة ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

إشراف
الدكتور جمهور كريم الخماس

١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م

الإهداء

إلى التوأم الذي تحدى الحصار

حسنين و حوراء

أهدي هذا الجهد المتواضع

الباحث

محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
التمهيد	٤
الفصل الأول : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد مصادره وموضوعاته	١٠
مصادر الكتاب	١٣
١ ـ الشواهد	١٣
٢ ـ الكتب	١٩
٣ ـ الشيوخ	٢٢
موضوعات الكتاب	٢٥
١ ـ اللغة	٢٥
٢ ـ القراءات واللهجات	٣٢
٣ ـ النقد والبلاغة	٣٥
٤ ـ الموضوعات الكلامية	٣٩
٥ ـ التاريخ والأنساب والتراجم	٤٠
٦ ـ الموضوعات الدينية	٤٢
٧ ـ نبذ من الأقوال الحكيمة في الأغراض المختلفة	٤٢
٨ ـ الخطب والرسائل	٤٣
٩ ـ الموضوعات العامة	٤٣
أهمية الكتاب	٤٤
الفصل الثاني : مصادره ومنهجه في النحو	٤٦
مصادره في النحو وتشمل :	٤٧
١ ـ القرآن الكريم وقراءاته	٤٧
٢ ـ الشعر العربي	٥٠
٣ ـ الحديث النبويّ وكلام الصحابة	٥٣
٤ ـ الأمثال وأقوال العرب	٥٤
منهجه في النحو	٥٧
١ ـ موقفه من السماع	٥٧
٢ ـ موقفه من القياس	٦٠
٣ ـ المصطلح النحوي لديه	٦٧
٤ ـ الردّ على العلماء	٧٤
الفصل الثالث : جهوده النحوية	٧٩
أولا : الأسماء وتشمل	
١ـ الأسماء المبنية	٧٩
٢ـ الأسماء المعربة وتقسم إلى قسمين :	
القسم الأول ويشمل :	

أ ـ المرفوعات	٨١
ب ـ المنصوبات	٨٩
ج ـ المجرور بالإضافة	١٠٥
القسم الثاني ويشمل	
الممنوع من الصرف	١٠٦
مسائل أُخر في الاسم	١٠٧
التوابع	١٠٨
ثانيا : الأفعال	١١٣
الأفعال اللازمة والمتعدية	١١٣
الأفعال المبنية للمجهول	١١٤
كان وأخواتها	١١٥
أسماء الأفعال	١١٧
ثالثا : الحروف	١٢٠
الأحرف المشبهة بالفعل	١٢٠
(لا) النافية للجنس	١٢٢
المشبهات بـ(ليس)	١٢٣
حروف الجرّ	١٢٥
حروف العطف	١٣١
حروف أُخر	١٣٢
توجيهاته الإعرابية	١٣٦
الخاتمة	١٣٨
ملحق بتوجيهاته الإعرابية	١٤٤
المصادر والمراجع	١٤٨

المُقَدِّمَـــــة

المقدمـــة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن أصحابه الغرّ الميامين .

لم يعرف الناس ابن أبي الحديد كاتبا وشاعرا وعالما بلاغيا إلا من خلال كتابه الذائع الصيت (شرح نهج البلاغة) ؛ إذ حوى هذا الكتاب من كنوز المعرفة والعلوم الشيء الكثير فضلا عن مؤلفاته الأخرى التي جاوزت العشرين مؤلفا غير أني وجدته في هذا الكتاب قويّ الحجة واسع الإطلاع في عرضه المادة النحوية ، فجهدت أن أخرجه للناس عالما نحويا لتوفره على هذا العلم مع ما حاز من مواهب وعلوم أخرى ، ومما أثار اهتمامي أنه يطلق الآراء النحوية الكوفية دون أن يصرح بها في عصر غلب فيه النحو البصري وسيطر على المدارس النظامية والمشايخ فشرعتُ ـ بعد التوكل على الله واستشارة ذوي الخبرة والاختصاص ـ بإخراج المادة النحوية من شرحه للنهج فوجدتها مادة جديرة بالاهتمام و صالحة للدراسة .

ومما يذكر أنّ هناك كثيرا من العلماء ممن شرحوا نهج البلاغة لم ترقَ شروحهم هذا السفر النفيس ، ولم يولوا النحو عناية مثيرة للاهتمام كعنايته به مع ما للنحو من وظيفة كبيرة في توجيه المعنى المراد ، وكانت لأحدهم ممن سبقه إلى ذلك آراء نحوية إلا أنه غلّطه فيها مما يعرب عن فضل وتمكن صاحبنا من هذه الصناعة ، وعلى الرغم من أنّ كتابه الوحيد في النحو (الحواشي على المفصل) ما زال مفقودا فلعل تعليقاته على بعض المسائل النحوية في شرحه للنهج تغني عن هذا الكتاب المفقود ، وتثبت في الوقت نفسه أنّ له ثقافة نحوية دالة على سعة اطلاعه ووقوفه على دقائق هذا العلم وما فيه من مذاهب نحوية مختلفة غير أنّ نشاطه النحوي لم يقتصر على هذا وحده بل تعداه إلى ما يعرض لنا آراء مستقلة في النحو لعله تفرّد بها ، فضلا عن أنّ بعض شرّاح نهج البلاغة أو ممن ألف فيه قد صرحوا بأنّ شروحهم عالة على شرحه ، وما عرضوه من آراء نحوية ولغوية هي تكرار لما سبقهم إليه مما يؤكّد تأثرهم به ، فكان الدافع الأساسي في اختيار هذا الموضوع هو تعريف الناس برجل له معرفة واسعة بعلم النحو ، فإن كنتُ قد سددتُ بذلك رغبة الراغبين في إحياء واحد من العارفين بهذا العلم فذلك ما رغبتُ به مع أني بذلتُ ما في وسعي وغاية جهدي على ذلك .

ولعل من أكثر الصعوبات التي واجهتني في هذه الرسالة هي إخراج المادة النحوية المتناثرة في شرح النهج بأجزائه العشرين مع النصّ المناسب لها من خطب ورسائل وأقوال الإمام علي(ع) لأنّ ابن أبي الحديد كثيرا ما يعالج المفردة من حيث الإعراب دون أن يذكرها في سياق جملة تامة وهذا الأمر يتطلب مني دقة وصبرا في تمحيص تلك المادة تمحيصا دقيقا لفرز المسائل النحوية ووضعها في مكانها المناسب لها في أبواب النحو .

وقد اعتمدتُ في هذه الدراسة على طائفة من الكتب منها كتب النحو ومطولاته مثل : كتاب سيبويه ، ومعاني القرآن للفراء ، ومقتضب المبرد ، ومجالس ثعلب ، وأصول ابن السراج ومفصل الزمخشري وشرحه لابن يعيش ، وكتب إعراب القرآن مثل إعراب ابن النحاس والبيان لابن الأنباري ، والتبيان للعكبري ، والبحر المحيط لابن حيان النحوي ، وغيرها من الكتب النحوية واللغوية .

وفي ضوء ذلك كان قوام هذه الرسالة تمهيدا وثلاثة فصول وخاتمة ، تناولت في التمهيد سيرة ابن أبي الحديد وآثاره بشكل موجز فشمل اسمه ولقبه وولادته وشيئا عن نشأته وثقافته وشيوخه وتلاميذه وآثاره النثرية والشعرية ووفاته .

أما الفصل الأول فقد استعرضتُ فيه مصادره في شرح نهج البلاغة ، وأولها :الشواهد وهي القرآن الكريم والشعر العربي والحديث النبوي الشريف والأمثال ، وثانيها :الكتب التي اعتمدها ونقل منها نصوصا ، وثالثها ما تلقاه من شيوخه من معلومات استفاد منها في شرحه ، كما استعرضتُ الموضوعات الأساسية في هذا الكتاب وهي : اللغة بفروعها ، واللهجات والقراءات

والنقد والبلاغة ، وعلم الكلام ، والتاريخ ، والموضوعات الدينية ، والموضوعات العامة وأثبتت هذه المصادر والموضوعات أنّ للكتاب أهميةً كبيرة في تراثنا الخالد وموسوعة ثقافية وكنزا من كنوز المعرفة .

أما الفصل الثاني فقد تركز على مبحثين أولهما : مصادره في الاستشهاد النحوي وهي القرآن الكريم وقراءاته ، والشعر العربي ، والحديث النبوي ، وأقوال الصحابة ، والأمثال ، وثانيهما : منهجه في النحو وشمل موقفه من السماع ، والقياس ، والمصطلح النحوي لديه ، وردوده على العلماء . أما الفصل الثالث فكان معقودا لعرض جهوده النحوية وما فيها من آراء نحوية عامة أو مسائل خلافية مع تحديد موقفه من المسألة إذا كانت بصرية أو كوفية ، وما تفرّد به من آراء وقد قسمتُ المادة النحوية على ثلاثة أقسام : الأسماء والأفعال والحروف .

أولا : الأسماء بنوعيها المبنية والمعربة وقسمتُ المعربة على قسمين : الأول شمل الأسماء المرفوعة والمنصوبة والمجرور بالإضافة ، والثاني : شمل الممنوع من الصرف ، ومسائل أخرى في الاسم ، والتوابع .

ثانيا : الأفعال ومنها الأفعال اللازمة والمتعدية ، والأفعال المبنية للمجهول ، وكان وأخواتها وأسماء الأفعال .

ثالثا : الحروف وشمل الأحرف المشبهة بالفعل ، و (لا) النافية للجنس ، والمشبهات بـ(ليس) وحروف العطف ، وحروف الجرّ ، وحروف متفرقة أخرى .

ثمّ ذكرتُ بعضا من توجيهاته الإعرابية ، ثمّ ألحقتُ ما تبقى منها ـ وهي الأكثر ـ في ملحق ثبت في نهاية الرسالة .

أما الخاتمة فقد ذكرتُ فيها أبرز نتائج البحث .

وختاما كان لزاما عليّ أن أشكر أستاذي المفضال د . جمهور كريم الخماس المشرف على هذه الرسالة لما أبداه لي من توجيهات سديدة كان لها الأثر الكبير في خلوصها مما علق بها من هنات فجزاه الله عني خير جزاء ، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية لما أمدوني به من معلومات علمية أسهمت في إغناء بحثي ، والامتنان والعرفان إلى كل مَن مدّ يد العون في إعداد بحثي ، والله من وراء القصد وله الحمد والشكر .

التمهيـد

ابن أبـي الحديد سيرتـه وآثاره

ـ اسمه ونسبه .
ـ ولادته ونشأته وثقافته .
ـ شيوخه
ـ تلاميذه .
ـ آثاره النثرية .
ـ آثاره الشعرية .
ـ وفاته .

التمهيد : ابن أبي الحديد سيرته وآثاره

اسمه ونسبه :

هو أبو حامد عزّ الدين عبد الحميد بن أبي الحسين هبة الله بهاء الدين بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني .

ولادته ونشأته وثقافته :

ذكر أغلب المؤرخين أنّ ولادته في المدائن ، وأجمعوا على أنّ مولده سنة ست وثمانين وخمسمائة للهجرة[١] .

قضى أيام صباه في المدائن وتلقى من شيوخها ، ودرس المذاهب الكلامية فيها فمال إلى الاعتزال ، ثمّ ارتحل إلى بغداد حاضرة الخلافة وموطن العلماء ، والتحق بالمدرسة النظامية[٢] .فقرأ الكتب واستزاد في العلم وأوغل في البحث واختلط بالعلماء من أصحاب المذاهب ، ثمّ جنح إلى الاعتزال وأصبح معتزلا جاحظيا في أكثر شرحه للنهج ، وفي بغداد نال الحظوة عند الخلفاء العباسيين ومنهم : الناصر لدين الله (٦٢٢ هـ) ، والظاهر بأمر الله (٦٢٣ هـ) ، والمستنصر بالله (٦٤٠ هـ) ، والمستعصم بالله (٦٥٦ هـ)[٣] ، فكان كاتبا في دار التشريفات ، ثمّ كاتبا في المخزن سنة ٦٢٩ هـ ، وعُيّن كاتبا في ديوان الخلافة ٦٣٠ هـ ، ومشرفا لولاية الحلة سنة ٦٤٢ هـ ، ثمّ ناظرا في البيمارستان العضدي ، وتولى الإشراف على خزائن الكتب في بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، وكان حظيا عند الوزير ابن العلقمي لما بينهم من المناسبة والمقاربة والمشابهة في الأدب والفضيلة[٤] .

وعلى الرغم من كونه معتزليا إلا أنه كان عالما حرّ التفكير سمحا في عقيدته منصفا غاية الإنصاف في المحاكمة بين المذاهب الشائعة في عصره وقبل عصره ، وعدم تعصبه لمذهب بعينه[٥] .

وكان ملما واسع الإلمام بعلوم كثيرة منها اللغة ، والفقه ، والنقد والبلاغة ، والتاريخ والأنساب وعلم الكلام ، وسنتحدث عن هذه العلوم في الفصل الآتي حصرا في كتابه (شرح نهج البلاغة).

شيوخه :

لقد تتلمذ ابن أبي الحديد على شيوخ بمختلف العلوم والفنون ، وأكبر الظنّ أنّ أول مَن تتلمذ عليه هو والده ، وهذه أسماء شيوخه الذين تلقى العلم منهم بشكل مباشر ، أي الذين عاصرهم وأخذ عنهم :

١ ـ والده بهاء الدين أبو الحسين هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني :

وُلد سنة ٥٣٠ هـ وتفقه في بغداد على مذهب الإمام الشافعي ، ثمّ صار من شيوخ الأدب والحديث النبوي في بغداد ، وكان أحد العدول في المدائن ، وولي القضاء والخطبة فيها مدة طويلة حتى نعتوه بالخطيب البغدادي ، توفي سنة ٦١٣ هـ[٦] .

٢ ـ أبو جعفر يحيى بن أبي طالب محمد بن محمد بن أبي زيد الحسيني البصري :

كانت صلة ابن أبي الحديد بشيخه هذا وثيقة ؛ فقد ذكره مرات عديدة في شرحه للنهج ، ووصفه بكونه منصفا بعيدا عن الهوى والعصبية[٧] . وُلد سنة ٥٤٨ هـ سمع الحديث من أبيه ، وحدّث في بغداد ، وكان شيخا أديبا فاضلا عالما بفنون كثيرة ولا سيما علم الأنساب وأسام العرب وأشعارها يحفظ كثيرا منها ، ولي نقابة الطالبيين بالبصرة بعد أبيه مدة ، توفي سنة ٦١٣ هـ[٨] .

٣ ـ أبو الخير مصدق بن شبيب بن الحسين الصالحي النحوي :

---

(١) ينظر وفيات الأعيان ٥ / ٣٩١ ، وفوات الوفيات ٢ / ٢٥٩ ، وعيون التواريخ ٢٠ / ١١٢ ، والبداية والنهاية ١٣ / ٢٠٠ .

(٢) ينظر شرح النهج ١٤ / ٢٨٠ .

(٣) ينظر شرح النهج ١ / ١٤ ـ ١٥ (مقدمة المحقق) ، والعذيق النضيد / ٨٠ ـ ٨٢ .

(٤) ينظر البداية والنهاية ١٣ / ٢٠٠ ، وشرح النهج ١ / ١٥ (مقدمة المحقق) ، والسابق ١٦ / ١٠٩ وابن أبي الحديد سيرته وآثاره (رسالة ماجستير) / ١٠٨ .

(٥) ينظر روضات الجنات ٥ / ٢٠ ، وابن أبي الحديد سيرته وآثاره / ١٠٣ .

(٦) ينظر التكملة لوفيات النقلة ٤ / ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

(٧) ينظر مثلا شرح النهج ٧ / ١٧٤ ، و٩ / ٣٤٨ ، و١٤ / ١٩٠ ، ١٥ / ٦ ، ١٨٤ .

(٨) ينظر التكملة ٤ / ٢٤١ ـ ٢٤٢ ، والبداية والنهاية ١٣ / ٧٤ .

ذكره ابن أبي الحديد بأنه حدّثه سنة ٦٠٣ هـ [١] ، وفي موضع آخر قرأ عليه غزوة الخندق[٢] .
وُلد في واسط سنة ٥٣٥ هـ ، قرأ القرآن والنحو على أبي الحسين صدقة الواعظ فيها ، وقدم بغداد فقرأ الأدب والنحو والحديث على ابن الخشاب وعلى أبي الغنائم حبشي بن محمد الضرير ، وأبي محمد إسماعيل بن موهوب بن الجواليقي ، وأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن العطار ، وأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، وحدّث ببغداد وتخرج به جماعة من أهل الأدب توفي سنة ٦٠٥ هـ[٣] .

٤ ـ أبو حفص عمر بن أبي بكر عبد الله بن أبي السعادات البغدادي الدباس :

ذكره ابن أبي الحديد بقوله : ((قال أستاذي عمر بن عبد الله الدباس، وكنت أحضر معه سماع الحديث))[٤] ، قرأ طرفا من الأدب وسمع شيئا من الحديث ، وتولى إشراف دار الكتب النظامية العتيقة بالمدرسة النظامية ، توفي سنة ٦٠١ هـ[٥] .

٥ ـ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي :

ذكره ابن أبي الحديد بقوله : ((أجاز لي الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ...))[٦]
وُلد سنة ٥١٠ هـ ينتمي إلى قريش من تيم ، وُصف بالشيخ الحافظ الواعظ الحنبلي أحد أفراد العلماء الذين برزوا في علوم كثيرة ، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحو (٣٠٠) مصنف في العلوم من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه واللغة والنحو أخذ اللغة عن أبي منصور الجواليقي ، توفي سنة ٥٩٧ هـ[٧] .
وفي تلمذة صاحبنا على هذا الشيخ شكّ ؛ إذ أنه توفي شيخه وعمره (١١) سنة ، فيكون قد تتلمذ عليه قبل هذا العمر ، فلعل إجازة الشيوخ للصبيان بالرواية عنهم كأخذ أهل اللغة من العربي الذي يحتج بقوله ، ولم يشترطوا فيه البلوغ فأخذوا عن الصبيان[٨] .

٦ ـ أبو القاسم الحسين بن عبد الله العكبري :

ذكره ابن أبي الحديد بقوله : ((أنشدني سيخنا أبو القاسم الحسين بن عبد الله العكبري))[٩]، بينما يرى د . إحسان عباس نقلا عن ابن الشعار الموصلي أنّ ابن أبي الحديد تأدب على الشيخ أبي البقاء العكبري[١٠]، وقد رجح أحد الباحثين أنّ المقصود بـ(أبي القاسم الحسين بن عبد الله العكبري) هو (أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري) ؛ لأنّ الأخير توفي سنة ٦١٦ هـ وابن أبي الحديد قد قارب الثلاثين من عمره[١١]، فيكون قد عاصره وأخذ منه شيئا من النحو ؛ إذ أنه صرح في أحدى المسائل النحوية بقوله : ((قال الشيخ أبو البقاء العكبري ...))[١٢]، ولم نعثر على ترجمة أبي القاسم الحسين بن عبد الله العكبري ، ولا نظنّ أنه والد أبي البقاء العكبري لذا نرجح أنه تتلمذ لأبي البقاء العكبري .
وهو محب الدين أبو البقاء العكبري البغدادي النحوي الضرير الحنبلي ، وُلد سنة ٥٣٨ هـ أصله من عكبرا ، صاحب كتاب (التبيان في إعراب القرآن) ، وكتاب (اللباب في النحو) ، وله حواشي على المقامات ، ومفصل الزمخشري ، وديوان المتنبي ، قرأ العربية على يحيى بن نجاح وابن الخشاب حتى حاز قصب السبق ، وصار فيها من الرؤساء المتقدمين ، وقصده الناس من الأقطار ، وأقرأ النحو واللغة توفي سنة ٦١٦ هـ[١٣] .

---

(١) شرح النهج ١ / ٢٠٥ .
(٢) السابق ١٩ / ٦٤ .
(٣) ينظر التكملة ٣ / ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ، وبغية الوعاة ٢ / ٢٧٨ .
(٤) شرح النهج ١٥ / ١٠١ .
(٥) التكملة ٣ / ١٠١ .
(٦) شرح النهج ١٢ / ٢٨٥ .
(٧) ينظر التكملة ٢ / ٢٩١ ـ ٢٩٤ ، والبداية والنهاية ١٣ / ٢٨ ـ ٢٩ ، وروضات الجنات ٥ / ٣٥
(٨) ينظر المزهر ١ / ١٤٠ .
(٩) شرح النهج ٥ / ١٧٠ .
(١٠) ينظر فوات الوفيات ٢ / ٢٥٩ (الهامش)
(١١) ابن أبي الحديد سيرته وآثاره / ١٦١ ـ ١٦٢ .
(١٢) شرح النهج ١٠ / ٦٩ .
(١٣) ينظر البداية والنهاية ١٣ / ٨٥ ، وبغية الوعاة ٢ / ٣٩ ، وروضات الجنات ٥ / ١٣٠ .

٧ ـ ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن سكينة البغدادي :
ذكره ابن أبي الحديد بقوله : ((سألتُ شيخي عبد الوهاب ...))[١] ، وُلد سنة ٥١٩ هـ ، سمع الحديث الكثير وأسمعه في بلاد شتى ، وكان صاحبا لأبي الفرج بن الجوزي ملازما لمجلسه ، توفي سنة ٦٠٧ هـ [٢] .
٨ ـ فخر الدين أبو محمد إسماعيل بن علي البغدادي :
ذكره ابن أبي الحديد بقوله : ((كان مقدم الحنابلة من بغداد في الفقه والخلاف ويشتغل بشيء من علم المنطق ، وكان حلو العبارة رأيته وحضرتُ عنده وسمعتُ كلامه))[٣] .
وُلد سنة ٥٤٩ هـ وكان يُعرف بالأزجي وبالمأموني وبغلام ابن المُنّي ؛ لأنه تفقه على الشيخ أبي الفتح بن فتيان بن المُنّي ، وحدّث ودرس في مسجد شيخه بالمأمونية ، وكانت له معرفة حسنة بالفقه والجدل ، وتكلّم في مسائل الخلاف ، وله تعليقة فيه ، وكان يلي النظر في قرايا الخليفة ثمّ عزله ، فلزم بيته فقيرا حتى توفي سنة ٦١٠ هـ[٤] .
٩ ـ شمس الدين فخار بن معد بن فخار الموسوي الحائري :
ذكره ابن أبي الحديد بقوله : ((حضرتُ عند محمد بن معد العلوي الموسوي الفقيه في داره بدرب الدواب سنة ثمان وستمائة ...))[٥] ، وفي موضع آخر قال : ((حدثني فخار بن معد الموسوي ...))[٦] ، وذكر بعض المؤرخين أنّ شمس الدين فخار بن معد الموسوي كان عالما فاضلا وأديبا يروي عنه ابن أبي الحديد ، ويروي عنه السيخ أبو الفرج الجوزي المشهور له كتب منها (الرد على الذاهب إلى تكفير أبي طالب) توفي سنة ٦٣٠ هـ[٧] ، وقد حكى ابن أبي الحديد حكاية مع إستاذه فخار بن معد دون أن يصرح باسمه ، وكنى عنه ببعض الطالبيين إذ قال : ((صنّف بعض الطالبيين كتابا في إسلام أبي طالب ، وبعثه إليّ وسألني أن أكتب عليه بخطي ـ نظما أو نثرا ـ أشهد بصحة ذلك ...))[٨] .
١٠ ـ أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعاني :
ذكره ابن أبي الحديد بأنه اشتغل عليه بعلم الكلام ووصفه بشديد الاعتزال[٩] ، وذكر أحد المؤرخين بأنه أحد الأعيان من الحنفية ببغداد سمع الحديث ودرس بجامع السلطان ، وكان معتزليا في الأصل بارعا في الفروع اشتغل على أبيه وعمه ، وأتقن الخلاف والمناظرة وقارب التسعين توفي سنة ٦٠٦ هـ[١٠] .
١١ـ أبو محمد قريش بن السبيع بن المهنا العلوي المدني :
روى عنه ابن أبي الحديد كتاب فضائل الإمام علي لابن حنبل الشيباني[١١] ، وُلد في المدينة المنورة سنة ٥٤١ هـ ، وقيل سنة ٥٤٠ هـ ، وقيل سنة ٥٣٩ هـ ، وقدم بغداد في صباه وسكنها إلى حين وفاته ، وطلب الحديث وسمع الكثير ، وقرأ على الشيوخ وكتب بخطه كثيرا وحصل ، سمع من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد وابن زرعه ظاهر بن محمد بن ظاهر المقدسي وأبي محمد عبد الله بن أحمد الخشاب ، وجماعة سواهم من المتأخرين ، توفي سنة ٦٢٠ هـ[١٢] .
١٢ ـ أبو عبد الله محب الدين محمد بن محمد بن الحسن بن النجار : ذكره ابن أبي الحديد بقوله : ((سألتُ ابن النجار المحدث عن معركة أحد ...))[١٣] ، وُلد في بغداد سنة ٥٧٨ هـ ، مؤرخ

---

(١) شرح النهج ١٤ / ٢٥١ ، ١٥ / ١٠١ .
(٢) ينظر البداية والنهاية ١٣ / ٦١ .
(٣) شرح النهج ٩ / ٣٠٧ .
(٤) ينظر التكملة ٤ / ٦٠ ـ ٦١ ، والبداية والنهاية ١٣ / ٦٥ .
(٥) شرح النهج ١٥ / ٢٣ .
(٦) السابق ١ / ٤٣ .
(٧) ينظر روضات الجنات ٥ / ٣٤٦ ـ ٣٤٩ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ٥٥ .
(٨) شرح النهج ١٤ / ٨٣ ، وينظر العذيق النضيد / ٧٨ .
(٩) السابق ٩ / ١٩٢ .
(١٠) ينظر البداية والنهاية ١٣ / ٥٣ .
(١١) شرح النهج ١٥ / ٢٣ .
(١٢) ينظر التكملة ٥ / ١٦٦ .
(١٣) شرح النهج ١٥ / ٢٨ .

وحافظ للحديث وأديب ونحوي وشاعر ، ومقريء مجود للقرآن ، سمع من ذاكر بن كامل ، وأبي الفرج بن الجوزي ، وقرأ القرآن بالروايات السبع على أبي أحمد بن سكينة ، وُصف بكثرة الترحال إذ استمرت رحلاته (٢٧) سنة ، من تصانيفه : تاريخ بغداد ذيل له على تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، والكمال في معرفة الرجال ، والدرة الثمينة في أخبار المدينة توفي سنة ٦٤٣ هـ[١] .

١٣ ـ أبو العباس أحمد بن جعفر بن محمد الواسطي :

ذكره ابن أبي الحديد بأنه بحث موضوع المفاضلة بين علي وأخيه جعفر مع الشيخ أحمد بن جعفر الواسطي الذي تحدث عن رأي المذاهب كلها ... [٢] ، وُصف بأنه أديب له نظم ونثر عارف بالأخبار والسير من مؤلفاته شرح قصيدة لأبي العلاء المعري في ثلاثة مجلدات ، توفي سنة ٦٢١ هـ [٣] .

تلاميـذه :

أخذ عنه العلم طائفة من العلماء أذكر منهم :

١ ـ أبو طالب تاج الدين علي بن أنجب بن عثمان بن الساعي :

وُلد عام ٥٣٩ هـ في بغداد ، مؤرخ من كبار المصنفين في التاريخ ولغوي ومفسر وفقيه ومحدث وكان خازن كتب المستنصرية ، من تصانيفه (الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير) يقع في (٢٥٩ مجلدا رتّبه على السنين وبلغ فيه آخر سنة ٦٥٦ هـ ، وله (أخبار الخلفاء) و (تاريخ الشعراء) ، و(أخبار الخوارج) ، و(أخبار قضاة بغداد) ، و (ذيل تاريخ بغداد) و (شرح مقامات الحريري) ، وهو من شراح (نهج البلاغة) ، توفي في بغداد عام ٦٧٤ هـ [٤].

٢ ـ أبو محمد شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن شرف الدين الدمياطي :

هو راوية ابن أبي الحديد ، وُلد بدمياط سنة ٦١٣ هـ ، وتنقل في لبلاد ، وارتحل إلى العراق مرتين ، وصنف وحدّث ، وأملى في حياة كبار مشايخه ، من كتبه (معجم) ضمن أسماء شيوخه وهم نحو ألف وثلاثمائة ، و(المختصر في سيرة سيد البشر) توفي سنة ٧٠٥ هـ[٥] .

٣ ـ أبو المظفر سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي :

من علماء القرن السابع الهجري ، محدّث وفقيه أصولي ، من آثاره : مجموعة الفتاوى[٦] .

آثــاره :

١ ـ آثاره النثرية :

لقد ألّف ابن أبي الحديد الكثير م الكتب بختلف العلوم والفنون ذكر ذلك المؤرخون والباحثون ، وبعضها ذكرها بنفسه في شرحه للنهج ، وهذه أهم مؤلفاته :

١ـ الاعتبار على كتاب الذريعة في أصول الشريعة للشريف المرتضى[٧] .

٢ـ ألف كلمة للإمام علي(عليه السلام) ألحقها في آخر جزء من شرح النهج[٨] .

٣ـ انتقاد المستصفى في الفقه للغزالي[٩] .

٤ـ تعليقات على المحصل في علم الأصول للفخر الرازي[١٠] .

٥ـ تعليقات على المحصول في أصول الفقه للفخر الرازي[١١] .

---

(١) ينظر الأعلام ٧ / ٣٠٧ ، ومعجم المؤلفبين ١١ / ٣١٧ .
(٢) شرح النهج ١١ / ١١٩ .
(٣) ينظر معجم المؤلفين ١ / ١٨٣ .
(٤) ينظر البداية والنهاية ١٣ / ٢٠ ، والأعلام ٥ / ٧١ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ٤١ ، ومصادر نهج البلاغة وأسانيده ١ / ٢٧١ .
(٥) ينظر فوات الوفيات ٢ / ٤٠٩ ـ ٤١٠ ، والأعلام ٤ / ٣١٨ .
(٦) ينظر معجم المؤلفين ١٢ / ٣١٩ .
(٧) ينظر روضات الجنات ٥ / ٢٢ ، وشح النهج ١ / ٢٩٠ ، و١٦ / ٢٤٧ ، و ٢٠ / ٣٤ .
(٨) شرح النهج ٢٠ / ٢٥١ .
(٩) السابق ١ / ١٨ (مقدمة المحقق) .
(١٠) ينظر فوات الوفيات ٢ / ٢٥٩ ، وروضات الجنات ٥ / ٢٢ .
(١١) ينظر روضات الجنات ٥ / ٢٢ ، و معجم المؤلفين ٥ / ١٠٦ .

٦ ـ حل سيفيات المتنبي وهي مدائح المتنبي في سيف الدولة [١] .
٧ ـ الحواشي على المفصل في النحو للزمخشري [٢] .
٨ ـ رسالة في التعزية بعثها إلى بعض أصدقائه [٣] .
٩ ـ رسالة في اللذة والألم على مذهب الفلاسفة [٤] . ١٠ ـ زيادات النقضين [٥] .
١١ ـ شرح كتاب (الآيات البينات) للفخر الرازي [٦] .
١٢ ـ شرح مشكلات غرر الأدلة في علم الكلام لأبي الحسن بن علي بن الطيب المعتزلي [٧] .
١٣ ـ شرح نهج البلاغة [٨] . ١٤ ـ شرح (الياقوت) في علم الكلام والتاريخ والأدب [٩] .
١٥ ـ العبقري الحسان في الكلام والتاريخ والأدب [١٠] .
١٦ ـ الفلك الدائر على المثل السائر لابن الأثير الشيباني [١١] .
١٧ ـ مقالات الشيعة [١٢] . ١٨ـ مناقضة السفيانية للجاحظ [١٣] .
١٩ ـ الوشاح الذهبي في العلم الأبي [١٤] .
٢ ـ آثاره الشعرية :
١ ـ أرجوزة قي شرع عقيدة المعتزلة [١٥] .
٢ ـ ديوانه : كان لابن أبي الحديد ديوان مشهور بين الناس ذكره بعض المؤرخين [١٦] ، وروى بعضا من أشعاره في شرح النهج [١٧] .
٣ ـ القصائد السبع العلويات : وهي سبع قصائد في مدح الإمام علي (ع) نظمها سنة ٦١١ هـ [١٨] .
٤ ـ المستنصريات : وهي خمس عشرة قصيدة طويلة في مدح المستنصر بالله [١٩] .
٥ ـ نظم فصيح ثعلب [٢٠] .
وفاته :
اختلفت المصادر في سنة وفاته اختلافا يسيرا ؛ إذ ذكرت بعض المصادر أنه توفي سنة ٦٥٥هـ [٢١] وذكرت الأخرى أنه توفي سنة ٦٥٦ هـ [٢٢] أي بعد سقوط بغداد ، والأرجح سنة ٦٥٦ هـ وذلك لأنه رثى أخاه موفق الدين أبا المعالي الذي ذكره أغلب المؤرخين بأنه توفي سنة ٦٥٦ هـ [٢٣] ، كما أنّ له قصيدة في رثاء الوزير ابن العلقمي الذي مات بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ [٢٤] ، فلا بدّ أن يكون قد مات بعدهما .

---

(١) ينظر العذيق النضيد / ٨٥ .
(٢) ينظر الروضة المختارة / ١٦٦ ، و وشرح النهج ١ / ١٨ (مقدمة المحقق) .
(٣) ينظر شرح النهج ١٨ / ٢٠٩ .
(٤) السابق ٥ / ١٦٤ .
(٥) السابق ١ / ٦١ .
(٦) ينظر العذيق النضيد / ٨٧ .
(٧) ينظر روضات الجنات ٥ / ٢٢ ، وشرح النهج ١ / ١٦٩ ، و ٥ / ١٧١ .
(٨) ينظر فوات الوفيات ٢ / ٢٥٩ ، وعيون التواريخ ٢٠ / ١٤٤ ، والبداية والنهاية ١٣ / ٢٠ ، وروضات الجنات ٥ / ١٠٦ .
(٩) ينظر روضات الجنات ٥ / ٢٢ .
(١٠) ينظر السابق ٥ / ٢٢ ، والفلك الدائر ٨٤ ، و٩٠ ، وشرح النهج ٤ / ٨٧ ، و ١٩٣ .
(١١) ينظر وفيات الأعيان ٥ / ٣٩١ ، وفوات الوفيات ٢ / ٢٥٩ ، وعيون التواريخ ٢٠ / ١١٤ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٦٠ .
(١٢) ينظر شرح النهج ٨ / ١٢٢ .
(١٣) السابق ١٠ / ١٠١ .
(١٤) السابق ١ / ١٩ (مقدمة المحقق) .
(١٥) السابق ١١ / ١٢٠ .
(١٦) ينظر فوات الوفيات ٢ / ٢٥٩ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٠٦ .
(١٧) ينظر شرح النهج ٢ / ١٩٢ .
(١٨) ينظر روضات الجنات ٥ / ٢٠ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٠٦ ، والقصائد السبع العلويات / ٣ ، والروضة المختارة / ١٦٦ .
(١٩) ينظر شرح النهج ١ / ١٩ (مقدمة المحقق) ، والعذيق النضيد / ١٠٠ .
(٢٠) ينظر فوات الوفيات ٢ / ٢٥٩ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٠٦ .
(٢١) ينظر وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٢ ، وفوات الوفيات ٢ / ٢٥٩ ، وعيون التواريخ ٢٠ / ١١٢ ، والبداية والنهاية ١٣ / ١٩٩ .
(٢٢) ينظر شرح النهج ١ / ١٦ ـ ١٧ (مقدمة المحقق) ، والروضة المختارة / ١٦٧ ، وابن أبي الحديد سيرته وآثاره / ٧٧ .
(٢٣) ينظر وفيات الأعيان ٥ / ٣٩٢ ، وعيون التواريخ ٢٠ / ١٦٣ .
(٢٤) ينظر تشريح شرح نهج البلاغة / ٥٠٤ ، والعذيق النضيد / ١٦٦ .

الفصل الأول

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

مصادره وموضوعاته

الفصل الأول : مصادر الكتاب وموضوعاته

نهج البلاغة : كتاب يحتوي على جملة ما اختاره الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب ومواعظ وأدب ورسائل ووصايا وأقوال قصيرة وحكم بليغة كما يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنياوية وفيض من آيات التوحيد الإلهية تتسع به دراسة كل مشتغل بالعقائد وأصول التألية وحكمة التوحيد[١].

وقد ذكر الشريف الرضي سبب تسميته بهذا الاسم ؛ لأنه كان يفتح للناظر فيه أبوابها ويقرّب عليه طلابها ، وفيه حاجة العالم والمتعلم وبغيبة البليغ والزاهد[٢] وذكر آخرون أنه ليس هناك أليق بالدلالة على معناه منه[٣] ، أو هو أحق ديوان بهذه التسمية بين الكتب العربية[٤] .

لقد حظي هذا الكتاب بالعناية الفائقة من العلماء والفضلاء ممن تصدر لشرحه ، فقد أُحصي له مائة شرح وشرح منها ثلاثة عشر شرحا سبقت ابن أبي الحديد[٥] على حين أشار إلى أنه لم يسبقه أحد إلى ذلك غير السيد سعيد بن هبة الله بن الحسن الفقيه المعروف بالقطب الراوندي في كتابه (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة)[٦] ، ولعل أقدم شروح هذا الكتاب وأولها هو (إعلام نهج البلاغة) للسيد العلامة علي بن ناصر السرخسي المعاصر للشريف[٧] ، ولكن أكبر هذه الشروح وأطولها وأشملها بالعلوم والآداب والمعارف هو شرح عزّ الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني[٨] ؛ إذ شرح نهج البلاغة في عشرين جزءا .

أما مدة تصنيفه هذا الكتاب فيوضحها ابن أبي الحديد بقوله : ((تمّ تصنيفه في مدة قدرها أربع سنين وثمانية أشهر، وأولها غرة شهر رجب في سنة أربع وأربعين وستمائة ، وآخر سلخ صفر من سنة تسع وأربعين وستمائة ، وهو مقدار خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . عليه السلام .))[٩] .

أما سبب تأليفه هذا الكتاب فقد جاء بأمر الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد العلقمي الذي كان من المهتمين بشرح نهج البلاغة أيام الخليفة المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس ، فكان ابن

---

(١) ينظر شرح النهج ١ / ٤٤ (مقدمة الشريف الرضي) ، ونهج البلاغة ١ / ١٠ (مقدمة محمد عبده) ، ومع نهج البلاغة / ٥ ، وعبقرية الإمام علي للعقاد / ١٩٤ .
(٢) ينظر شرح النهج ١ / ٣٥ ، و نهج البلاغة ١ / ٢٢ (مقدمة الرضي) .
(٣) ينظر نهج البلاغة ١ / ١٠ (مقدمة محمد عبده) .
(٤) ينظر عبقرية الإمام علي / ١٩٨ .
(٥) ينظر مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١ / ٢٠٢ ـ ٢٥٤ .
(٦) شرح النهج ١ / ٥ (مقدمة ابن أبي الحديد) .
(٧) ينظر مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١ / ٢٠٢ .
(٨) ينظر شرح النهج ١ / ١٠ (مقدمة المحقق) .
(٩) السابق ٢٠ / ٣٤٩ .

أبـي الحديـد ينظـر بعـين إلـى الخليفـة الشـافعي ، وبعـين إلـى الـوزير العلقمـي ، وحـاول يراعـه المحافظة على هذه المعادلة وهو يرقم شرح النهج[1] .

و ((شرع بادي الرأي شروع مختصر ، وعلى ذكر الغريب والمعنى مختصر)) ، فلما رأى أنّ هذا الشرح لا يشفي غليلا رفضه ، فـ((بسط القول في شرحه بسطا اشتمل على الغريب والمعاني وعلم البيان ، وما عساه يشتبه ويشكل من الإعراب والتصريف ، وأورد في كل موضع ما يطابقه من النظائر والأشباه نثرا ونظما ، وذكر ما يتضمنه من السير والوقائع والأحداث فصلا فصلا ، وأشار إلى ما ينطوي عليه من دقائق علم التوحيد والعدل إشارة خفيفة ، ولوّح إلى ما يستدعي الشرح ذكره من الأنساب والأمثال والنكت وتلويحات لطيفة ورصّعه من المواعظ الزهدية والزواجر الدينية والحكم النفيسة ... وأوضح ما يوحي إليه من المسائل الفقهية ... فخرج هذا الكتاب كاملا في فنه ، ممتعا في محاسنه جليلة فوائده ...))[2] .

ولما فرغ من تصنيفه أنفذه على يد أخيه موفق الدين أبي المعالي إلى ابن العلقمي فبعث إليه بمائة دينار وخلعة سنية وفرس فكتب إلى الوزير :

أيا ربّ العباد رفعتَ ضبعي وطلتَ بمنكبي وبللتَ ريقي
فأهل العدل والتوحيد أهلي ونِعَم فريقهم أبدا فريقي
وشرح النهج لم أدركه إلا بعونك بعد مجهدة وضيق
فتمّ بحسن عونك وهو أنأى من العيّوق أو بيض الأنوق[3]

وبالرغم مما أبداه ابن أبي الحديد . في كتابه هذا . من حبّ لعلي بن أبي طالب(ع) وتفضيله إياه إلا أنّ هناك مَن تعرّضوا لرده في كتبهم مضافا إلى مّن تعرضوا لرده بحسب ما تقتضيه المقلمات في أبواب كتبهم ومنهم :

١. سلاسل الحديد وتقييد أهل التقليد لعلامة البحرين هاشم بن سليمان البحراني التوبلي المتوفى سنة ١١٠٧ م .

٢. سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد للشيخ يوسف البحراني صاحب (الحدائق الناضرة) المتوفى عام ١١٨٦هـ .

٣. الردّ على ابن أبي الحديد للشيخ علي بن الشيخ حسن البلادي البحراني المتوفى عام ١٣٤٠ م .

٤ . النقد السديد لشرح الخطبة الشقشقية لابن أبي الحديد للشيخ محمد كريم آل بزون .

---

(١) ينظر العذيق النضيد / ٦٥ .
(٢) شرح النهج ١ / ٤ ـ ٥ (مقدمة ابن أبي الحديد)
(٣) السابق ١ / ١٠ (مقدمة المحقق) .

٥ ـ سلاسل الحديد في ردّ ابن أبي الحديد لمصطفى بن محمد أمين الوعظ من علماء بغداد توفي سنة ١٣٣١ هـ .

٦. تشريح شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد لمحمود الملاح ، وهذا الكتاب مليء بالطعن على الإمام علي(ع) وجحود فضائله ، وقد رُدّ عليه بكراسة اسمها (الملاح التائه) لرياض حمزة ، و (مبضع الجراح في تشريح الملاح) للشاعر عبد الحسين موسى السماوي[١] ، ومما يعضد ذلك أنّ الملاح قد بدأ كتابه في السطر من مقدمته بالطعن على ابن أبي الحديد وما في كتابه إذ يقول : ((الكتاب المسموم الموسوم بشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ...))[٢] .

وهناك مَن لخّص شرح ابن أبي الحديد وهو فخر الدين عبد الله المؤيد بالله واسماه (العقد النضيد المستخرج من شرح ابن أبي الحديد) ، وانتخب منه الشيخ محمد قنبرعلي الكاظمي كتابا اسماه (التقاط الدرر المنتخب)[٣] .

واعتمد ابن أبي الحديد في تأليف الكتاب على جملة من المصادر يمكن إجمالها بالآتي :

١ . الشواهد . ٢ . الكتب . ٣ . الشيوخ .

١ . الشواهد وتشمل :

أ . القرآن الكريم . ب . الشعر العربي . ج . الحديث النبوي الشريف . د . الأمثال .

أ . القرآن الكريم :

يعدّ القرآن الكريم مصدرا مهما من مصادر الاستشهاد ليس لعلماء اللغة فحسب بل للعلماء كافة ؛ لأنه صورة متكاملة للغة العربية بفصاحتها وقوتها التعبيرية وطاقتها البيانية ، وفي شرح النهج لابن أبي الحديد نجد طائفة كبيرة جدا من آيات الذكر الحكيم لا يكاد يخلو جزء من أجزائه العشرين منها في أغلب المسائل النحوية واللغوية والموضوعات البلاغية والكلامية والموضوعات العامة ، ففي النحو . موضوع البحث . سأذكر شواهده القرآنية في مواضعها وفي اللغة عزّز شرحه ، أو تفسيره للمفردات الواردة في النهج بآيات قرآنية كثيرة من ذلك مثلا :

. القِدة بالدال المهملة وبكسر القاف : الطريقة ، ويقال لكل فرقة من الناس إذا كانت ذات هوى على حده : قِدة ومنه قوله تعالى : (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً)[٤] [٥] .

. الصادع : الظاهر الجلي قال تعالى : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ)[٦] ، أي اظهره ولا تخفه[٧] .

---

(١) ينظر مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١ / ٢٢١ .
(٢) تشريح شرح نهج البلاغة / ٢ .
(٣) ينظر مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١ / ٢١٩ .
(٤) الجن / ١١ .
(٥) شرح النهج ٦ / ٢٦٣ ، وينظر إعراب النحاس ٣ / ٥٢٤ .
(٦) الحجر / ٩٤ .
(٧) شرح النهج ١ / ١٣٦ ، وينظر إعراب النحاس ٢ / ٢٠٤ ، وتفسير القرطبي ١ / ٤١ .

. مدحوة : مبسوطة قال تعالى : (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)[1] ، ويجوز أن تكون مدحوة بمعنى مقذوفة مرمية يقال : دحوت الحصاة أي قذفتها ، ويقال للاعب الجوز ادح وابعد المدى[2] .

وفي البلاغة من علم المعاني الاعتراض فقد عقد فصلا واستشهد بآيات قرآنية منها قوله تعالى : (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ)[3] ، فقوله تعالى : (إنّه لقرآن كريم) هو الجواب المتلقي به قوله : (فلا أقسم) ، وقد اعترض بينهما قوله : (وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم) ، واعترض هذا الاعتراض قوله : (لو تعلمون) لأنك لو حذفته لبقي الكلام على إفادته وهو قوله : (وإنّه لقسم عظيم)[4] .

ومن علم البيان صحة التقسيم ومنه قوله تعالى : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ)[5] ، وهذه قسمة صحيحة ؛ لأنّ المكلفين : إما كافر ، أو مؤمن ، أو ذو منزلة بين المنزلتين[6] .

ومن علم البديع المقابلة كقوله تعالى : (فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً)[7] ، فالضحك ضد البكاء ، والقليل ضد الكثير[8] .

أما الموضوعات الكلامية فمنها يقال : كيف جاز للحكيم أن يقول لإبليس : (فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ)[9] إلى يوم القيامة وهذا إغراء بالقبيح ؟ والجواب عند أصحابنا . يعني المعتزلة .

قالوا إنّ الباري تعالى لم يقل لإبليس إني منظرك إلى يوم القيامة وإنما قال : (إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ)[10]، وهو عبارة عن وقت موته فلم يكن في ذلك إغراء بالقبيح[11] .

أما الموضوعات العامة فلم يترك موضوعا دون ذكر استشهاد من القرآن العزيز من ذلك مثلا الحِكَم : كان يقال : ثلاثة مَن كُنّ فيه لم يفلح في الحرب : البغي قال الله تعالى : (إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم)[12] ، والمكر السيئ قال تعالى : (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)[13] ، والنكث قال تعالى : (فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ)[14] [15] .

وذم الغيبة قال سبحانه : (وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً)[16] [17] .

---

(١) النازعات / ٣٠ .
(٢) شرح النهج ٦ / ٤٤ ، وينظر إعراب النحاس ٣ / ٦٢٢ .
(٣) الواقعة / ٧٥ ـ ٧٧ .
(٤) شرح النهج ٩ / ٤٢ ، وينظر الخصائص ١ / ٣٣٥ . .
(٥) فاطر / ٣٢ .
(٦) شرح النهج ٧ / ١٨٤ .
(٧) التوبة / ٨٢ .
(٨) شرح النهج ٢ / ١٠٣ ـ ١٠٤ ، وينظر حسن التوسل إلى صناعة الترسل / ٢٠٥ .
(٩) الحجر / ٣٧ ، و ص / ٨٠ .
(١٠) الحجر / ٣٨ ، و ص / ٨١ .
(١١) شرح النهج ١ / ١٠١ .
(١٢) يونس / ٢٣ .
(١٣) فاطر / ٤٣ .
(١٤) الفتح / ١٠ .
(١٥) شرح النهج ١٥ / ٩٧ .
(١) الحجرات / ١٢ .
(٢) شرح النهج ٩ / ٦٠ .

وقد ربط ابن أبي الحديد بين كلام الإمام علي(ع) والقرآن الكريم من خلال شرحه ليثبت حقيقة مدى تأثير القرآن بثقافة الإمام وفصاحته من ذلك مثلا :

ـ قول الإمام علي : ((كُن سمحا ولا تكن مبذرا ، وكُن مُقدّرا ولا تكن مُقتّرا)) مأخوذ من قوله تعالى : (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً)[٢١] .

. وقول الإمام : ((لا كرم كالتقوى ...)) مأخوذ من قوله تعالى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[٣] [٤].

ولأهمية القرآن المجيد عند ابن أبي الحديد فقد عقد فصلا عنه ذاكرا الآثار التي وردت بفضله ، وعدّ هذا الفصل من أحسن ما ورد في تعظيم القرآن وإجلاله على الرغم مما قال الناس وأكثروا فيه ، ثمّ ذكر طائفة من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة وأخبار متفرقة عن أهمية وفضل القرآن[٥] .

ب . الشعر العربي :

للشواهد الشعرية أهمية كبيرة عند علماء اللغة ؛ وذلك لأنّ الشعر ديوان العرب حتى أنهم جعلوه أعلى أنواع كلامهم بعد القرآن الكريم والحديث النبوي ، وقد روي عن عبد الله بن عباس أنه قال : ((إذا أشكل عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنّ الشعر ديوان العرب))[٦] .

لقد امتلأ شرح ابن أبي الحديد أشعارا كثيرة لشعراء عاشوا في عصور مختلفة ، فمن عصر ما قبل الإسلام ذكر أشعارا لامرئ القيس وطرفة بن العبد والنابغة وزهير بن أبي سلمى وأعشى قيس ولبيد بن ربيعة وعدي بن زيد وأبي طالب بن عبد المطلب وغيرهم ، ومن عصر صدر الإسلام ذكر أشعارا لحسان بن ثابت والخنساء والحطيئة وكعب بن مالك الأنصاري وأبياتا متفرقة لعلي بن أبي طالب (ع) ، ومن العصر الأموي ذكر أشعارا للفرزدق وجرير و الأخطل والكميت بن زيد الأسدي وكُثير عزة وذي الرمة وغيرهم ، ومن العصر العباسي الأول ذكر أشعارا لأبي تمام والبحتري وأبي العتاهية وبشار بن برد وأبي نؤاس وابن الرومي ، ومن العصر العباسي الثاني أكثر الشعراء ورودا هم أبو الطيب المتنبي والشريف الرضي وأبو العلاء المعري ، فضلا عن أبيات وبعض القصائد لابن أبي الحديد نفسه ناهيك عن البيت أو البيتين أو الثلاثة لشعراء كثيرين أو ممن قالوا شعرا وهم ليسوا شعراء مشهورين .

أما الموضوعات التي استشهد بها بالشعر فكثيرة ومتباينة ومنها : النحو وسأذكر شواهده في مواضعها ومنها : علّق على قول الإمام : ((إليك عني يا دنيا ... أين القرون الذين غررتِهم

---

(٣) الإسراء / ٢٩ .
(٤) شرح النهج ١٨ / ١٥ .
(٥) الحجرات ١٣ .
(٦) شرح النهج ١٨ / ٢٧٦ .
(٧) ينظر شرح النهج ١٠ / ٢٠ ـ ٢٤ .
(٨) العمدة في محاسن الشعر ونقده / ٢١٢ .

... أين الأمم الذين فتنتِهم ...)) بقوله : ((قيل : إنّ النسخة التي بخط الرضي (غررتِهم) بالياء وكذلك (فتنتِهم) ... والأحسن حذف الياء فإذا كانت الرواية بها فهي من إشباع الكسرة كقوله :

أ لم يأتيك والأنباء تنمي بما فعلت لبون بني زياد[1]

وفي شرحه وتفسيره لمعنى المفردات أو التراكيب اللغوية ومن ذلك مثلا :

. ما أبلى : ما أعطى يقال : قد أبلاه الله بلاء حسنا أي أعطاه قال زهير :

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو[2] .

ومن موضوعات علم المعاني الاعتراض ومما جاء في الشعر قول كُثير :

ولو أنّ الباخلين . وأنت منه . رأوك تعلموا منك المطالا[3]

ومن الموضوعات العامة الأشعار الواردة في ذم الدنيا ، وفي الزهد لأبي نؤاس ، وذكر الدنيا وتقلبها للشريف الرضي ، وقصيدة ابن أبي الحديد (٣٨) بيتا التي مطلعها :

ما أقل اعتبارنا بالزمان وأشد اغترارنا بالأماني[4]

وفي التأسي قالت الخنساء :

ولولا كثرة الباكين حولي على أخوانهم لقتلتُ نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي[5]

وروى لنا مجلس علي بن أبي طالب وتفضيل علي(ع) لامرئ القيس عندما سُئل عن أشعر الشعراء فقال : الملك الضليل ، ثمّ ذكر لنا اختلاف العلماء في تفضيل بعض الشعراء على بعض[6] .

وقد حاول ابن أبي الحديد ربط كلام الإمام علي(ع) بما قيل من الشعر من حيث التشابه في المعنى ، أو إنّ هذا الشاعر أخذ معنى كلام الإمام ونظمه شعرا ، من ذلك مثلا قول الإمام : ((لا تظننّ بكلمة خرجت من أحد سوءا وأنت تجد لها في الخير محتملا قال الشاعر :

إذا ما أتت من صاحب لك زلةٌ فكن أنت محتالا لزلته عُذرا[7]

واختار ابن أبي الحديد طائفة من الأشعار في أغراض مختلفة منها : الاعتضاد بالعشيرة[8] ، والحسد وذمّ الحساد[9] ، والصبر[10] ، وإباء الضيم[11] ، والجُبن[1] ، والدهر وتصرفاته[2] ، والشيب

---

(١) شرح النهج ١٦ / ٢٣٩ ، وينظر الكتاب ٣ / ٣١٦ .
(٢) المصدر نفسه ٨ / ٢٦٨ ، وينظر لسان العرب (بلا) ١٤ / ٨٤ .
(٣) نفسه ٩ / ٤٣ ، وينظر الخصائص ١ / ٣٣٠ .
(٤) ينظر نفسه ١١ / ٢٥٩ ـ ٢٦٤ .
(٥) نفسه ١١ / ٢٣١ ، وينظر الخصائص ١ / ١٧٤ ـ ١٧٥ .
(٦) ينظر نفسه ٢٠ / ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .
(١) ينظر شرح النهج ١٩ / ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .
(٢) ينظر المصدر نفسه ١ / ٣٢٦ ـ ٣٢٨ .
(٢) ينظر نفسه ١ / ٣١٥ ـ ٣١٩ .
(٤) ينظر نفسه ١ / ٣١٩ ـ ٣٢٥ .
(٥) ينظر نفسه ٣ / ٢٦٤ ـ ٢٦٧ .

والخضاب[٣] ... وغيرها ، وبالجملة أنّ ما ذكره من أشعار سواء أكانت شواهدَ لموضوعات لغوية أو غيرها تدلّ على ذوقه السليم وانتقائه الدقيق لأنها بعيدة عن الموضوعات المبتذلة كالغزل الماجن أو الخمريات .

ج . الحديث النبوي الشريف :

للحديث النبوي الشريف المنزلة الثنية بعد القرآن الكريم في تشريع الإسلام والفقه ومن حيث الفصاحة والبلاغة ، ومما لا خلاف فيه أنّ كتب المتقدمين والمتأخرين من علماء اللغة كانوا يحتجون بالحديث النبوي في تحقيق اللفظ اللغوي والتوثق من صدقه من ذلك كتب المعجمات ابتداء من كتاب العين[٤] ، أما من حيث الاستشهاد النحوي فلم نجد في كتب النحاة إلا ما جاء عرضا أو نادرا لا ينهض دليلا على أنهم رجعوا إليه، أو استدلوا به إلا ما كان من ابن مالك (٦٧٢هـ) الذي أكثر من الاستشهاد بالأحاديث النبوية في كتبه[٥] ، وفي شرح النهج نجد طائفة كبيرة من الأحاديث النبوية في موضوعات متنوعة منها النحو وسأذكر شواهده في مواضعها وفي معاني المفردات من ذلك مثلا :

ـ اغباش الفتنة : ظلمها الواحدة غبش ، وأغباش الليل : بقايا ظلمته ومنه الحديث في صلاة الصبح : ((النساء متلفعات بمروطهنّ ما يعرفن الغبش))[٦] [٧].

. استطعموكم القتال : كلمة مجازية ومعناها : طلبوا القتال منكم ، وفي الحديث ((إذا استطعمكم الإمام فاطعموه)) يعني إمام الصلاة أي إذا ارتج فاستفتحكم فافتحوا عليه ، وتقول : فلان يستطعمني الحديث أي يستدعيه مني ويطلبه[٨] .

ومن موضوعات علم البيان الكناية ، فمن الألفاظ التي جاءت عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) من

باب الكناية قوله : ((بُعثتُ إلى الأسود والأحمر))[٩] يريد العرب والعجم فكنى عن العرب بالسود والعجم بالحمر ، والعرب تسمي العجمي أحمر لأنّ الشقرة تغلب عليه[١٠] .

ومن الموضوعات العامة الغيبة قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله أخوانا))[١١] [١] ، وذمّ الرياء والشهرة قال الرسول (ص) : ((مَن راءى راءى الله به ، ومَن سمّع سمّع الله به))[٢] [٣] .

---

(٦) ينظر نفسه ٦ / ١٠٤ ـ ١٠٧ .
(٧) ينظر نفسه ١٦ / ٥٥ ـ ٥٦ .
(٨) ينظر نفسه ١٨ / ١٢٣ ـ ١٢٦ .
(٩) الحديث النبوي وأثره في الدراسات اللغوية / ٣١٤ .
(١٠) مدرسة البصرة النحوية / ٢٥٦ .
(١١) المسند ٢ / ٩٢ .
(١٢) شرح النهج ١ / ٢٨٤ ، وينظر أساس البلاغة (غبش) ٤٤٥ .
(١٣) المصدر نفسه ٣ / ٤٤ ، وينظر (طعم) في أساس البلاغة / ٣٩٠ ، ولسان العرب ١٢ / ٣٦٦ .
(١) المسند ٢ / ٤٢١ .
(٢) ينظر شرح النهج ٥ / ٥٤ .
(٣) المسند ١ / ٦ .

وذكر ابن أبي الحديد أحاديثَ كثيرة في فضل الإمام علي(ع)[٤] ، والخليفة عمر بن الخطاب[٥] .

د . الأمثال :

بقال : هذا مِثله ومَثَله كما يُقال : شِبهه وشَبهه بمعنى ، والمماثلة لا تكون إلا في شيئين متفقين ، والمَثل : الشبه ، وهو الشيء الذي يُضرب لشيء مثلا فيجعل مِثله ، ومَثل الشيء أيضا صفته[٦] ، وهي من أجل الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله لقلة ألفاظها وكثرة معانيها[٧] .

والاحتجاج بالأمثال عند علماء اللغة قليل إذا ما قورن بالقرآن الكريم والشعر العربي إلا أننا نجد طائفة لا بأس بها من الأمثال في شرح ابن أبي الحديد استشهد بها في موضوعات مختلفة ومنها النحو وسأذكر شواهده في مواضعها .

وفي الصرف بناء (أفعل) من الرباعي كما جاء ما أعطاه ، وما أولاه للمعروف ، وأنت أكرم لي من زيد أي أشد إكراما ، وهذا المكان أقفر من غيره أي أشد إقفارا وفي المثل : ((أفلس من ابن المذلق))[٨] [٩] .

وفي شرح معاني الكلمات أُستشهِد به نحو :

. عازّه : أي غالبه ، وعزّه أي غلبه ، وفي المثل : ((مَن عَزّ بزّ))[١٠]،أي مَن غلب سلب[١١]

ـ ترغو : تصّوت صوت البعير ، والرغاء : صوت ذات الخفّ ، وفي المثل : ((كفى برغائها مُناديا))[١٢] ، أي أنّ رغاء بعير الضيف يقوم ومقام ندائه للضيافة والقِرى[١٣] .

ومن الموضوعات العامة : مدح الأناة وذمّ العجلة ، ومن أمثالهم : ((ربّ عجلة تهب ريثا))[١٤] [١٥]، وذكر أمثالا لها وجه شبه مع كلام الإمام علي(ع) منها قوله : ((العفاف زينة الفقر...)) من أمثالهم : ((تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها))[١٦] [١٧].

ووصف ابن أبي الحديد كلاما للإمام علي جاريا مجرى المثل ، وهو في الحقيقة من الأمثال التي ذكرها أبو هلال العسكري والميداني في كتابيهما منها :

. قد أضاء الصبح لذي عينين[١] .

---

(٤) ينظر شرح النهج ٩ / ٦٠ .
(٥) المسند ٢ / ٣٤٢ .
(٦) ينظر شرح النهج ٢ / ١٧٩ .
(٧) ينظر المصدر نفسه ٩ / ١٦٦ ـ ١٧٤ .
(٨) ينظر نفسه ١٢ / ١٧٧ ـ ١٨٢ .
(٩) لسان العرب (مثل) ١١ / ٦١٠ ـ ٦١١ .
(١٠) جمهرة الأمثال ١ / ٤ ـ ٥ (مقدمة المؤلف) .
(١١) جمهرة الأمثال ٢ / ١٠٧ ، و مجمع الأمثال ٢ / ٨٣ .
(١٢) شرح النهج ٧ / ٢٥٤ ، وينظر الكتاب ٤ / ٩٨ ـ ٩٩ .
(١٣) الكامل ١ / ٨٧ ، و جمهرة الأمثال ٢ / ٢٨٨ ، ومجمع الأمثال ٢ / ٣٠٧ .
(١٤) شرح النهج ٦ / ٣٩٦ ، وينظر أساس البلاغة (عزز) / ٤١٨.
(١٥) جمهرة الأمثال ٢ / ١٥١ ، ومجمع الأمثال ٢ / ١٤٢ .
(١٦) شرح النهج ٦ / ٤٣٩ ، وينظر أساس البلاغة (رغو) / ٢٤٠ .
(١) الكامل ١ / ١٢٠ ، وجمهرة الأمثال ١ / ٤٨٢ ، ومجمع الأمثال ١ / ٢٩٤ .
(٢) ينظر شرح النهج ٧ / ٨٧ .
(٣) جمهرة الأمثال ١ / ٢٦١ ، ومجمع الأمثال ١ / ١٢٢ .
(٤) ينظر شرح النهج ١٨ / ٢١٣ .

. مَن أكثر أهجر[٢] .

. عند الصباح يحمد القوم السرى [٣].

. ترك الذنب أهون من طلب التوبة [٤].

. هيهات ، لقد حنّ قدح ليس منها [٥].

٢ . الكتب :

يعدّ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد موسوعة كبيرة تضم كتبا كثيرة اعتمدها في شرحه وفي تعليقه ، ونقده ، وذكر الحوادث التاريخية ، والأنساب والسير والتراجم ، فهو يضم أجزاء من كتب مطبوعة في الوقت الحاضر كما يضم أجزاء من كتب لم يبق لها أثر ، وهو من هذه الناحية أشبه بمتحفٍ لكتب قديمة مفقودة ، فمن ذلك كتاب (التاج) لابن الراوندي ، وكتاب (العباسية) للجاحظ ، و (الموفقيات) للزبير بن بكار ، وكتاب (السقيفة) لأحمد بن عزيز الجوهري ، و كتاب (وقعة الجمل) لأبي مخنف ، وكتاب (الغارات) لقدامة بن جعفر وهذا الأخير ما تبقى منه في شرح ابن أبي الحديد أكثر من غير من المصادر الأخرى [٦].

لقد حاول الباحثون إحصاء الكتب التي اعتمدها ابن أبي الحديد في شرحه فأخرج د . صفاء خلوصي (٨٥) مصدرا من مصادره لـ(٦٠) مؤلفا[٧]، وأشار د . مصطفى جواد إلى (١٩) مصدرا من مصادره في مجلده الرابع فقط[٨]، وذكر أيضا (١٣٦) مصدرا دون أن يشير إلى أنّ هذه كل مصادر شرح النهج أو بعضها[٩]، واستعرض د . أحمد الربيعي مصادر ابن أبي الحديد من الكتب والمخطوطات والرسائل حيث بلغت (٢٢٣) مصدرا لـ(١٤٣) مؤلفا [١٠] و أشار في فذلكة كتابه (العذيق النضيد) بأنه ليس على يقين[١١] ، وذلك لأنّ شرح ابن أبي الحديد من المطولات ويحتاج إلى صبر وتأنٍ لمعرفة مصادره ، وأحصيت مصادره فظهر أنّ الربيعي على حق إذ فاته أن يذكر مؤلفات ابن أبي الحديد نفسه التي ذكرها في شرح النهج وهي تعدّ أيضا من مصادره في الشرح لأنه اعتمدها وقد بلغت (١١) كتابا ، وبهذا يكون مجموع المصادر من الكتب التي اعتمدها في الشرح (٢٣٤) كتابا لـ(١٤٤) مؤلفا ، وأغلبها قد صرح

---

(٥) شرح النهج ١٨ / ٣٩٥ ، وجمهرة الأمثال ٢ / ١٢٦ .
(٦) السابق ١٦ / ١٩ ، وجمهرة الأمثال ١ / ٢٩٤ ، ومجمع الأمثال ٢ / ٢٩٧ .
(٧) السابق ٩ / ٢٣٤ ، والسابق ٢ /٤٢ ، والسابق ٢ /٣ .
(٨) السابق ١٨ / ٣٩٦ ، والسابق ٢ / ٤٢ ، والسابق ١ / ١٢٢ .
(٩) السابق ١٥ / ١٩١ ، والسابق ١ / ٣٧٠ ، والسابق ١ / ١٩١ .
(١٠) ينظر مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١ / ٢١٥ .
(١١) ينظر مصادر شرح نهج البلاغة ، مجلة المجمع العراقي مج ٩ لسنة ١٩٦١ / ٣٤٠ ـ ٣٤٨ .
(١٢) ينظر عبد الحميد بن أبي الحديد ، مجلة المعرفة ، السنة الثانية ، العدد ٢٩ آذار ١٩٦٢ / ٤ ـ ٦ ، ٣٤ .
(١٣) ينظر بعض مستندات عبد الحميد بن أبي الحديد ، مجلة لغة العرب مج ٩ ، ١٩٣١ / ٥٤٣ ـ ٥٤٦ .
(١) ينظر العذيق النضيد / ١٢٧ ـ ٢٦١ .
(٢) السابق / ٥ ..

بأسمائها وأسماء مؤلفيها ، وبعضها صرح بأسماء الكتب دون مؤلفيها[1] ، أو باسم المؤلف مشيرا إلى ((بعض كتبه))[2] أو ((مما رأيته بخطه))[3] ، فضلا عن ذكره آراء بعض العلماء دون الإشارة إلى كتبهم أو كتب أخرى نقلت آراءهم من هؤلاء : الخليل ، وسيبويه والكسائي ، ومؤرج السدوسي ، والفراء ، والاخفش ، وأبو عبيد ، والمبرد ، وابن كيسان وابن درستويه ، وأبو البقاء العكبري ، وهذا مما يجعلنا ألا نجزم بأنّ العدد الذي ذكرناه هو كل مصادر ابن أبي الحديد من الكتب ، ويمكن تصنيف هذه الكتب التي أخذ منها نصا أحيانا وبتصرف أحيانا أخرى وفق ما يأتي :

أ . كتب اللغة ومنها :

العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ، وغريب الحديث لأبي عبيد قاسم بن سلام ، وغريب الحديث لأبي محمد مسلم بن قتيبة ، وآمالي ثعلب[4] ، والأمالي لأبي بكر الانباري ، والصحاح للجوهري ، والمجمل لابن فارس ، والجمع بين الغريبين لأبي عبيد الهروي .

ب . كتب الأدب والشعر ومنها :

الأدب الكبير لابن المقفع ، وديوان الحماسة لأبي تمام ، وطبقات الشعراء لمحمد بن سلام والبيان والتبيين للجاحظ ، والكامل للمبرد ، والأغاني لأبي فرج الأصفهاني ، وصناعة الشعر للغانمي ، والمثل السائر لابن الأثير الجزري .

ج . كتب التاريخ والأنساب والسير ومنها :

السقيفة لسليم بن قيس الهلالي ، و وقعة الجمل لأبي مخنف الأزدي ، والشورى لعوانة الكلبي الضرير ، وتاريخ الواقدي ، والأنساب لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، وكتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقري ، وصفين للمدائني ، والتاريخ الكبير للبخاري ، وأنساب قريش للزبير بن بكار وأنساب الأشراف لأحمد بن يحيى البلاذري ، والغارات لإبراهيم بن محمد بن هلال الثقفي وتاريخ الرسل والملوك للطبري الآملي ، ومروج الذهب للمسعودي ، ومقاتل الطالبيين لأبي فرج الأصفهاني ، وجمهرة الأنساب لهشام بن محمد الكلبي ، وحلية الأولياء لأبي نعيم الحافظ وعيون التواريخ لغرس النعمة الصابي الحراني ، وأخبار عمر وسيرته لأبي الفرج الجوزي .

د . الكتب الكلامية ومنها :

السفيانية للجاحظ ، ونقض كتاب العثمانية لأبي جعفر الإسكافي ، والمقالات لأبي القاسم البلخي ، وزيج الصفائح للخازن الصغاني ، والمغني للقاضي عبدالجبار الهمداني ، والشافي

---

(٣) ينظر مثلا شرح النهج ٩ / ١٧١ ، و ١٠ / ١٧١ ، ١٢ / ١٠١ .
(٤) ينظر مثلا السابق ١ / ٢٥ ، و ١١ / ١٤١ ، ١٩ / ٣٢٦ .
(٥) ينظر مثلا السابق ١ / ٢٦٥ ، و ١٠ / ٩٧ ، و ١٩ / ٢٥١ .
(٦) مطبوع حاليا باسم (مجالس ثعلب) .

للشريف المرتضى ، والتصفح لأبي الحسن محمد بن علي المعتزلي ، ومناقضة السفيانية لابن أبي الحديد .

هـ الكتب الدينية والفقهية ومنها :

التوراة ، والإنجيل ، والقرآن الكريم ، وصحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وتفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي ، ودلائل النبوة للبيهقي ، والكشاف للزمخشري .

و . كتب أخرى ومنها :

الحيوان للجاحظ ، والإشارات لأبي علي بن سينا ، وإحياء علوم الدين للغزالي ، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للقطب الراوندي[1] .

أمّا كتب النحو فلم يصرح بأسمائها بل نقل لنا آراء النحاة معزوة لهم . كما ذكرتُ سابقا . وأحيانا ينقل نصوصا من كتبهم دون أن يشير إلى اسم الكتاب أو مؤلفه ، وقد عرفتُ بعضها عند مطابقتي لهذه النصوص مع تلك الكتب مثل الكتاب لسيبويه ، والمقتضب للمبرد ، وسرّ صناعة الإعراب لابن جني ، والمفصل للزمخشري .

وهذا الجم الغزير من الكتب التي اعتمدها في شرحه . والتي كانت متوافرة في أيامه قبل كارثة التتر . يدلّ على سعة اطلاعه وثقافته ، وولعه الشديد بالقراءة والتزود بالمعلومات فضلا عن نهجه الروائي التصويري في كتاباته مما يجعلها ممتعة غاية الإمتاع[2]، وبعيدة عن السأم والملل والجفاف وذلك لانتقاله من موضوع لآخر حتى أنه لم يعتمد في نقله للوقائع أو الحوادث التاريخية على كتاب واحد بل كتب كثيرة تتحدث عن الواقعة نفسها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر أخبار الخوارج ينقلها لنا من بطون كتب وروايات كثيرة ، فبدأ في كتاب صفين للواقدي قال : ... ، وكتاب صفين للمدائني قال : ... ، وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ قال : ... ، وروى ابن ديزيل في كتاب صفين قال : ... ، وذكر أبو الهلال العسكري في كتاب الأوائل قال : ... ، وذكر المدائني في كتاب الخوارج قال :... وذكر أبو العباس المبرد في الكامل قال : ... ، وروى أبو عبيدة معمر بن المثنى قال : ...

وروى محمد بن حبيب قال : ... [3] .

هذا التنويع في نقل الأخبار يعدّ من باب التوثيق ، ويجعلها موثوقة وبعيدة عن الشك والطعن فضلا عن إعطاء الموضوع حفه الوافي بتفاصيل واسعة ، وهذا ما يفعله الباحثون في الوقت الحاضر إذ أنهم يعمدون إلى تعزيز بحوثهم بمصادر كثيرة للغرض نفسه ، ليس هذا فحسب بل أنه يذكر رجال السند في نقله الوقائع التاريخية فمثلا : روى أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز

---

(١) لمعرفة مواضع هذه الكتب ينظر فهارس المحقق شرح النهج ٢١ / ٢٥١ .
(٢) ينظر مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١ / ٢٥١ .
(١) ينظر شرح النهج ١ / ٢٦٨ - ٢٨٣ .

الجوهري في كتاب السقيفة قال : أخبرني أحمد بن إسحاق قال : حدثنا أحمد بن سيار قال : حدثنا سعيد بن كثير بن عقير الأنصاري ...[1] ، ولا يعني أنّ صاحبنا نقالة للنصوص من الكتب دون تمحيص أو رأي بل أنّ له مواقف كثيرة مبثوثة في شرح النهج يعرب فيها عن رأيه في هذا الخبر أو ذاك وكثيرا ما يستعمل كلمة (قلتُ)[2] ، أو الرواية الأولى أشهر[3] ... إلخ

٣ . الشيوخ :

لقد أخذ ابن أبي الحديد من شيوخ كثيرين وفي علوم مختلفة منهم سبقوه بمدة زمنية بعيدة وكثيرا ما يسمي المعتزلة منه بـ(شيخنا) وإن لم يعاصرهم لذا سأقتصر هنا على ما أخذه من شيوخه الذين عاصرهم وتتلمذ لهم بشكل مباشر ، ويمكن حصر المعلومات التي أخذها منهم وفق التصنيف الآتي :

أ . علم الكلام :

لقد صرح أنه اشتغل في هذا العلم على شيخه أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمغاني[4] إلا أنه سأل شيوخا غيره ، فقد سأل شيخه النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي عن الأسباب التي أوجبت محبة الناس لعلي(ع)[5] ، وعن موضوع المفاضلة بين علي وأخيه جعفر في كتاب البصائر لأبي حيان التوحيدي سأل الشيخ نفسه[6] ، كما بحث الموضوع نفسه مع الشيخ أحمد بن جعفر الواسطي الذي تحدث له عن آراء المذاهب بالموضوع مثل المعتزلة والأشعرية والزيدية والكرامية والإمامية[7] ، كما أورد ابن أبي الحديد كلاما لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة فردّ عليه شيخه أبو جعفر العلوي ذكر خلاصته[8] .

ب . ما يتعلق بكتاب نهج البلاغة :

خطب الإمام علي(ع) التي يعظم فيها رسول الله (ص) سال عنها النقيب أبا جعفر العلوي[9] وسأله أيضا عن كلام الإمام علي لبعض أصحابه وقد سأله أحدهم : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به ؟ فأجابه الإمام : ((يا أخا بني أسد ...)) ، وقد قرأ عليه هذه الخطبة فأجابه أبو جعفر بجواب طويل[10] ، وسأله أيضا عن كتاب للإمام علي(ع) إلى معاوية وهو من محاسن الكتب ((أمّا بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله ...))[11] ، وفي الخطبة الشقشقية بقول ابن أبي الحديد : ((حدثني شيخي أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطي ستة

---

(٢) ينظر السابق ٦ / ٥ .
(٣) ينظر مثلا السابق ٤ / ١٠٨ ، و ٧ / ١٤١ ، و ١٦٥ ، و ٨ / ١٧ .
(٤) ينظر السابق ٤ / ٢٧٧ .
(٥) ينظر السابق ٩ / ١٩٢ .
(٦) ينظر السابق ١٠ / ٢٢٣ ـ ٢٢٧ .
(٧) ينظر السابق ١١ / ١١٥ ـ ١١٨ .
(٨) ينظر السابق ١١ / ١١٩ .
(٩) ينظر السابق ٢٩ / ١٠ ـ ٣٤ .
(١٠) ينظر السابق ٧ / ١٧٤ .
(١) ينظر شرح النهج ٩ / ٢٤١ ، و ٢٤٨ ـ ٢٥١ .
(٢) ينظر السابق ١٥ / ١٨١ ، و ١٨٥ ـ ١٨٨ .

ثلاث وستمائة قال : قرأتُ على الشيخ أبي محمد عبدالله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة ... قال مصدق : فقلتُ لابن الخشاب : أتقول إنها منحولة ، فقال : لا والله إني لأعلم أنها كلامه كما أعلم أنك مصدق))[1] ، وفي كلام له عليه السلام : ((لله بلاد فلان فلقد قوّم الأود ...)) يقول ابن أبي الحديد : ((وفلان المكنى عنه عمر بن الخطاب ، وقد وجدتُ النسخة التي بخط الرضي أبي الحسن جامع نهج البلاغة وتحت فلان عمر حدثني بذلك فخار بن معد الموسوي الأودي الشاعر وسألتُ عنه النقيب أبا جعفر العلوي فقال لي : هو عمر))[2]

ج . الحوادث التاريخية ومنها :

تآمر قريش على الرسول(ص) عندما محصت رأيها أن يضربوه بأسياف من أيدي جماعة من بطون مختلفة سأل عنه النقيب أبا جعفر العلوي ، وقرأ عليه جمهرة الأنساب لابن الكلبي[3]

وكذلك حادثة السقيفة من كتاب السقيفة لأحمد بن عبد العزيز الجوهري[4] ، وخطبة لأبي بكر الصديق في الكتاب نفسه[5] ، ومعركة أحد سأل عنها ابن النجار المحدث[6] ، وقصة غزوة الخندق ومبارزة علي(ع) لعمر بن ود قرأها على الشيخ أبي الخير مصدق بن شبيب النحوي[7].

د . الرواية :

سأل النقيب أبا جعفر العلوي عن قصيدة لأبي القاسم علي بن الحسين المغربي الذي ينسب من الأزد ويتعصب لقحطان على عدنان و للأنصار على قريش قصيدة من شعره فيها تعصب شديد للأنصار على المهاجرين ، وكان النقيب يدافعه عنها حتى أملاها عليه وقد أورد (٢٧) بيتا ، وهذه بدايتها :

نحنُ الذينَ بنا استجارَ فلم يضع فينا وأصبحَ في أعزِّ جوارِ[8]

وأبيات لأبي تمام في محمد بن حميد الطائي سمعها من النقيب نفسه ومنها :

وقد كانَ فوتُ الموتِ سهلا فردّهُ إليه الحفاظُ المرُّ والخُلق الوعر[9]

وستة أبيات أنشده إياهن سيخه الحسين بن عبدالله العكبري ولم يسمِّ قائلها ، ووجدها فيما بعد لنابغة بني الحارث بن كعب ومنها :

إن تسألي عنّا سُمّي فإنّهُ يسمو إلى قُحمِ العُلا أدنانا[10]

---

(٣) السابق ١ / ٢٠٥ .
(٤) السابق ١٢ / ٣ ـ ٤ .
(٥) ينظر السابق ١٣ / ٣٠٢ ـ ٣٠٤ .
(٦) ينظر السابق ٢ / ٥٣ ،
(٧) ينظر السابق ١٦ / ٢١٥ ـ ٢١٦ .
(٨) ينظر السابق ١٥ / ٢٨ .
(٩) ينظر السابق ١٩ / ٦٤ .
(١٠) ينظر السابق ٦ / ١٥ ـ ١٦ .
(١) ينظر شرح النهج ٣ / ٢٤٩ .
(٢) ينظر السابق ٥ / ١٧٠ .

وعن رواية حديث اللدود رواه أبو جعفر الطبري قال : ((وردت رواية عن عائشة قالت : لددنا رسول الله (ص) في مرضه فقال : لا تلدوني فقلنا : كراهية المريض للدواء ، فلما أفاق قال : لا يبقى أحد إلا لُدّ غير العباس عمي فإنه لم يشهدكم)) سأل عنه النقيب أبا جعفر العلوي فقال : إنما هو حديث ولّده مَن ولّده تقرّبا إلى بعض الناس[1] .

هـ النحو :

لم يصرح ابن أبي الحديد بشيوخه الذين عاصرهم ، وأخذ عنهم علم النحو بل ذكر لنا آراء لعلماء النحو الذين لم يعاصروه وسبقوه بمدة زمنية طويلة مثل سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم إلا واحدا من معاصريه ورجحنا أنه تتلمذ عليه وهو أبو البقاء العكبري الذي ذكر رأيه في مسألة (لا أبا لكم) إذ قال : ((وقال الشيخ أبو البقاء العكبري : يجوز فيها وجهان : أحدهما : أنه أشبع فتحة الباء ...))[2] ، ولعله تتلمذ على الشيخ أبي الخير مصدق بن شبيب الواسطي النحوي لأنه وُصف بهذا العلم فيحتمل أنه أخذ منه بعض الآراء النحوية أو سأله عن إحدى المسائل النحوية ؛ ولأنّ أبا الخير مصدق أخذ النحو عن أبي البركات الأنباري ونقل لنا ابن أبي الحديد بعض المسائل الخلافية التي وردت في (الإنصاف) دون أن يشير إليه ، فمن المحتمل أنه سمعها من شيخه أبي الخير مصدق وهذا بدوره أخذها من صاحب (الإنصاف) .

تلك أهم المعلومات التي أخذها من شيوخه ، ويبدو لي أنّ صلة ابن أبي الحديد بشيخه النقيب أبي جعفر العلوي أكثر من شيوخه الآخرين ، فقد سأله أو سمعه أو حدثه أو قرأ عليه أكثر من تسع عشرة مرة في كتاب شرح النهج ، وهي نسبة كبيرة إذا ما قورنت بما أخذه من شيوخه الآخرين ، ومن الملاحظ على هذه المعلومات أنها يغلب عليها الموضوعات التاريخية والكلامية باستثناء رواية أشعار قليلة وحديث نبوي واحد ومسألة نحوية واحدة ، وإذا ما قورنت هذه المعلومات مع المعلومات التي أخذها من الكتب فهي قليلة جدا إذ إنّ المعلومات الكتبية متنوعة وكثيرة لا يمكن أن تتهيأ لنا مثلها في كتب أخرى مما يوحي إليّ أنّ ابن أبي الحديد وهو يسطر صفحات شرح النهج يعيش في وسط مكتبة ضخمة فيها من خزائن الكتب الكثير .

موضوعات الكتاب :

١ . اللغة وتشمل :

أ . النحو :

وهو من موضوعات الكتاب المهمة تعرض فيه إلى أغلب المسائل النحوية ، وكان يعرّف بالباب النحوي كما هو الحال في الكتب التي تخصصت في دراسة النحو ، وسنفصل القول فيه في مبحث (جهوده النحوية) .

---

(٣) السابق ١٣ / ٣٢ ، وينظر الحيث النبوي في صحيح البخاري ٩ / ٦٠٩ .
(٤) السابق ١٠ / ٦٨ ـ ٦٩ .

ب . الصرف :

جريا على عادته في شرح معاني المفردات يتناول المفردة صرفيا ، وهذه بعض المسائل الصرفية في شرح النهج :

. المصادر : يرى أنّ المصادر هي الأصول التي يقع الاشتقاق منها سواء كان المشتق فعلا أو اسما[1] ، وذكر أوزان بعضها ودلالتها من ذلك مثلا قول الإمام : ((مَوجان مياهها)) بناء (فعلان) لما فيه اضطراب وحركة كالغليان والنزوان ونحو ذلك[2] ومن الأوزان الشاذة (التِبيان) بكسر التاء لأنّ المصادر إنما تجيء على (التَفعال) بفتحها مثل التَذكار والتَكرار ولم يأتِ بالكسرة إلا حرفان هما : التِبلان والتِلقاء[3] ومن المصادر التي تدل على صوت نعيق الراعي بغنمه وهو صوته نعَق ينعِق بالكسر نَعيقا ونُعاقا أي صاح بها وزجرها[4] ، ويبدي رأيه في أحد المصادر في قول الرضي : ((... مَغرِس الفَخار المعرق ...)) إذ يقول : ((قال لي إمام من أئمة اللغة في زماننا : هو الفِخار بكسر الفاء قال : وهذا مما يغلط به الخاصة فيفتحونها وهو غير جائز ؛ لأنه مصدر (فاخر) و(فاعل) يجيء مصدره على (فِعال) بالكسر لا غير نحو : قاتلتُ قِتالا ونازلتُ نِزالا ... وعندي أنه لا يبعد أن تكون الكلمة مفتوحة الفاء ، وتكون مصدر (فَخَر) لا مصدر (فاخر) فقد جاء مصدر الثلاثي . إذا كانت عينه أو لامه حرف حلق . على فَعال بالفتح نحو سَمح سَماح))[5] .

. القلب والإبدال : من ذلك مثلا : طُوبى هي (فُعلى) من الطيب قلبوا الباء واوا للضمة قبلها ويقال : طُوبى وطُوباك بالإضافة ، وقول العامة (طُوبيك) بالياء جائزة[6] .

والقسيّ : جمع قوس وأصلها (قووس) على (فعول) كضرب وضروب إلا أنهم قدموا اللام فقالوا (قسوّ) على (فلوع) ثُم قُلبت الواو ياء وكسروا القاف كما كسروا عين (عِميّ) فصارت (قسيّ)[7] .

---

(١) شرح النهج ١ / ٦٧ ، وينظر الكتاب ١ / ٢١ .
(٢) السابق ١١ / ٥٩ ، وينظر الكتاب ٤ / ١٤ .
(٣) السابق ٦ / ٣٢٥ ، وينظر الكتاب ٤ / ٨٤ .
(٤) السابق ٧ / ٤٧ ، وينظر الكتاب ٤ / ١٤ .
(٥) السابق ١ / ٤٣ ، وينظر لسان العرب (فخر) ٥ / ٤٨ .
(١) شرح النهج ١١ / ٨٣ ، وينظر الكتاب ٤ / ٢٤١ .
(٢) السابق ١٠ / ٩٢ ـ ٩٣ ، وينظر الكتاب ٣ / ٤٦٧ .

ـ جموع التكسير : إذا كانت الكلمة جمعا يذكر مفردها وبالعكس ، وإن كان الجمع جمع تكسير يذكر وزنه وصحة مجيئه على هذا الوزن ، وأحيانا يذكر جمع الجمع وهذه بعض الأمثلة التي ذكرها من جموع التكسير :

ـ طرداء : جمع طريد : وليس جمع طريدة ؛ لأنّ (فعيلة) بالتأنيث لا تجمع على (فعلاء) وقال النحويون : إنّ قوله تعالى : (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ)[1] جاء على (خلبف) لا على (خليفة)[2] .

. سوار المرأة والجمع أسورة وجمع الجمع أساور ، وقُرئ (فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ)[3]، وقد يكون جمع أساورة قال سبحانه : (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ)[4] ، قال أبو عمرو بن العلاء : أساور هاهنا : جمع إسوار وهو السِّوار[5]

ويجوّز جمع تكسير آخر ويُبدي رأيه في الأظهر منهما مثلا :

ـ الأديم واحد والجمع أُدُم كما قالوا : أفيق للجلد الذي تتمّ دباغته وجمعه أُفُق وقد يجمع أديم على أدمّه كما قالوا : رغيف وأرغفة[6] .

. وفي قول الإمام : ((إنّ عوازم الأمور أفضلها ، وإنّ محدثاتها شرارها ...)) يقول : ((يجمع (فوعل) كدورق وهوجل ، ويجوز أن يكون (عوازم) جمع (عازمة) ويكون (فاعل) بمعنى (مفعول) أي معزوم عليها أي مقطوع بتعيين

صحتها ، والأول أظهر عندي ؛ لأنّ في مقابلة قوله : ((وإنّ محدثاتها شرارها))

والمحدث مقابله القديم[7] .

ـ ومن جموع التكسير النادرة أو الشاذة في خطبة للإمام : ((أحمده على نعمه التُّوءام ...)) يقول : ((تُوءام على (فُعال) وهي اللفظة التي وردت في الخطبة ، وهو جمع غريب لم يأتِ نظيره إلا في مواضع محددة عَرق العظم يُؤخذ منه اللحم

---

(٣) النمل / ٦٢ .
(٤) شرح النهج ١٥ / ١٦٦ ، وينظر الكتاب ٣ / ٦٢٦ .
(٥) الزخرف / ٥٣ ، وهي قراءة الحسن وقتادة ، وقرأ أهل الحرمين وأهل الكوفة (اساورة) ، وروى عن عبدالله وأُبي (أساور) ، ينظر إعراب النحاس ٣ / ٩٥ .
(٦) الكهف / ٣١ .
(٧) شرح النهج ١٣ / ١٥٣ ، وينظر إعراب النحاس ٢ / ٢٧٤ .
(٨) السابق ٣ / ٣ / ١٩٧ ، وينظر إعراب النحاس ٣ / ٧٦٨ ، والتبيان ٢ / ٦٠ .
(١) شرح النهج ٩ / ٩٤ ، وينظر الكتاب ٣ / ٦٣٢ ـ ٦٣٣ .

وعُراق ، وشاة رُبّى للحديثة الولادة وغنم رُباب ، وظئر للمرضعة غير ولدها وظُؤار، ورَخل للأنثى من أولاد الضأن ورُخال))[1] .

ـ أبواب الفعل الثلاثي : إذا كانت الكلمة فعلا ماضيا ثلاثيا يذكر بابه أحيانا مع احتمال مجيئه على باب آخر من ذلك مثلا : عنَد عن الطريق يعنُد أي عدل ، ويمكن أن يكون من عنَد يعنِد بالكسر أي خالف وردّ الحق وهو يعرفه[2] ، وشحِب الرجل بالكسر يشحَب ، وجاء شحَب بالفتح يشحُب بالضم أي هلك[3] .

. التصغير : في فول الإمام : ((يا عُديّ نفسه ...)) يوضح ابن أبي الحديد الغاية من التصغير إذ يقول : ((عُديّ تصغير عدو ، وقد يمكن أن يُراد به التحقير المحض ها هنا ، ويمكن أن يُراد به الاستعظام لعداوته لها ، ويمكن أن يخرج مخرج التحنن والشفقة كقولك : يا بُنيّ))[4] .

ج . مسائل أخرى في اللغة :

. معاني المفردات أو دلالاتها :

من أجل شرح النص وتبسطه يتطلب معالجة معنى المفردة المعجمي أولا ثمّ معناها السياقي في النصّ ، وقد ظهر علم حيث سُمّي علم الدلالة ، وهو علم دراسة المعنى[5] ، ليس معنى الكلمة في الجملة فحسب بل المعنى الأسلوبي ، وهو الدلالة التي لا تتضح من موقع الكلمة وحدها وإنما من خلال النظر إليها عامل مؤثر في الموضوع كله[6] .

ويتحدث ابن أبي الحديد عن الدلالة بقوله : ((إذا خرجت اللفظة عن أن يكون لها شركة في الدلالة على الحقيقة التي هي موضوعة لها في الأصل لم يكن ما تكلم به الإنسان إلا على ما تكلم به وهو حقيقة ، ولا دالا على ما تكلم به وهو مجاز لأنه إذا لم يدلّ على الحقيقة وهي الأصل لم يجز أن يدلّ على المجاز الذي هو الفرع ؛ لأنّ انتفاء الدلالة على الأصل يوجب انتفاء الدلالة على الفرع ؛ لأنّ اللفظ هو الدالّ على

---

(٢) السابق ١٣ / ١١٧ ، وينظر الكتاب ٣ / ٦٠٩ ، وأمالي الزجاجي / ١٢٩ .
(٣) السابق ٢ / ١٧٦ ، وينظر لسان العرب (عند) ٣ / ٣٠٧ .
(٤) السابق ٦ / ٢٦١ ـ ٢٦٢ ، وينظر الكتاب ٤/ ١٠٢ .
(٥) السابق ١١ / ٣٣ ، وينظر الكتاب ٣ / ٤٧٠ ـ ٤٧١ .
(٦) ينظر علم الدلالة جون لا ينز ، وعلم الدلالة د . أحمد مختار عمر / ١١ .
(٧) ينظر منهج التحليل اللغوي ، د . سمير ستيته ، مجلة آداب المستنصرية ع ١٦ لسنة ١٩٨٨ / ٢٤٢ .

مفهوماته وليس المفهوم دالا على اللفظ دلالة شركة في الدلالة عليه ولا على مفهوم آخر يعترض اللفظ بتقدير انتقال اللفظ اللهمّ إلا أن يكون دلالة عقلية))[1] .

ويناقش في شرحه معاني الكلمات المفردة وما فيها من زيادة أو نقصان وعلاقة ذلك بمعناها السياقي مثلا :

ـ عمّس عليهم الخبر : يجوز بالتشديد ويجوز بالتخفيف ، والتشديد يعطي الكثرة ويفيدها ، ومعناها أبهم عليه الخبر وجعله مظلما ، ليل عماس أي مظلم ، وقد عمِس الليل نفسه بالكسر إذا أظلم وعمّسه غيره ، وعمّستُ عليه عمسا إذا أريته أنك لا تعرف الأمر وأنت به عارف[2] .

وأحيانا يعزّز شرحه لمعنى الكلمة بآراء علماء اللغة ففي قول الإمام : ((حتى أورى قبس القابس ...)) يقول : ((القبس : شعلة من النار ، والمراد بالقبس هاهنا نور الحق ، والقابس الذي يطلب النار يقال : قبستُ منه نارا وأقبسني نارا أي أعطانيها ، وقال الراوندي : أقبستُ الرجل علما وقبسته نارا أعطيته ، فإن كنتَ طلبتها له قلتَ : أقبسته نارا ، وقال الكسائي : أقبسته نارا وعلما سواء قال : ويجوز قبسته بغير همزة فيهما))[3] .

. وفي مفردة أخرى يقول : ((يقال : طُلّ دم فلان فهو مطلول أي مهدر لا يطلب به ، ويجوز أطلّ دمه وطلّه الله وأطلّه أي أهدره ، ولا يقال : طلّ دم فلان بالفتح ، وأبو عبيدة والكسائي يقولانه))[4] .

ـ وتلاشى : هذه الكلمة أهمل بناءها كثير من أئمة اللغة وهي صحيحة قال ابن الإعرابي : لشا الرجل إذا أتضع وخسّ بعد رفعة ، وإذا صحّ أصلها صحّ استعمال الناس تلاشى الشيء بمعنى اضمحل[5] .

. ويبدي رأيه في دلالة مفردة في قول الإمام : ((اللهمّ داعم المسموكات ...)) أي حافظ السماوات المرفوعات ، دعمتَ الشيء إذا حفظته من الهوى بدعامة والمسموك : المرفوع قال :

---

(١) شرح النهج ٥ / ٦٧ .
(٢) السابق ٣ / ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ، وينظر (عمس) في أساس البلاغة / ٤٣٥ ، ولسان العرب ٦ / ١٤٧ .
(٣) السابق ٦ / ١٤١ ، وينظر أدب الكاتب / ٢٧٨ ، وأساس البلاغة (قبس) / ٤٨٩ .
(٤) السابق ٩ / ١٤٦ ، وينظر أساس البلاغة (طلل) / ٣٩٤ .
(١) شرح النهج ١٠ / ٨٧ ، وينظر لسان العرب (لشا) ١٥ / ٢٤٦ .

إنّ الذي سمكَ السماءَ بنى لنا بيتا دعائمُهُ أعزُّ وأطولُ

ويجوز أن يكون عنى بكونها مسموكة كونها ثخينة ، وسُمك الجسم هو البعد الذي يعبر عنه المتكلمون بالعمق ن وهو قسيم الطول والعرض[١] .

وفي بعض الأحيان يتحدثُ عن التطور الدلالي للمفردة من ذلك مثلا :

ـ التكفير : هو إسقاط عقاب مستحق بثواب أزيد منه أو توبة ، وأصله في اللغة الستر والتغطية ومنه الكافر ؛ لأنه يغطي الحق ، وسُمّي البحر كافرا لتغطيته ما تحته ، وسُمّي الفلاح كافرا لأنه يغطي الحَب في الأرض المحروثة[٢] .

ـ والإعلام : جمع علم وهو المنار يهتدي به ثمّ جُعل لكل ما دلّ على شيء فقيل لمعجزات الأنبياء أعلام لدلالتها على نبوتهم[٣] .

. الترادف :

هو انصراف لفظين أو طائفة من الألفاظ إلى معنى واحد أو مسمى واحد[٤]، من ذلك مثلا لفظة (العسل) التي يرادفها ثمانون اسما منها : الضَّرب والذّود والنسيل والشّهد والشّور ...[٥] ، ومن أمثلة المترادفات التي ذكرها ابن أبي الحديد :

. الحمد والمدح يقول : ((الذي عليه أكثر الأدباء والمتكلمين أنّ الحمد والمدح أخوان لا فرق بينهما تقول : حمدتُ زيدا على إنعامه ومدحته على إنعامه وحمدته على شجاعته ، ومدحته على شجاعته ، فهو سواء يدخلان من فعل الإنسان وفيما ليس من فعله ، فأما الشكر فأخص من المدح))[٦] .

. واليد الجذاء أو الجداء أو الحذاء كله بمعنى المقطوعة[٧] .

ـ والأوكار : جمع وكر بفتح الواو وهو عش الطائر ، والوكن بالفتح مثل الوكر أي العش[٨] .

---

(٢) السابق ٦ / ١٣٩ ، وينظر أساس البلاغة (دعم) / ١٨٨ ، و (سمك) / ٣٠٨ .
(٣) السابق ٧ / ٢٢٤ ، وينظر أساس البلاغة (كفر) / ٥٤٧ .
(٤) السابق ٣ / ٢١٦ ن وينظر أساس البلاغة (علم) / ٤٣٤ .
(٥) الأضداد في اللغة / ٥٥ .
(٦) المزهر ١ / ٤٠٧ ـ ٤٠٨ .
(٧) شرح النهج ١ / ٥٨ ، وينظر شرح المفصل ١ / ٤ .
(٨) السابق ١ / ١٥١ ، وينظر المزهر ١ / ٥٤٢ .
(١) شرح النهج ٦ / ٢٥٠ ، وينظر المزهر ١ / ٥٤٧ .
(٢) فاطر / ٣٥ .
(٣) المائدة / ٤٨ .
(٤) شرح النهج ١ / ٨٠ ، وينظر إعراب النحاس ١ / ٥٠٠ .
(٥) المزهر ١ / ٣٦٩ .

ـ وفي قول الإمام : ((أنشأَ الخَلقَ إنشاءً وابتدأه ابتداءً ...)) يقول : ((كلمتان مترادفتان على طريقة الفضاء والبلغاء كقوله سبحانه : (لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ)[1]، وقوله تعالى : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً)[2] [3] .

. المشترك اللفظي :

يعرف السيوطي المشترك اللفظي هو اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة[4] ، أما المحدثون فيعرفونه هو طائفة من الألفاظ اتحدت بنيتها وأصواتها ودلت على معنيين أو أكثر[5] ، وقد أنكر بعض العلماء هذه الظاهرة مثل ابن درستويه من القدامى[6] ، ود . رمضان عبدالتواب[7] وفندريس[8] وغيرهما من المحدثين .

أما ابن أبي الحديد فلم ينكر ظاهرة المشترك اللفظي بدليل أنه يذكر للفظة الواحدة معنيين أو أكثر من ذلك مثلا :

ـ الفتنة : يقول : ((لفظ مشترك ، فتارة تُطلق على الجائحة والبلية تصيب الإنسان تقول : قد افتتن زيد وفُتن فهو مفتون إذا أضابته مصيبة فذهب ماله أو عقله أو نحو ذلك قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)[9] يعني الذين عذبوهم بمكة ليرتدوا عن الإسلام ، وتارة تطلق على الاختبار والامتحان يقال : فتنتُ الذهب إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته ودينار مفتون ، وتارة تطلق على الإحراق قال تعالى : (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ)[10] ، وورق مفتون أي

فضة محرقة ويقال للحرة : فتين كأنّ حجارتها محرقة ، وتارة تطلق على الضلال يقال رجل فاتن ومُفتن أي مضل عن الحق ، جاء ثلاثيا قال تعالى : (مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ، إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ)[11] أي بمضلين[1] .

---

(٦) اللهجات العربية / ١٩٢ ، وينظر دراسات في فقه اللغة / ٣٥٠ .
(٧) ينظر تصحيح الفصيح لابن درستويه ١ / ٢٤٠ ، والمزهر ١ / ٣٨٤ ـ ٣٨٥ .
(٨) ينظر فصول في فقه اللغة / ٣٣٤ .
(٩) ينظر اللغة / ٢٢٨ .
(١٠) الذاريات / ١٣ .
(١١) الصافات / ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(١) الصافات / ٢ ١٦ ـ ١٦٣ .
(٢) شرح النهج ١٨ / ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ، وينظر إعراب النحاس ١ / ٤٤٠ ، و ٢ / ٧٧٥ ، و ٣ / ٢٣٢ .
(٣) السابق ١٩ / ١٠٦ ، وينظر (شحح) في أساس البلاغة / ٣٢٢ ، و لسان العرب ٢ / ٤٩٦ .

. الشحشح في حديث للإمام علي(ع) : ((هذا الخطيب الشحشح ...)) قال الشريف الرضي : يريد الماهر بالخطبة الماضي فيها ، وكل ماضٍ في كلام أو سير فهو شحشح ، الشحشح في غير هذا الموضع البخيل الممسك ، ويقول ابن ابي الحديد : ((قد جاء الشحشح بمعنى الغيور ، وبمعنى الشجاع ، وبمعنى المواظب على الشيء الملازم له ، وبمعنى الحاوي))[٢] .

ـ الأجل في قول الإمام علي(ع) : ((استقربوا الأجل فبادروا العمل ، وكذبوا الأمل فلاحظوا الأجل ...)) ، يقول ابن أبي الحديد : ((إنه استعملها في الموضعين بمعنيين مختلفين ، فقوله : ((استقربوا الأجل)) بمعنى المدة ، وقوله : ((فلاحظوا الأجل)) بمعنى الموت نفسه[٣] .

. الصمد : السيّد ، والصمد أيضا الذي لا جوف له ، وصار التضميد في الاصطلاح العرفي عبارة عن التنزيه[٤] .

ـ يضارع : يتعرض لطلب الحاجة ، ويجوز أن يكون من الضراعة وهي الخضوع ، أي يخضع لزيد ليخضع له ، ويجوز أن يكون من المضارعة بمعنى المشابهة[٥] .

. الأضداد :

يرى السيوطي أنّ الأضداد هو نوع من المشترك اللفظي ، وأيّد ذلك بقول أهل الأصول والعلماء الذين يذهبون إلى أنّ ((المشترك يقع على شيئين ضدين وعلى مختلفين غير ضدين ، فما يقع إلى الضدين كالجون ... وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين))[٧] .

أما ابن أبي الحديد فيرى بعض الألفاظ من الأضداد ومنها :

. الغابر : الباقي ويستعمل بمعنى الماضي وهو من الأضداد[٦] .

. التهجد : صلاة الليل وأصله السهر وهو من الأضداد[٧] .

. الرهوات : جمع رهوة وهي المكان المرتفع والمنخفض يجتمع فيه ماء المطر[٨].

ـ الظنّ : يمكن أن يكون على حقيقته ، ويمكن أن يكون بمعنى العلم كقوله تعالى: (أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ)[١] [٢] .

---

(٤) السابق ٧ / ٢٥٥ ، وينظر (أجل) في أساس البلاغة / ١٢ ، ولسان العرب ١١ / ١١ .
(٥) السابق ١٣ / ٧٠ ، وينظر (صمد) في أساس البلاغة / ٣٦١ ، ولسان العرب ٣ / ٢٥٨ .
(٦) السابق ١٨ / ٢٧٤ ، وينظر (ضرع) في أساس البلاغة ٣٧٥ ، ولسان العرب ٨ / ٢٢١ ـ ٢٢٣ .
(٧) المزهر ١ / ٣٨٧ .

(١) شرح النهج ١٣ / ١٢٠ ، وينظر المزهر ١ / ٣٩٢ ـ ٣٩٣ .
(٢) السابق ٦ / ٢٦٦ ، وينظر أدب الكاتب / ١٧٩ ، والمزهر ١ / ٣٩٠ .
(٣) السابق ٦ / ٤١٩ ، وينظر أدب الكاتب ١٧٩ ، والمزهر ١ / ٣٩٠ ، ومع نهج البلاغة / ١٨٥ .

. الولي : له معنيان أحدهما : (فعيل) بمعنى (مفعول) كقتيل وجريح وهو يتولى الله أمره كما قال الله تعالى : (إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)[٣] ، فلا يكله إلى نفسه لحظة عين يل يتولى رعايته ، وثانيهما : (فعيل) بمعنى(فاعل) كنذير وعليم وهو الذي يتولى طاعة الله وعبادته فلا يعصيه[٤] .

ـ التضميد : هو أن تعلف الفرس حتى تسمن ثمّ ترده إلى قوته الأولى وذلك في أربعين يوما ، وقد يطلق التضميد على نقيض ذلك وهو التجويع حتى يهزل ويخفّ لحمه[٥] .

٢ . اللهجات والقراءات :

إنّ مفهوم اللغويين القدامى للهجة يختلف عمّا تعارف عليه المحدثون ، فقد استعملوا (لغة) أو (لحن) للدلالة على اللهجة بمفهومها الحديث[٦] ، وهذا ما فعله ابن أبي الحديد إذ أنه استعمل كلمة (لغة) للدلالة على اللهجة ، ويعرف اللهجة بفتح الجيم هي آلة النطق ، يقال : فصيح اللهجَة وصادق اللهجَة[٧] .

يعزو ابن أبي الحديد بعض الظواهر اللهجية إلى أماكنها أو قبائلها في الجزيرة العربية من ذلك مثلا :

. عُقيراك من عُقر الدار وهو أصلها ، أهل الحجاز يضمون العين ، وأهل نجد يفتحونها[٨] .

. والسدف : جمع سُدفة هي القطعة من الليل المظلم ، هذا في لغة أهل نجد ، وأما غيرهم فيجعل السُدفة الضوء ، وكذلك السَّدف بفتح السين والدال ، وقد قيل السُّدفة اختلاط الضوء بالظلمة كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الاستنارة ، والسّدف من الصبح وإقباله ، وأسدف الليل أظلم ، وأسدف الصبح أضاء يقال : أسدف الباب أي فتحه حتى يضيء البيت ، وفي لغة هوازن (أسدفوا) أي أسرجوا من السراج[٩] .

وأحيانا لا يعزو الظواهر اللهجية إلى أماكنها وقبائلها بل يكتفي بما فيها من لهجات من ذلك :

. الوَبِق : الهالك ، وبَق الرجل بالفتح يبِق وبُوقا : هلك ، والموبق فيه كالموعد (مَفعِل) من وعَد يعِد ، ومنه قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً)[١٠] ، وفيه لغة أخرى وبَق الرجل يوبَق وَبَقا ، وفيه لغة ثالثة : وبِق الرجل بالكسر يبِق بالكسر أيضا وأوبقه الله أي أهلكه[١] .

---

(٤) المطففيـن / ٤ .
(٥) شرح النهج ١٠ / ١٤٣ ، وينظر أدب الكاتب / ١٨٠ ، و المزهر ١ / ٣٩٠ .
(٦) الأعـراف / ١٩٦ .
(٧) شرح النهج ١١ / ٧٥ ، وينظر (ولي) في أساس البلاغة / ٦٨٩ ، ولسان العرب ١٥ / ٤٠٧ .
(٨) السابق ٦ / ٢٥٤ ، وينظر المزهر ١ / ٣٩٢ .
(٩) ينظر تفصيل ذلك في (النحو في اللهجات العربية القديمة) رسالة دكتوراه / ٢ .
(١٠) شرح النهج ٦ / ١٣٣ ، وينظر (لهج) في أساس البلاغة / ٧٧ ، ولسان العرب ٢ / ٣٥٩ .
(١١) السابق ٦ / ٢٢١ ، وينظر لسان العرب (عقر) ٤ / ٥٩٦ .
(١) شرح النهج ٦ / ٢٢١ ، وينظر لسان العرب (سدف) ٩ / ١٤٦ ، والمزهر ١ / ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .
(٢) الكهف / ٥٢ .

. الحمأ : فيه أربع لغات : حما مثل قفا ، وحمٌ مثل كمٌ ، وحمو مثل أبو ، وحمٍ مثل أبٍ[٢] .

. بزُعمه يجوز بالضم ، وزَعمه بالفتح ، وبزِعمه بالكسر ثلاث لغات[٣] .

ـ أرعوى : كفّ عن الأمر وأمسك ، وأصل فعله الماضي رعى . يرعو ، وفلان حسن الرِّعوة والرَّعوة والرّعوى و الارعواء[٤]

. المضض : الوجع أمضني الجرح ، ومضّني لغتان ،وقد مضضتُ يارجل بالكسر[٥] .

ويفضل ابن أبي الحديد بعض اللهجات على أخرى ، أو يبدي رأيه فيها من حيث الجودة والرداءة مستشهدا بالقراءات أحيانا من ذلك :

ـ من كتاب للإمام علي(ع) : ((ولتكفف أقراصك)) يعلق عليه بقوله : ((التاء للأمر عوض الياء ، وهي لغة لا باس بها ، وقد قيل إنّ رسول الله (ص) قرأ : (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ)[٦] بالتاء[٧].

ـ وخطِفتُ الشيء بالكسر أخطِفه إذا أخذته بسرعة استلابا ، وفيه لغة أخرى : خطَف بالفتح ويخطَف بالفتح ، ويخطِف بالكسر وهي لغة رديئة قليلة لا تكاد تعرف ، وقد قرا بها يونس في قوله تعالى : (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ)[٩٨].

. وقول الإمام علي(ع) : ((ونصحتُ لكم)) هو الأفصح وعليه ورد لفظ القرآن[١٠]، وقول العامة : ((نصحتُك)) ليس بالأفصح[١١].

وقد أشار ابن أبي الحديد إلى بعض القراءات ذاكرا قارئيها أحيانا دون أن يخطئ شيئا منها

من ذلك : قوله تعالى : (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ)[١٢]، يقول : ((يجوز (الجُبُلة) بالضم ، وقرأ بها الحسن البصري ، وقُرئ قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً)[١٣] مثل قُفل ، وقرأ الكسائي (جُبُلا) كثيرا بضم الباء مثل حُلُم ، وقرأ عيسى بن عمر (جِبِلا) بكسر الجيم ، وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق (جُبُّلا) بالضم والتشديد[١٤] .

---

(٣) شرح النهج ١٠ / ١٧٧ ، وينظر لسان العرب (وبق) ١٠ / ٣٧٠ .
(٤) السابق ٩ / ٣٤ ، وينظر لسان العرب (حمأ) ١ / ٦١ .
(٥) السابق ٩ / ٢٢٦ ، وينظر إعراب النحاس ٢ / ٥٨١ ، ولسان العرب (زعم) ١٢ / ٢٦٤ .
(٦) السابق ٦ / ٢٩٤ ، وينظر لسان العرب (رعى) ١٤/ ٣٢٨ .
(٧) السابق ٦ / ٢٦١ ، وينظر لسان العرب (مضنى) ٧ / ٢٣٣ .
(٨) يونس / ٥٨ ، روى رويس بالخطاب (بالتاء) ، وهي قراءة أُبي رواها عن النبي محمد (ص) ، ينظر النشر ٢ / ٢٨٥ ، وقرأ يزيد بن القعقاع بالياء ، ينظر إعراب النحاس ٢ / ٩٥ .
(٩) شرح النهج ١٦ / ٢٩٦ .
(١٠) البقرة / ٢٠ ، قرأ علي بن الحسين ويحيى بن وثاب بكسر الطاء ، وقرأ الحسن وقتادة وعاصم الجحدري وأبو رجاء بفتح الياء وكسر الخاء والطاء ، وروى الحسن بفتح الخاء ، وقرأ الكسائي والأخفش والفراء بكسر اليا والخاء والطاء ينظر إعراب النحاس ١ / ١٤٥ وتفسير القرطبي ١ / ١٥٥ .
[٩] شرح النهج ٣ / ١٣٢ ، وينظر لسان العرب (خطف) ٩ / ٧٥ .
(١٢) من قوله تعالى : (وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ) ، الأعراف / ٧٩ .
(١٣) شرح النهج ٧ / ٧٤ ، وينظر أدب الكاتب / ٣٢٧ ، ولسان العرب (نصح) ٢ / ٦١٥ .
(١) الشعراء / ١٨٤ .
(٢) يس / ٦٢ ، قرأ أبو عمرو وابن عامر بضم الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام ، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف ورويس بضم الجيم والباء جميعا وتخفيف اللام ، وقرا الباقون بكسر الجيم والباء وتشديد اللام ، ينظر النشر ٢ / ٣٥٥ .
(٣) شرح النهج ٧ / ٤ .

وفي موضع شرحه لمعاني الألفاظ يستشهد بالقراءات من ذلك :

. الشّغف بالغين المعجمة :جمع شَغاف بفتح الشين ، وأصله غلاف القلب ، يقال: شغفه الحبّ أي بلغ شغافه وقرئ : (قَدْ شَغَفَهَا حُبّا)[1] [2] .

. والمضاهاة : المشاكلة يهمز ولا يهمز وقرئ :(يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ)[3] يضاهون وهذا ضهي هذا على (فعيل) أي شبيهه .

. والحليّ : جمع حلى ، وهو ما تلبسه المرأة من الذهب والفضة مثل ثُدي ووزنه (فعول) ، وقد تكسر الحاء لمكان الياء مثل (عِصيّ) ، وقرئ : (مِنْ حُلِيِّهِمْ)[4] بالضم الكسر[5] .

. وقرئ : (وَيَصْلَى سَعِيراً)[6] و (يصلّى) ، ومن خفف فهو من قولهم : صَلِى فلان بالنار بالكسر يصَلى صليا أحترق قال تعلى : (هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيّاً)[7] [8] .

وأحيانا يوجه الإعراب بحسب القراءة من ذلك مثلا :

. قال تعالى : (سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَاد)[9] يقول : ((مَن قرأ سواء بالنصب على أن يكون أحد مفعولي (جعلنا) أي جعلناه مستويا فيه العاكف والباد ، ومَن قرأ بالرفع جعل الجملة هي المفعول الثاني))[10].

وسنتحدث لاحقا عن مدى إفادة ابن أبي الحديد من القراءات مصدر من مصادر الاستشهاد النحوي .

وفي الصرف يستشهد بالقراءات من ذلك :

. العِبدان جمع عَبد بالكسر مثل جَحش وجحشان ، وجاء عُبدان بالضم مثل تمر وتُمران وجاء عبيد /مثل كلب وكليب وهو جمع عزيز ، وجاء أعبد وعباد وعبدّان مشدد الدال وعبداء بالمد ، عُبُد بالضم مثل سقُف وسقف وأنشدوا :

أنسب العبدَ إلى آبائه أسود الجلد من قوم عُبُد

ومنه قرأ بعضهم : (وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ)[11] (وعُبُد الطاغوتِ) وأضافه[12] .

. والرَّجْل : اسم جمع لراجل كرَكْب اسم جمع لراكب ، وهذا من ألفاظ القرآن العزيز :

---

(٤) يوسف / ٣٠ ، قرأ أبوجعفر بن محمد و ابن محيصن بالعين ، وقرا الحسن بالغين ، ينظر تفسير القرطبي ٩ / ١١٦ .
(٥) شرح النهج ٦ / ٢٧٠ ، وينظر لسان العرب (شغف) ٩ / ١٧٩ ،
(٦) التوبة ٣٠ ، قرأ عاصم وطلحة بالياء ، ينظر إعراب النحاس ٢ / ١٣ .
(٧) الأعراف ١٤٨ ، قرأ أهل المدينة والبصرة بالضم ، وأهل الكوفة إلا عاصما بالكسر ، ينظر إعراب النحاس ١ / ٦٣٨ .
(٨) شرح النهج ٩ / ٢٧٢ ، وينظر لسان العرب (ضها) ١٤ / ٤٨٧ ، و (حلا) ١٤ / ١٩٥ .
(٩) الانشقاق / ١٢ ، قرأ نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام ، وقرأ الباقون بفتح الياء وإسكان الصاد وتخفيف اللام ، ينظر النشر ٢ / ٣٩٩ .
(١٠) مريم / ٧٠ .
(١١) شرح النهج ٩ / ٩٦ ، وينظر لسان العرب (صلى) ١٤ / ٤٦٧ .
(١٢) الحج / ٢٥ ، قراءة العامة برفع سواء والعاكف والبادي ، وتروى هذه القراءة عن الأعمش ، ينظر إعراب النحاس ٢ / ٣٩٧ .
(١٣) شرح النهج ١٨ / ٣٣ .

(١) المائدة / ٦٠ ، قرأ حمزة بضم الباء من (عبُد) وخفض (الطاغوت) ، وقرأ الأعمش والباقون بالفتح والنصب ، ينظر إعراب النحاس ١ / ٥٠٧ ، والنشر ٢ / ٢٥٥ .
(٢) شرح النهج ٩ / ٢٩٢ ، وينظر التبيان ١ / ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ)[1] ، قُرئ (ورجِلك) بكسر الجيم على أنّ فعلا بالكسر بمعنى فاعل نحو تعِب وتاعب ، وقد تضم الجيم أيضا فيكون من قولك : رجل حَدِث وحَدُث[2] .

وأحيانا يعلل التصحيف في قول الإمام (ع) كالتصحيف الذي عُدّ من القراءات في القرآن الكريم ففي قول الإمام : ((وتثبتوا في قتامِ العشوةِ)) يقول : ((ويروى : وتبينوا في قتام العشوة كما قرئ (إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا)[3] و فتثبتوا))[4] .

٣ . النقد والبلاغة :

لابن أبي الحديد آراءٌ نقدية كثيرة تفصح عنها كتبه النقدية ولا سيما كتاب (الفلك الدائر على المثل السائر) ، ولم يخلُ شرح النهج من آراء نقدية متفرقة في موضوعات مختلفة ، وهذه طائفة من آرائه النقدية التي وردتْ في شرح النهج :

ـ في البلاغة نقل لنا ما قاله ابن الأثير في كتابه (المثل السائر) في الكناية والتعريض[5]، ثمّ نقده نقدا دقيقا ينمّ عن ذوق بلاغي سليم ، وهذا النقد مذكور في كتابه (الفلك الدائر على المثل السائر)[6]، وفي موضع آخر من شرح النهج نقل لنا قول ابن الأثير في كتابه (المثل السائر) :

((إنّ هذا النوع من المقابلة غير مختص بلغة العرب فأن لما مات قُباذ أحد ملوك الفرس قال وزيره : حركنا بسكونه ...))[7] ، فردّ عليه ابن أبي الحديد بقوله : ((أيّ حاجة به إلى هذا التكلف ، وهل هذه الدعوى من الأمور التي يجوز أنْ يعتري الشك والشبهة فيها ليأتي بحكاية مواضع من غير كلام العرب يحتج بها ... على أنّ تلك اللفظة التي قالها ما قيلت في موت قباذ ، وإنما قيلت في موت الإسكندر لما تكلمت الحكماء وهم حول تابوته بما تكلموا من الحكم))[8] .

. وفي الشعر عاب قول البحتري وعدّه من التقسيمات الفاسدة وهو :

قُفْ مشوقا أو مسعدا أو حزينا أو معينا أو عاذرا أو عدولا

إذ يقول : ((التقسيم غير صحيح لأنّ المشوق يكون حزينا والمسعد يكون معينا فكذلك يكون عاذرا ويكون مشوقا ويكون حزينا))[9] .

كما عدّ محمد بن هانئ مغاليا في ممدوحة في قوله :

---

(٣) الإسراء / ٦٤ ، روى حفص بكسر الجيم ، وقرأ الباقون بإسكانها ، ينظر النشر ٢ / ٣٠٨ .
(٤) شرح النهج ١٣ / ٣٩ ، وينظر لسان العرب (رجل) ١١ / ٢٦٨ .
(٥) الحجرات ٦ ، والنساء ٩٤ ، قرأ حمزة والكسائي وخلف (فتثبتوا) من التثبت ، ينظر البحر المحيط ٣ / ٣٢٨ ، والنشر ٢ / ٢٥١ وقرأ الباقون (فتبينوا) من التبين وهي قراءة عبدالله بن مسعود وأصحابه وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم ، ينظر معاني الفراء ١ / ٢٨٣ ، وإعراب النحاس ١ / ٤٤٥ .
(٦) شرح النهج ٩ / ١٣٩ .
(٧) السابق ٥ / ٥٩ ـ ٦٦ ، وينظر المثل السائر ٣ / ٥٩ ـ ٦٨ .
(٨) السابق ٥ / ٦٦ ـ ٧٣ ، وينظر الفلك الدائر / ١٧٠ وما بعدها .
(٩) المثل السائر ٣ / ١٧٣ .
(١) شرح النهج ٢ / ١٠٤ ـ ١٠٥ .
(٢) السابق ٧ / ١٨٥ .

أتبعته فكري حتى إذا بلغت غاياتها بين تصويب وتصعيد
رأيت موضع برهان يلوح وما رأيت موضع تكييف وتحديد

إذ يقول : ((هذا مدح يليق بالخالق تعالى وهو لا يليق بالمخلوق))[1] .

. وفي النثر وجّه نقدا إلى ابن نباتة الخطيب في خطبة له رواها في شرح النهج[2] إذ يقول : ((إنّ من كلام ابن نباتة ما ليس بجيد وهو قوله : ((وحرزٌ طهّر الله به أجسامكم ...)) فأنه لا يقال في الحرز : إنه يطهر الأجسام ، ولو قال عوض (طهّر) حصّن الله به أجسامكم لكان أليق ، ولكنه أراد أن يقول (طهّر) بأزاء (خير) وبأزاء (أظهر) فأدّاه حب التقابل إلى ما ليس بجيد[3] .

. وفي الموضوعات الكلامية وجّه نقدا إلى أبي إسحاق النظام أحد أئمة المعتزلة تحت عنوان (ذكر مطاعن النظام على الإمام عليّ والرد عليه) ؛ لأنّ النظام كما يقول ابن أبي الحديد : ((لما تكلم في كتاب (النكت) وانتصر لكون الإجماع ليس بحجة اضطر إلى ذكر عيوب الصحابة فذكر لكل منهم عيبا ووجّه إلى كل واحد طعنا وقال في عليّ ...))[4] .

ـ وفي تصحيح نسب نوف البكالي وجّه نقدا إلى الجوهري وإلى الراوندي إذ قال الجوهري : ((نوف البَكالي بفتح الباء كان صاحب عليّ (عليه السلام) ثمّ قال : وقال ثعلب : هو منسوب إلى بكالة قبيلة)) ، وقال الراوندي : ((بَكال وبكيل شيء واحد وهو اسم حي من همدان وبَكيل أكثر)) ردّ ابن أبي الحديد عليهما بقوله : ((والصواب غير ما قالاه ، وإنما بِكال بكسر الباء حي من حِمير منهم هذا الشخص ، هو نَوف بن فضالة صاحب الإمام عليّ (عليه السلام) ، والرواية الصحيحة بالكسر لأن نوف بن فضالة بِكالي بالكسر من حِمير))[5] .

. وفي رواية الأخبار وجّه نقدا إلى أبي حيان التوحيدي الذي روى حديثا عن (السقيفة) نقلها ابن أبي الحديد نصّا ثمّ قال عنها : ((الذي يغلب على ظني أنّ هذه المراسلات والمحاورات والكلام كله مصنوع موضوع و أنه من كلام أبي حيان التوحيدي ...))[6]

. وفي صحة نسبة الحديث الآتي لعلي بن أبي طالب(ع) : ((والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم ...)) ردّ على الراوندي وخطّأه في نقله عن صحاح الجوهري إذ يقول : ((لما شرح الراوندي هذه اللفظات قال : وفي الحديث : ((والله لا أكون مثل الضبع تسمع اللدم حتى تخرج فتُصاد)) وقد كان يسامحه الله . وقت تصنيفه الشرح . ينظر في (صحاح الجوهري) وينقل منها ، فنقل هذا الحديث ظنّا منه أنه حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وليس كما ظنّ بل الحديث الذي أشار إليه الجوهري هو حديث علي (عليه السلام) الذي نحن بصدد تفسيره))[7] .

---

(٣) السابق ١ / ٦١ .
(٤) ينظر خطبة ابن نباتة في شرح النهج ٢ / ٨٠ ـ ٨١ .
(٥) شرح النهج ٢ / ٨٥ .
(٦) السابق ٦ / ١٢٩ ـ ١٣٢ .
(٧) السابق ١٠ / ٧٦ ـ ٧٧ ، وينظر لسان العرب (بكل) ١١ / ٦٢ ـ ٦٣ .
(١) شرح النهج ١٠ / ٢٧١ ـ ٢٨٥ .
(٢) السابق ١ / ٢٢٣ ، وينظر جمهرة الأمثال ٢ / ٤٠٤ ، ومجمع الأمثال ٢ / ٢٤٢ .

. وفي صحة نسبة ما في نهج البلاغة إلى الإمام علي (عليه السلام) وجّه نقدا إلى ((أرباب الهوى الذين يقولون إنّ كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث صنه قوم من الشيعة ، وربما عزو بعضه إلى الرضي أو غيره))[1] ، ولم يذكر أسماءهم إلا أننا نقول : إنّ بعض المؤرخين القدامى نثروا بذور الشك ليتعهدوا بعض المحدثين بالرعاية والعناية ، فمن أولئك ابن خلكان في وفيات الأعيان ، والذهبي في ميزان الاعتدال ، واليافعي في تاريخه ، والصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات[2] ، وقد ردّ عليه بقوله : ((لا يخلو إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعا منحولا أو بعضه ، والأول باطل بالضرورة لأنا نعلم بالتوتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، والثاني يدلّ على ما قلناه ؛ لأنّ مَن قد أتى بالكلام والخطابة وصار له ذوق ... لا بُدّ أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح ...))[3] .

أمّا الموضوعات البلاغية فقد تعرض إلى أغلبها سواء من علم البيان أم البديع شارحا ومعرفا إياها معززا ذلك بالأمثلة والشواهد القرآنية والأحاديث النبوية وشعر الشعراء من مختلف العصور ؛ لأنّ البلاغة أكثر ما تعني بجمال التركيب وفصاحة المفردة والمحسنات اللفظية ، فمن علم البيان تناول الموضوعات الآتية :

ـ الاستدراج : يقول : ((اعلم أنّ في علم البيان بابا يسمى باب الخداع والاستدراج يناسب ما ذكره فيه علماء البيان قول أمير المؤمنين (عليه السلام) مخاطبا الزبير : ((يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق ...)) ، ون ذلك قول إبراهيم على ما حكاه تعالى عنه في قوله : (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً)[4] ... خاطبه بقوله (يا أبتِ) استعطافا واستدراجا كقول على : ((يقول لك ابن خالك))[5] .

. الالتفات : يقول : ((أعلم أنّ باب الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة باب كبير من أبواب علم البيان ، وأكثر ما يقع ذلك إذا اشتدتْ عناية المتكلم بذلك المعنى المنتقل إليه كقوله سبحانه : (الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) فأخبر عن غائب ثمّ انتقل إلى خطاب الحاضر فقال : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[6] [7] .

ـ التشبيه : من قول الإمام علي يصف الرسول (صلى الله عليه وسلم) : ((كلامُهُ بيانٌ وصحتُهُ لسان)) إذ يقول : ((هذا باب التشبيه المحذوف الأداة لقولهم : يدُه بحر ، ووجهه بدر))[8] .

---

(٣) السابق ١٠ / ١٢٨ .
(٤) ينظر شكوك الرضي وابن أبي الحديد ، د . صفاء خلوصي ، مجلة الأستاذ كلية التربية بغداد مجلد ١٠ / ١٩٦٢ / ٦٩ .
(٥) شرح النهج ١٠ / ١٢٨ ـ ١٢٩ .
(٦) مريـــم / ٤٢ .
(٧) شرح النهج ٢ / ١٧١ ـ ١٧٢ ،
(١) الفاتحة / ٢ و٣ و٤ و٥ .
(٢) شرح النهج ٧ / ١٩٦ ، وينظر حسن التوسل / ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .
(٣) السابق ٧ / ٦٩ .

. الكناية : يعرفها بقوله : ((هي إبدال لفظة . يستحي من ذكرها أو يستهجن من ذكرها أو يتطير بها أو يقتضي الحال رفضها لأمر من الأمور . بلفظة ليس فيها ذلك المانع ، ومن الكنايات اللطيفة قوله تعالى : (أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء)[1] يعني الجماع ، وقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لحاديه : ((يا أنجشة رفقا بالقوارير))[2] يعني النساء ، وقول الإمام علي لما قتل الخوارج : ((إنهم نطفٌ في أصلاب الرجال وقرارات النساء)) قرارات النساء : كناية لطيفة عن الأرحام ، ومن هذا الباب قول امرئ القيس :

فصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامنا ورضُتُ فذلّتْ صعبة أيّ إذلال

قوله : وصرنا إلى الحسنى كناية عن الرّفث ومقدمات الجماع))[3] .

ومن علم البديع تناول الموضوعات الآتية :

ـ الموازنة والسجع : يقول : ((الموازنة أعم من السجع لأنّ السجع توازن أجزاء الفواصل لو أوردها على حرف واحد نحو القريب والغريب والنسيب وما أشبه ذلك ، وأما الموازنة فنحو القريب والشديد والجليل وما كان على هذا الوزن وإن لم يكن الحرف الأخير بعينه واحدا ، وكل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعا ، ومثال الموازنة في الكتاب العزيز :

(وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)[4] ، ومما جاء في الشعر قوله :

بأشدهم بأسا على أعدائهم وأشدهم فقدا على الأصحاب

فقوله : (وأعزهم) بأزاء (أشدهم) وقوله (فقدا) بأزاء (بأسا) ، والموازنة كثيرة في الكلام وهي في كتاب الله أكثر[5] . الجناس : عقد

فصلا فيه ذاكرا أنواعه فمن الجناس التام قول الإمام :((إنما الدنيا منتهى

بصر الأعمى ... فالبصير منها شاخص والأعمى إليها شاخص)) إذ يقول : ((من مستحسن التجنيس وهذا الذي يسميه أرباب الصناعة الجناس التام ، فالشاخص الأول الراحل والشاخص الثاني مَن شخص بصره بالفتح إذا فتح عينيه نحو الشيء مقابلا له وجعل لا يطرف ، وأما الأجناس الأخرى فأنها خاوية عن التجنيس التام ومشبهة به ، فمنها أن تكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها فمن ذلك قول البحتري :

وفرّ الخائن المغرور يرجو أمانا أيّ ساعة ما أمان

ومنها أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن ومختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير وذلك قوله تعالى : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)[1] ...))[2].

---

(٤) النساء ٤٣ ، والمائدة / ٦ .
(٥) المسند ٢ / ٥٠٨ .
(٦) شرح النهج ٥ / ١٤ ـ ١٥ ، وينظر الصناعتين / ٤٠٧ .
(٧) الصافات / ١١٧ ، ١١٨ .
(٨) شرح النهج ٣ / ١٥٤ ، وينظر حسن التوسل / ٢١٠ .

(١) القيامة / ٢٢ ، ٢٣ .

لزوم ما يلزم : هو أحد أنواع البديع وذلك أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفا واحدا مثل قول الإمام عليّ (ع) : ((إنه أرجحٌ ما وُزن وأفضلُ ما خُزن)) وقد جاء منه في الكتاب العزيز مواضع ليست بكثيرة فمنها قوله تعالى : (وَالطُّور * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ)[٣] [٤] .

المقابلة : وهي أن يقابل الشيء ضده مثل قوله تعالى : (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)[٥] [٦] .

٤ . الموضوعات الكلامية :

وهي من الموضوعات التي كثُرتْ في شرح النهج في بعض أجزائه ومنها :

. القول في عصمة الأنبياء : قسمه على فصول :

الأول : في حال الأنبياء قبل البعثة ومَن الذي يجوز أن يجوز أن يرسله الله تعالى إلى العباد .

والثاني : في عصمة الأنبياء في زمن النبوة عن الذنوب في أفعالهم وتروكهم ...

والثالث : في خطئهم في التبليغ والفتاوى[٧].

. اختلاف الأقوال في ابتداء خلق البشر : ذهب أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى إلى أن مبدأ البشر هو آدم الأب الأول (عليه السلام) ، وأثر ما في القرآن العزيز من قصة آدم مطابق لما في التوراة ، أما الفلاسفة فهم زعموا أنه لا أول لنوع البشر ولا لغيرهم من الأنواع وأما الهند فمن كان منهم على رأي الفلاسفة ومَن لم يكن منهم يقول بحدوث الأجسام لا يثبت لآدم ... ومنها تكون نوع البشر كما يتكون الدود في الفاكهة واللحم ... أما المجوس فلا يعرفون آدم ولا نوحا وأول متكون عندهم البشر المسمى (كيومرث)[٨] .

. أبحاث كلامية : أولها في وجوده تعالى وإثبات أنّ للعالم صانعا ، وثانيها : إثبات أزليته وثالثها : أنه لا شبيه له ... ورابعها : أنّ المشاعر لا تستلمه ... وخامسها : أنّ السواتر لا تحجبه ... وسادسها : أنه ليس بمعنى المعدود ... وسادسها : أنه لا بمعنى الحركة والنصب ... وثامنها : أنه سميع لا بأداة ... وتاسعها : أنه بصير لا بتفريق آلة[٨] .

ـ القول في أحكام النجوم : ذكر رأي الفلاسفة ورأي أبي البركات بن ملكا البغدادي في كتابه (المعتبر) ، ورأي أبي جعفر محمد بن الحسن الصنعاني المعروف بالخازن صاحب كتاب (زيج

---

(٢) ينظر شرح النهج ٨ / ٢٧٦ ـ ٢٨٧ .
(٣) الطور / ١ ، ٢ .
(٤) ينظر شرح النهج ١ / ١٣٣ ـ ١٣٥ .
(٥) الحديد / ٢٣ .
(٦) ينظر شرح النهج ٢ / ١٠٣ ـ ١١٠ .
(٧) ينظر السابق ٧ / ٧ ـ ٢١ .
(٨) يتظر شرح النهج ١ / ١٠٣ ـ ١٠٦ .
(١) ينظر شرح النهج ٩ / ١٤٧ ـ ١٥٢ .

الصفائح) من كلام له في هذا الباب مختصر له سماه (كتاب العالمين) ذكره ابن أبي الحديد على وجهه[1] .

. موضوعات أخرى ومنها : فصول في العلم الإلهي[2]، وما ورد من السير والأخبار في أمر فدك[3] فدك[3] ، واختلاف الفرق الإسلامية في وجوب كون الأئمة من قريش[4] ، والأقوال المختلفة في خلق الجنة والنار[5]، واختلاف الرأي في إيمان أبي طالب عند الإمامية والزيدية وبعض المعتزلة[6] المعتزلة[6] ، وأقوال المسلمين في الثواب والعقاب[7] ، وأبحاث تتعلق أيّهما أفضل الملائكة أو بنو آدم ؟[8] .

٥ . التاريخ والأنساب والتراجم[9] :

يكثر في شرح النهج لابن أبي الحديد الأخبار التاريخية ومنها الأيام والحروب والغزوات والغارات والفتن نقلها نصّا من بطون الكتب أو بتصرف أحيانا معربا عن رأيه أحيانا أخرى ومنها : روى لنا إجلاب قريش على بني هاشم وحصرهم في الشعب ، وتحدث عن قصة غزوة بدر بتفاصيل واسعة وفيها القول في نزول الملائكة يوم بدر ومحاربتها المشركين وفيما جرى في الغنيمة والأسارى بعد هزيمة قريش ورجوعها إلى مكة ، وتفصيل أسماء أسارى يدر ومَن أسّرهم ، وفي المطعمين في بدر من المشركين ، وفيمن استشهد من المسلمين ، ومَن قُتل من المشركين وأسماء قاتليهم ، وكذا الحال بالنسبة إلى غزوة أحد ، وكذلك روى لنا غزوة الخندق ، وغزوة مؤتة ، وفتح مكة ، وخبر السقيفة مفصلا فيها ومن مصادر متعددة ، وروى غزوة فلسطين وفتح بيت المقدس ، ويم القادسية ونهاوند ، وتحدث بشكل مسهب عن معركة الجمل ، وأكثر إسهابا وتفصيلا معركة صفين ، وأطنب كثيرا في أخبار الخوارج منذ قصة التحكيم وظهور أمرهم ومعركة النهروان وذكر طائفة من رجالاتهم ، ولم يكتفِ بالحوادث لعصر صدر الإسلام بل روى لنا حوادثَ من العصر الأموي ومنها أخبار متفرقة في انتقال الملك من بني أمية إلى بني العباس وهزيمة مروان بن محمد في موقعة الزاب ثم مقتله بعد ذلك ، وروى حوادثَ من العصر العباسي ، ومما ذكره من العصر الأخير مطنبا فيه ومفصلا فتنة صاحب الزنج في البصرة ، وروى لنا غارة جنكيزخان وفتنة التتار وأصلهم وما فعلوه من خراب ودمار في المدن التي مروا بها ، ولم ينقل هذه الحادثة من الكتب لأنه عاصرهم كما أنه يروِ لنا ما حدث

---

(٢) ينظر السابق ٦ / ٢٠٠ ـ ٢١٣ . .
(٣) ينظر السابق ٣ / ٢١٧ ـ ٢٣٩ .
(٤) ينظر السابق ١٦ / ٢٠٩ ـ ٢٨٦ .
(٥) ينظر السابق ٩ ـ ٨٧ ـ ٨٨ .
(٦) ينظر السابق ١ / ١٠٨ ـ ١٠٩ .
(٧) ينظر السابق ١٤ / ٦٥ ـ ٨٤ .
(٨) ينظر السابق ٩ / ٧٩ ـ ٨٣ .
(٩) ينظر السابق ١ / ١٠٩ ـ ١١١ .
(١٠) لمعرفة مواضع الحوادث التاريخية والأنساب والتراجم ينظر السابق ٢١ / ٤٢ ، ١١ ، ٣٨ .

من دمار وتخريب في بغداد عام ٦٥٦ هـ لأنه كان قد أكمل شحه للنهج عام ٦٤٩ هـ إذ يقول عن هذه الحادثة : ((وقع في زماننا وكان الناس ينتظرونه من أول الإسلام حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا وهم التتار الذين خرجوا من أقاصي المشرق حتى وردت خيلهم العراق والشام ... وفي سنة ٦٤٣ هـ في شهر ربيع الآخر وصلت التتار بغداد وكان مدبر أمر الدولة هو الوزير ابن العلقمي أيام الخليفة المستعصم بالله فأخرج لهم عسكر وترتب العسكر البغدادي ترتيبا منتظما ... وحملت التتار على عسكر بغداد حملات متتابعة فثبت لهم عسكر بغداد أحسن ثبوت ورشقوهم بالسهام ... فما زال العسكر البغدادي تظهر عليه أمارات القوة وتظهر على التتار أمارات الضعف ... فارتحلوا في الليل راجعين إلى جهة بلادهم)) إلى أن قال : ((وإلى بلغنا من هذا الشرح . الجزء الثامن . إلى هذا الموضع لم يذعر العراق بهم ذاعرا بعد تلك النوبة)) ، ثمّ استنتج من كلام الإمام عليّ(ع) بأنه لا بأس على بغداد والعراق منهم وذلك في قوله : ((ويكون هناك استحرار قتل)) لأنّ الكاف إذا وقعت بعد اسم الإشارة أفادت البعد وكان الإمام قد خطب خطبته في البصرة لأنّ البصرة وبغداد شيء واحد وبلد واحد لأنهما جميعا من أقليم العراق .

فلعل مأخذا يسجل عليه إذ ليس من الضروري أن تعني (الكاف) البعيد من الأماكن في أقاليم أُخر فهي تعني كل ما هو بعيد من المشار إليه لذا يحتمل أنّ الإمام عنى بها بغداد التي تبعد عن البصرة كثيرا فضلا عن أن ابن أبي الحديد شاهد سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ فكان عليه أن يراجع ما كتبه ويصحح ما قاله وما استنتجه في هذه الحادثة التاريخية المريرة .

أما الأنساب والتراجم والسير فقد ترجم طائفة كبيرة من الرجال العرب وذكر أنسابهم وأخبارهم وسيرهم ، وكان لعلي بن أبي طالب حصة الأسد في ذلك في أغلب صفحات شرح النهج ابتداء من الجزء الأول وصفحاته الأولى إذ ترجم لنا حياته وسيرته وأخلاقه فكم أنّ لكل رواية بطلا فإنّ بطل شرح نهج البلاغة هو الإمام عليّ (ع) ، ومن الصحابة الذين ترجم حياتهم وسيرهم وأخبارهم : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان وطلحة والزبير ، وأبو أيوب الأنصاري ، وجرير بن عبدالله البجلي ، وجعفر بن أبي طالب وخزيمة بن ثابت ، وعمار بن ياسر ، وسعد بن عبادة ، ومن النساء ذكر أخبار متفرقة لفاطمة
بنت محمد (صلى الله عليه وآله) ، وعائشة بنت أبي بكر (رضوان الله عليهم أجمعين) فضلا عن أخبار كثيرة عن معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ، ومروان بن الحكم ، والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) ، وعبدالله بن الزبير بن العوام وأخبار متفرقة عن عبدالله بن عباس ، محمد بن أبي بكر كذلك ذكر نسب بعض القبائل مثل ثقيف وطرفا من أخبارهم ، وبني مخزوم وطرفا من أخبارهم ، ونسب بني ناجية ، أما الشعراء فقد ترجم للشريف الرضي ، وعلي بن الجهم ، وزيد الخيل نسبه ، وامرئ القيس حديثا طريفا عنه .

٦ . الموضوعات الدينية[١] :

وهي موضوعات متفرقة في شرح النهج ومنها :

الصلاة والآثار الواردة فيها ، والزكاة والآثار الواردة فيها ، وما يقوله الفقهاء في الصدقات هل تصرف إلى الأصناف كلها أو يجوز صرفها إلى واحد منها ؟ والأضحية واختلاف الفقهاء في حكمها ، والتوبة ، والاستغفار ، والأدعية .

٧ . نبذ من الأقوال الحكيمة في الأغراض المختلفة[٢] :

امتاز شرح النهج بأقوال حكيمة وبليغة للأنبياء ، والصالحين ، والصحابة ، والتابعين والحكماء ، والبلغاء ، والفصحاء ، والقادة ، والأمراء ، والولاة ، والوعاظ ، والصالحين في أغراض مختلفة يمكن تصنيفها إلى صنفين :

الصنف الأول : وهي الموضوعات الخاصة بالأخلاق الحسنة مما يمت بصلة إلى جوهر الإسلام ، وما يتعلق بالحياة الاجتماعية والسلوك الفردي ومنها : الاستغفار والتوبة ، والأناة وذمّ العجلة ، والتقوى والزهد ، وحقوق الجار ، ومدح الجود وذمّ البخل ، وحسن الخلق ، والزهد ، والصبر وانتظار الفرج ، ومدح الوفاء وذمّ الغدر ، وغيرها .

الصنف الآخر : وهي الموضوعات الخاصة بالأخلاق السيئة والمنبوذة التي رفضها الإسلام ودعا إلى تركها في القرآن الكريم والسنة النبوية ومنها : التيه والكبر والفخر ، والحسد وذمّ الحاسدين ، والرياء وحبّ الشهرة ، والسعاية بين الناس ، وعيوب الناس والنهي عن ذكرها والغيبة وذمّ المغتابين .

فضلا عن موضوعات أُخر متفرقة قال فيها الحكماء والبلغاء وأكثروا فيها منها : السلطان وسياسة الملك ، والعقل ، والقرآن الكريم ، واللسان وآفته ، والملك ، وفصل في الآثار الواردة في شديد عذاب جهنم وغيرها .

٨ . الخطب والرسائل :

الخطبة سلاح مهم عند العرب في الحروب ولاسيما في شحذ الهمم وتعبئة الرجال وهناك شروط من الواجب توافرها في الخطبة حتى تكون مؤثرة في المتلقي وضح لنا ابن أبي الحديد ذلك بقوله : ((إنّ فضيلة الخطيب والكاتب في خطاباته وكتابته تعتمد على أمرين هما : مفردات الألفاظ ومركباتها ، أما المفردات فأن تكون سهلة غير سلسة غير وحشية ولا معقدة ... وأما المركبات فحسن المعنى وسرعة وصولها إلى الإفهام واشتماله على الصفات التي باعتبارها فضل بعض

(١) تنظر فهارس المحقق في شرح النهج ٢١ / ٤٤ .
(٢) ينظر السابق ٢ / ٤٩ .

الكلام على بعض ، وتلك الصفات هي الصناعة التي سماها المتأخرون البديع من المقابلة والمطابقة وحسن التقسيم ...))[1] .

وذكر لنا خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع وخطبا لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) لم يرد في نهج البلاغة ، وبعض الخطب للصحابة أمثال أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، والعباس بن عبد المطلب ، وعمار بن ياسر وغيرهم ، ومن الخطباء العرب المشهورين ذكر الحجاج بن يوسف الثقفي وابن نباتة ، أما الرسائل فقد ذكر رسائل لعلي بن أبي طالب(ع) مما لم يرد في نهج البلاغة ، ورسائل كثيرة لمعاوية بن أبي سفيان ، ورسائل أُخر مثل رسالة الاسكندر الأكبر إلى أرسطو وردّ الأخير عليه ، ورسالة محمد بن أبي بكر إلى معاوية ، ورسائل أُخر كثيرة[2] .

٩ . الموضوعات العامة :

ومنها : الحكايات والنكت والطرائف والنوادر والقصص مثل أخبار المكثرين في الأكل وطرائفهم ، وأخبار الجبناء ونوادرهم ، وحكايات عن المزح والمزاح ، وأديان العرب في الجاهلية ، والحيوانات مثل الذرة والنملة والطيور ، ومذهب العرب في الحسد بالعين ، والمفاخرات والمناظرات والمنافرات[3]، وموضوعات علمية عن الأبصار والسمع[4]، وعلم الاجتماع[5]، والجغرافية[6] .

أهمية الكتاب :

لقد ألف ابن أبي الحديد أكثر من (عشرين) مؤلفا وكان من بينها (الفلك الدائر على المثل السائر) الذي ذكره أبو حيان النحوي الأندلسي عندما كان يتحدث عن ((المعتزلة الذين يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ويجد ذلك في أشعارهم كما قال ابن أبي الحديد المعتزلي صاحب كتاب (الفلك الدائر على المثل السائر) ...))[7]، إلا أنّ (شرح نهج البلاغة) جعله أثر شهرة ؛

---

(١) شرح النهج ٦ / ٢٧٨ .
(٢) تنظر فهارس المحقق في السابق ٢١ / ٧ ، و١١ .
(٣) ينظر السابق ٢١ / ٥٢ .
(٤) ينظر السابق ١٨ / ١٠٣ ـ ١٠٤ .
(٥) ينظر السابق ١٧ / ٤٩ .
(٦) ينظر السابق ١ / ٢٦٨ ، و ٦ / ١٣٩ .
(١) البحر المحيط ٧ / ٤٩٧ .

وذلك لأنّ الكتاب موسوعي فيه علوم كثيرة فضلا عن أنّ لـ(نهج البلاغة) أكثر من مائة شرح لم يشتهر منها إلا شرح ابن أبي الحديد ؛ لذا فقد أثنى عليه الكثير من المؤرخين والباحثين ، فهذا صاحب روضات الجنات يقول : ((شرحه الشريف الجامع لكل نفيسة وغريب والحاوي لكل نافحة ذات طيب من الأحاديث النادرة والأقاصيص الفاخرة والمعارف الحقانية والمعارف الإيمانية))[١] ، وقال أحد الباحثين : ((يعدّ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد من أهم ما أُلّف من كتب الأدب في القرن السابع الهجري ، وحسبنا به دلالة على فضل صاحبه تمكنه من صناعة الإنشاء وقوة حافظته وكثرة روايته وأخذه عن أساتذته وحسن اختياره وجودة إطلاعه على آثار مَن سبقه من أهل الأدب والعلم))[٢] ، وأضاف هذا الباحث إلى أنّ ((قيمة الكتاب تظهر فيما تضمنه من البحوث القيمة فهو موسوعة عربية يعزّ نظيرها بين الموسوعات الأخرى ، ومنه نستطيع أن نقف ما للرجل من ثقافة شاملة ، فأنت تجد فيه المؤرخ واللغوي والمتكلم والناقد والفقيه ... ويزيد من قيمة الكتاب أنّ المؤلف رجع في كتابه إلى جملة من نفائس الكتب العربية ونوادرها واستفاد من خزائن دار الكتب في المستنصرية والخزائن الأخرى لذوي السلطان ، ومن بين المصادر التي اعتمدها نوادر مفقودة لم تصل إلينا ، وكان له الفضل في أنه حفظ من كتابه نقولا منها))[٣] ، وعدّه آخر بأنه ثمرة زكية من ثمار أريحية أرباب الدولة عندما يتجهون بها نحو أرباب أرباب القلم فيشجعونهم على إظهار قدراتهم وطاقاتهم في البحث والتأليف[٤] ، وقال آخر : ((شغل (نهج البلاغة) جمهرة المتأدبين منذ أطل عليهم في بداية القرن الخامس الهجري وشُرح عدة شروح أشهرها شرح ابن أبي الحديد وهو شرح حافل وموسوعة ثقافية))[٥]، وقد أشاد به محقق الكتاب الإستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم بقوله : ((نقل إلى هذا الكتاب عصارة ما في كتب الأدب والنقد والتاريخ والنسب والمغازي والسير والفقه والجدل والمناظرة وعلوم الكلام وخلاصة ما اشتملت عليه الرسائل والمتون والشروح والحواشي والتعاليق ، وطرّزه بما اختار من روائع الخطب ونوابع الحكم

ومصطفى الرسائل ، ثمّ وشّاه بما انتخله من دواوين الشعراء ... من فاخر القول وحرّ الكلام ... وقد ارتفع أسلوبه عن الخلل والتعقيد ، وتجافى عن الركاكة والتعسف والإبهام ، والتزم الأسلوب الرصين والتعبير الفصيح واللفظ العربي الأصيل ...))[٦] .

ولعل أهمية الكتاب تظهر جليا باعتماد بعض شراح نهج البلاغة عليه مثل الشيخ محمد عبده و د. صبحي الصالح الذي يقول : ((مَن يقارن بين شرحنا لمعاني الألفاظ الغريبة وشرح الشيخ

---

(٢) روضات الجنات ٥ / ٢٠ .
(٣) ابن أبي الحديد سيرته وآثاره / ٤٤ .
(٤) السابق / ٢١٧ .
(٥) العذيق النضيد / ٨٩ .
(٦) نهج البلاغة بين الإمام علي والشريف الرضي د . عبد الفتاح محمد الحلو ، مجلة كلية اللغة العربية ع٥ س ١٩٧٥/ ١٩٧ .
(١) شرح النهج ١ / ١١ـ ١٢ (مقدمة المحقق) .

محمد عبده يخيل إليه أنّ قدرا كبيرا منها متماثل ومتشابه إلى حد بعيد ، والسرّ في هذا أنّ كلاً منا عوّل على شرح ابن أبي الحديد في مواضع كثيرة ، وكان لزاما علينا أن نعوّل عليه لأنه أفضل الشروح ، فحيثما تجد تشابها في عبارتينا فإنما مردّه إلى اقتباسنا كلينا ما لم يكن بَدٌّ من استحسانه من أقوال ابن أبي الحديد))[1] .

لذا يعدّ الكتاب من المصادر المهمة لاختصاصات كثيرة ويوافق اغلب الميول والاتجاهات فضلا عمّا به من متعة وتشويق تساعدان على الاستمرار في قراءته دون انقطاع أو ملل .

وبالجملة . كما يقول د . صفاء خلوصي . : ((هكذا نجد بوجه عام أنّ ابن أبي الحديد قد جعل شرح نهج البلاغة إطارا جميلا لصورة رائعة تزدحم فيها الوقائع التاريخية والبحوث الأدبية والمنافسات الفلسفية فهو بحق منجم لكنوز دفينة لا تقوّم بثمن))[2].

(٢) نهج البلاغة تحقيق صبحي الصالح / ٢١ .
(٣) الكنوز الدفينة في شرح ابن أبي الحديد ، مجلة المعلم الجديد ، ج ٣ ـ ٤ مجلد ٢٤ تموز ١٩٦١ / ١ ـ ٢٢ .

الفصل الثـانـي

مصادره ومنهجه في النحـو

الفصل الثاني : مصادره ومنهجه في النحو

مصادره في النحو وتشمل :

١ . القرآن الكريم وقراءاته . ٢ . الشعر العربي .

٣ . الحديث النبوي وكلام الصحابة . ٤ . الأمثال وأقوال العرب .

١ . القرآن الكريم وقراءاته :

سبق أن تحدثتُ عن هذا المصدر في الفصل الأول لكونه من مصادر الاستشهاد عند ابن أبي الحديد في شرح النهج في موضوعات مختلفة ، والآن أتحدثُ عنه مصدرا مهما من مصادره في النحو .

لقد استشهد ابن أبي الحديد بأكثر من (ثمانين) آية قرآنية في المسائل النحوية التي تحدث عنها معززا القياس النحوي تارة أو صحة ما يتحدث عنه من توجيه إعرابي تارة أخرى وأحيانا يتناول الآية القرآنية أولا ثمّ يذكر ما فيها من مسائل نحوية خاضعا تلك المسائل لتوجيه المعنى المراد ومن أمثلة ذلك :

. تعدي الفعل بحذف حرف الجر ففي قول الإمام (ع) : ((وأيمُ اللهِ لأفرطَنّ لهم حوضا أنا ماتحه ...)) يقول : ((تقدير الكلام : وأيمُ اللهِ لأفرطَنّ لهم إلى حوض ، فلما حذف الجار عدّى الفعل بنفسه فنصب كقوله تعالى : (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ)[١] [٢] .

ـ وفي قول الإمام : ((عزِب رأي امرئ تخلّف عني)) يقول : ((يحتمل أن يكون هذا الكلام إخبارا وأن يكون دعاءً كما أنّ قوله تعالى : (حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ)[٣] يحتمل الأمرين))[٤] .

. وفي قول الإمام : ((اقرب بقوم من الجهل ...)) يقول : ((أي ما أقربهم من الجهل كما قال تعالى : (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ)[٥] أي ما أسمعهم وأبصرهم))[٦] .

ـ وفي قول الإمام : ((بِئستْ الدار لمَن يتهمها ...)) يقول : ((حذف الضمير العائد إلى (بئس) وتقديره هي كما قال تعالى : (نِعْمَ الْعَبْدُ)[٧] وتقديره هو))[٨].

وأحيانا يتناول الآية القرآنية بالتأويل النحوي موجها إياه إلى المعنى الذي يريده رابطا ذلك بمذهب المعتزلة ففي قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ)[٩] يقول :

---

(١) الأعراف / ١٥٥ .
(٢) شرح النهج ١ / ٢٤٠ ، وينظر الكتاب ١ / ٣٨ ، ومعاني الفراء ١ / ١٩٥ .
(٣) النساء / ٩٠ .
(٤) شرح النهج ١ / ٢١١ ، وينظر معاني الفراء ١ / ٢٨٢ ، والمقتضب ٤ / ١٢٤ .
(٥) مريم / ٣٨ .
(٦) شرح النهج ١٠ / ٧٣ ، وينظر معاني الفراء ٢ / ١٣٩ ، والأصول ١ / ١١٨ .
(٧) ص / ٣٠ .
(٨) شرح النهج ٧ / ٢٣٣ ، وينظر الأمالي الشجرية ١ / ٥٥ ، والبحر المحيط ٧ / ٣٩٦ .
(٩) التغابن / ٢ .

((هذا يقتضي أنّ مَن لا يكون مؤمنا فهو كافر ، والفاسق ليس بمؤمن فوجب أن يكون كافرا الجواب : إنّ (مِن) ها هنا للتبعيض وليس ذكر التبعيض نفي الثالث كما أنّ قوله تعالى : (وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ)[1] ، لا ينفي وجود دابة تمشي على أكثر من أربع كبعض الحشرات))[2] .

أما القراءات القرآنية فننقل قول السيوطي : ((كل ما ورد أنه قُرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا أم أحادا أم شاذا))[3] .

وقد اختلف كل من البصريين والكوفيين في الاستشهاد بالقراءات ، ويرى أحد الباحثين أنّ البصريين استبعدوا عن منهجهم الاستشهاد بالقراءات إلا إذا كان هناك شعر يسندها أو كلام عربي يؤيدها أو قياس يدعمها[4]، أما الكوفيون فقد كانوا أوسع أفقا في مجال القرآن الكريم والاستشهاد به من البصريين فقبلوا بكل ما جاء من القرآن الكريم مؤثرين في أحايين كثيرة عدم التأويل والتخرج[5] ، ويرى آخر أنّ القراءات ((مصدر هام من مصادر النحو الكوفي ولكنّ البصريين كانوا قد وقفوا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية وأخضعوها لأصولهم وأقيستهم ، فما وافق منها أصولهم ولو بالتأويل قبلوه ، وما أباها رفضوا الاحتجاج به ووصفوه بالشذوذ كما رفضوا الاحتجاج بكثير من الروايات اللغوية وعدوها شاذة تحفظ ولا تقاس))[6] .

والمتأمل للقراءات التي ذكرها ابن أبي الحديد لم يجد أنه خطّأ أحدها أو ضعّفها أو وقف إلى جانب قارئ دون غيره بل أخذ بالقراءات جميعها سواء أكانت متواترة أو شاذة فضلا عن استشهاداته النحوية واللغوية منها ، وهذا دليل على جواز الاحتجاج بها جملة وتفصيلا متبعا بذلك نهج المدرسة الكوفية التي كادتْ في زمنه أن تختفي بعد سيطرة النحو البصري في المدارس النظامية والمشايخ .

وهذه بعض الأمثلة التي تبين كيف افاد ابن أبي الحديد من القراءات مصدرا من مصادره النحوية :

. تخريج بعض الأساليب اللغوية وذلك عند شرحه نصا من كتاب للإمام عليّ (ع) : ((أنا أذّكّر اللهَ مَن بلغَهُ كتابي هذا لمّا نفر إليّ ...)) إذ يقول : (((لمّا) ها هنا بمعنى (إلا) كقوله تعالى : (إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)[7] في قراءة مَن قرأها بالتشديد))[8] .

---

(١) النور / ٤٥ .
(٢) شرح النهج ٨ / ١١٨ .
(٣) الاقتراح / ١٧ .
(٤) القرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية / ٩٧ ، وينظر اثر القراءات في الدراسات النحوية / ٥٧ .
(٥) السابق / ٣٤ .
(٦) مدرسة الكوفة / ٣٨٤ .
(٧) الطارق / ٤ ، قرا الجمهور (لما) خفيفة ، وقرأ الحسن والأعرج وقتادة وعاصم وابن عامر وحمزة وابن عمرو بخلاف عنهم (لمّا) مشددة ، وهي بمعنى (إلا) لغة مشهورة في هذيل ، ينظر معاني الفراء ٣ / ٢٥٥ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٥٤ .
(٨) شرح النهج ١٧ / ١٤٠ ، وينظر التبيان ٢ / ٢٨ .
(١) يونس ٣٠ ، قرأها عبدالله بن مسعود (تتلو) بالتاء ، وقرأها مجاهد (تبلو) أي تخبره وتراه ، وكذلك قرأها عبدالله بن عباس ، ينظر معاني الفراء ١ / ٤٦٣ ، وروي عن عاصم (نبلو) بنون وياء أي نختبر ، ينظر البحر المحيط ٥ / ٥٣ .

وأحيانا يوجه الإعراب بحسب القراءة دون أن يُخطئ أحدها من ذلك :

. قوله تعالى : (هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ)[1] يقول : ((تبلو كل نفس ما أسلفتْ : تخبر وتعلم جزاء أعمالها ، وفيه حذف مضاف ، ومَن قرأ (تتلو) بنقطتين أي تقرأ كل نفس كتابها))[2] .

. وقوله تعالى (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ)[3] يقول : مَن قرأ (يُسبّح له فيها) بفتح الباء ارتفع رجال عنده بوجهين : أحدهما : أن يضمر له فعل يكون هو فاعله تقديره : (يسبّحه رجال) ودلّ على (يسبّحه) (يسبّح) كما قال الشاعر :

ليبك يزيدُ ضارعٌ لخصومةٍ ومختبطٌ مما تطيح الطوائحُ

أي يبكيه ضارع ودلّ على (يبكيه) لـ(يبك) .

والثاني : أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره (المسبحون رجال) ، ومَن قرأ (يسبِّح له فيها بكسر الباء فـ(رجال) فاعل ...))[4] .

وأحيانا يتحدث عن الرواية المشهورة للقراءة دون تغليط القراءة الأخرى ففي قوله تعالى :

(بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)[5] يقول الرواية المشهورة (مُكرَمون) ، وقُرئ (مُكرّمون) بالتشديد ، وقُرئ (يسبُقونه) بالضم والمشهور القراءة بالكسر

والمعنى أنهم تبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله ، وأراد أن يقول : لا يسبقونه بقولهم فحذف الضمير المضاف إليه وأناب اللام منابه))[6] .

وقد يستشهد بقراءة الكوفيين لتعزيز أحدى المسائل النحوية إذ يقول : ((المفعول فضلة وحذفه كثير نحو قوله تعالى : (اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ)[7] ، فحذف العائد إلى الموصول وقد قُرئ قوله تعالى : (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ)[8] ، و(ما عملتْ أيديهم) بحذف المفعول))[9].

فضلا عن ذلك فقد استشهد بالقراءات الشاذة وعدها لغة لا بأس بها ، فمن كتاب للإمام عليّ(ع) ((... ولتكُفف أقراصك)) يعلق على ذلك يقوله : ((التاء ها هنا للأمر عوض الياء

وهي لغة لا بأس يها ، وقد قيل إنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قرأ : (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ)[10]

---

(٢) شرح النهج ١١ / ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(٣) النور / ٣٦ ، قرأ الجمهور (يسبح) يكسر الباء وابن حيوة وابن وثاب كذلك إلا أنه بالتاء من قوق ، وقرأ عامر وشعبة عن عاصم (يسبح) بفتح الباء ، ينظر معاني الفراء ٢ / ٢٥٣ ، وإعراب النحاس ٢ / ٤٤٤ ، والبحر المحيط ٦ / ٤٥٨ .

(٤) شرح النهج ١١ / ١٧٧ ـ ١٧٨ ، وينظر الكتاب ١ / ٢٨٨ ، و لبيان ٢ / ١٩٦ .

(٥) الأنبياء / ٢٦ ، ٢٧ ، قرأ عكرمة (مكرمون) بالتشديد ، والجمهور بالتخفيف ، قرئ لا يسبقونه بكسر الباء وقرئ بضمها ينظر البحر المحيط ٦ / ٣٠٧ .

(٦) شرح النهج ٦ / ٤٢٧ .

(٧) الرعـد / ٢٦ .

(٨) يـس / ٣٥ ، قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (عملت) بغير هاء ضمير وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك ، وقرا الباقون بالهاء ، ووصلها ابن كثير على أصله ، وهي في مصاحفهم كذلك ، ينظر النشر ٢ / ٣٥٣ .

(٩) شرح النهج ٧ / ٩٨ .

(١) يونس / ٥٨ ، وهي قراءة جماعة كبيرة منهم عثمان بن عفان ، وأنس بن مالك وأُبي ينظر البحر المحيط ٥ / ١٧٢ ، والجمهور على الياء وهو أمر الغائب ينظر التبيان ٢ / ٣٠ .

بالتاء))[1] .

وفي قول الإمام عليّ (ع) يصف القرآن الكريم : ((... جاءهم بتصديق الذي بين يديه)) يعلق على ذلك بقوله : ((أحد جزأي الصلة محذوف وهو المبتدأ والتقدير بتصديق هو الذي بين يديه وهو ضمير القرآن كما حُذف أحد جزأي الصلة في قوله تعالى : (تَمَاماً عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً)[2]في قراءة مَن قرأه اسما مرفوعا))[3] .

من هذا نخلص إلى أنّ ابن أبي الحديد كان ينظر باحترام للقراءات القرآنية ، ولم يطلق للقوانين المصنوعة العنان لتخضع القرآن للمقاييس المحددة كما فعل بعض النحاة القدامى في الوقت الذي كانوا فيه يستشهدون بشعر مجهول منقول عن قائل مجهول ، فلو أثبتوا قواعدهم بالقراءات لكان ذلك أولى ؛ لأنّ القراءات كما يقول السيوطي : ((ثابتة بالأسانيد المتوترة الصحيحة التي لا مطعن بها ، وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربية))[4] .

٢ . الشعر العربي :

عندما بدأتْ الدراسات الأولى للنحو شرع البصريون باستقراء اللغة واستخراج الشواهد التي يستندون إليها عند وضعهم القواعد ، فاتخذوا السماع من العرب الفصحاء وسيلة لاستقرائها وجمع الشواهد ، ولا سما في مرحلة نضج قواعد النحو في زمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ويونس بن حبيب إذ ((استوت للقوم نظرة واعية لعملية الاحتجاج بالتراث الجاهلي القديم والإسلامي المعاصر ، واكتملتْ شروط السماع ، وعرفوا مستويات متنوعة من الفصاحة))[5] وقد وقفوا في هذه اللغة التي استشهدوا بها من حيث الزمن عند أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي[6]، وذكر البغدادي في الخزانة نقلا عن ثعلب عن الأصمعي أنه قال : ((خُتم الشعر بإبراهيمَ بن هرمة وهو آخر الحجج))[7] .

أما المولدون ((فالصحيح لا يستشهد بكلامهم مطلقا ، وقيل : يستشهد بكلام مَن يوثق منهم واختاره الزمخشري فقد تمثل في أوائل سورة البقرة في الكشاف ببيت من شعر لأبي تمام وقال : وهو إن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه))[8] .

لقد التزم ابن أبي الحديد بالمدة الزمنية التي حددها النحاة والغويون لنهاية عصر الاحتجاج الشعري ، ولم يخرج عن إطارها الزمني في مسائل النحو إلا في مسألتين لا يقومان قاعدة نحوية تمثل فيهما ببيتين لأبي تمام :

---

(٢) شرح النهج ١٦ / ٢٩٦ .
(٣) الأنعام / ١٥٤ ، وهي قراءة يحيى بن يعمر وابن إسحاق برفع النون ينظر البحر المحيط ٤ / ٢٥٥ .
(٤) شرح النهج ٩ / ٢١٧ ، وينظر التبيان ١ / ٢٦٦ .
(٥) الاقتراح / ١٧ .
(٦) المفصل في تاريخ النحو ١ / ٢٠٢ .
(٧) دراسات في كتاب سيبويه / ٨٤ .
(٨) خزانة الأدب ١ / ٢٢ .

الأولى : معنى حرف الجرّ الباء في قوله :

فبما قد أراهُ ريّان مكسو المعاني من كلّ حسنٍ وطيبِ

إذ يقول : ((الباء للمجازاة الدالة على الصلة))[1] .

والثانية : في الاعتراض في قوله :

عتابُك عني . لا أبا لكِ . واقصدي ...

إذ يقول : ((لا أبا لك اعتراض جيد لأنها تعطي معنى يليق بالموضع))[2] .

لقد استشهد ابن أبي الحديد بأكثر من (سبعين) بيتا أو نصف بيت لشعراء يقع شعرهم في مرحلة الاحتجاج الشعري بعضهم صرّح بأسمائهم وهم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة والأعشى ، وطرفة ، وعنترة ، وتأبط شرّا ، وحاتم الطائي ، وكُثيّر ، والحارث بن هشام المخزومي ، وحميد بن ثور ، وجرير ، ومعقر بن حمار البارقي ، وأبو ذؤيب الهذلي وحرقة بنت النعمان بن المنذر ، وأبو وجزة ، وذو الرمة ... وهناك شعراء آخرون لم يصرح بهم منهم : عدي بن زيد العبادي ، والعجاج ، ونصيب ، وكعب بن سعد الغنوي ، والفرزدق والحطيئة ، والأحول الكندي ، وعبدالله بن عنمة الضبي ، ويبدو أنه جارى سيبويه في الاستشهاد ببعضهم على الرغم مما قيل بحقهم من التخطئة مثل الحطيئة وذي الرمة والفرزدق

ومن الملاحظ على شواهده أنه نسب (٢٥) شاهدا منها إلى قائليها ، والأخرى لم ينسبها منها شواهد سيبويه شأنه في ذلك شأن النحاة الذين عدّوا الأشعار الواردة في كتاب سيبويه حجة يمكن الاعتماد عليها وقد بلغتْ شواهده هذه (٢٠) شاهدا ، كما أنّ (٤) شواهد منها ذكرها أولا ثُمّ تناول ما فيها من مسائل نحوية أو توجيهات إعرابية ، وقد بلغتْ شواهده من أنصاف الأبيات (٢٤) شاهدا .

والمتأمل لشواهده نجده كثيرا ما يذكر الشاهد الشعري لتعزيز ما يقوله في المسألة النحوية من آراء أو تعليقات نحوية من ذلك مثلا :

. في قول الإمام (ع) : ((فما احلولت لكم الدنيا في لذاتِها ...)) يقول : ((احلولتْ : حلتْ وقد عداه حميد بن ثور في قوله :

فلمّا أتى عامان بعدَ انفصاله عن الضرع وأحلولى دماثا يرودها

ولم يجيء (افعوعل) متعديا إلا هذا الحرف وحرف آخر وهو اعروريتْ الفرس وهو

الرَّضاع بفتح الراء))[3] .

---

(١) شرح النهج ٩ / ٢١٩ .
(٢) السابق ٩ / ٤٥ .
(١) شرح النهج ٧ / ١١٨ ، وينظر الكتاب ٤ / ٧٧ .

والشاهد فيه تعدي الفعل احلولى إلى الدماث فدلّ هذا على أنّ (افعوعل) قد يتعدى ، ومعنى احلولى هنا استمرأ واستطاب وهو على هذا غير متعدٍ لأنه بمنزلة (حلا) في أنه للفاعل نفسه إلا أنه بُني على هذا للمبالغة[1] .

. وأحيانا يعلل الظاهرة اللغوية . التي عدّها العلماء خطأً . تعليلا نحويا مقنعا ففي قول ذي الرمة :

حدابير ما تنفكُ إلا مناخةً على الخسف أو نرمي بها بلدا قفرا

يقول : ((هذا البيت فيه مسألة نحوية وهي أنه كيف نقض النفي في (ما تنفك) وهو غير جائز كما لا يجوز ما زال زيدٌ إلا قائما ؟ وجوابها : إنّ تنفك ها هنا تامة أي تنفصل و (مناخة) منصوب على الحال))[2] ، وذلك أنّ الأصمعي كان يغلّط ذا الرمة في قوله : (ما تنفك إلا مناخة) لإدخاله حرف الإيجاب على (ما تنفك) ومعناها إيجاب الخبر ، والذي يخرج به عن الخطأ أن يقدّر (تنفك) تامة دون خبر ، ويكون معناها لا تنفك من السير إلا في حال أناختها[3] ويرى الفراء أنّ الانفكاك قد يكون على جهة يزال ويكون على الانفكاك الذي تعرفه ، فإذا كانت على جهة يزال فيكون بلا جحد وبلا فعل قال ذو الرمة : ... فلم يدخل فيها إلا (إلا) وهو ينوي التمام وخلاف يزال لأنك لا تقول : ما زلتُ إلا قائما[4].

. وأحيانا يستشهد للمسألة الواحدة بأكثر من شاهد شعري ، ففي قول الإمام (ع) : ((لا يُفلتك مَن أخذتَ ...)) يعلق على ذلك بصيغة طرح السؤال ثمّ الإجابة عنه بقوله : ((إن قلتَ : أفلتَ فعل لازم فما باله عدّاه ؟

قلتُ : تقدير الكلام (لا يفلتُ منك) فحذف حرف الجرّ كما قالوا : استجبتك أي استجبتُ لك قال : ... فلم يستجبْه عندَ ذاكَ مجيبُ

وقالوا : استغفرتُ الله الذنوب أي من الذنوب وقال الشاعر :

استغفرتُ اللهَ ذنبا لستُ محصيه ربّ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ))[5] .

والشاهد في البيت الثاني أراد (من ذنب) فحذف الجار وأوصل الفعل فنصب[6] ، وعند الكسائي والفراء أنّ حرف الجرّ المحذوف هو اللام قال الفراء : ((قال الكسائي : سمعتُ بعض العرب يقول : نقدتُ لها مائة ، يريد نقدتُّها مائة لامرأة تزوجها ، أنشدني الكسائي :

استغفر الله ذنبا لستُ محصيه ربّ العبادِ إليه الوجه والعمل

والكلام بـ(اللام)))[7]، وعند ابن هشام أنّ الفعل اللازم عُدّي لأنه على ((استفعل للطلب أو النسبة إلى الشيء ، وقد ينقل ذو المفعول الواحد إلى اثنين نحو : استغفرتُ الله الذنوب))[1].

---

(٢) تحصيل عين الذهب / ٤٦ ، وينظر شرح عيون الكتاب ١ / ٨١ ، والمفصل / ١٣٠ .
(٣) شرح النهج ٧ / ٢٦٥ .
(٤) تحصيل عين الذهب / ٣٩٦ ، وينظر شرح المفصل ٧ / ١٠٧ وفيها (حراجيج) مكان (حدابير) .
(٥) معاني الفراء ٣ / ٢٨١ .
(٦) شرح النهج ٧ / ١٩٧ ـ ١٩٨ ، وينظر الكتاب ١ / ٣٧ ، ومعاني الفراء ١ / ٢٣٣ ، والمسائل العسكريات / ١١٣ .
(٧) تحصيل عين الذهب / ٦٧ .
(١) معاني الفراء ١ / ٢٣٣ .

٣ . الحديث النبوي الشريف وكلام الصحابة :

تسود المباحث النحوية اليوم فكرة تمتد جذور القول بها إلى أبي حيان الأندلسي (٧٤٥ هـ) ومن قبله ابن الضائع الأندلسي (٦٨٠ هـ) مؤداها أنّ أئمة النحو المتقدمين من المصرين (البصرة والكوفة) لم يحتجوا بشيء من الحديث النبوي[٢] ، إذ يرى بعض الباحثين المحدثين أنّ الحديث لم يجوّز اللغويون والنحاة الأولون . كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من البصريين ، والكسائي وهشام والفراء وغيرهم من الكوفيين . الاستشهاد به في النحو وحاكاهم المتأخرون من بغداد والأندلس اللهمّ إلا جماعة منهم في مقدمتهم ابن مالك[٣] ، ويرى آخر أنّ أوائل النحاة احتجوا بالحديث الشريف وإن كان احتجاجهم به في النحو والصرف قليلا ، وإنّ مَن جاء بعدهم من النحاة على اختلاف أمصارهم بصريين كانوا أم كوفيين أم بغداديين تابعوهم في الاحتجاج به على قلة أيضا ، وإن كان متأخروهم قد زادوا من عدد الأحاديث المحتج بها إلا أنهم لم يتوسعوا فيه[٤].

((لقد ابتدأ التوسع في الاستشهاد النحوي بالحديث الشريف بالسهيلي (٥٨١ هـ) وابن خروف (٦٠١هـ) ، وبشكل أوسع عند ابن مالك (٦٧٢ هـ) ثمّ الرضي الاسترابادي (٦٨٨ هـ) الذي تميز بأمر هو الأخذ بكلام أهل البيت حجة لا تشكك فيها من حيث الفصاحة والسلامة اللغوية))[٥] .

ولعل ابن أبي الحديد (٦٥٦ هـ) قد سبق ابن مالك في الاستشهاد النحوي بالحديث كما سبق الرضي الاسترابادي بالأخذ بكلام أهل البيت ولاسيما الإمام عليّ (ع) إذ عدّه حجة على علماء اللغة ، وأهم دليل لدينا هو جهوده النحوية المستنبطة من كلام الإمام عليّ ، فلابُدّ إذن يعدّ الحديث النبوي حجة أقوى من كلام الإمام ، ولاسيما أنهما نابعان من عصر واحد لأنّ ((نهج البلاغة حال المرويات عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في جوامع الأخبار وكتب الحديث منه ما هو قطعي الصدور ومنه ما يدخل في أقسام الحديث المعروفة كالصحيح والموثوق والحسن والمرسل وغيرها))[٦] ، وليس عند ابن أبي الحديد شكّ بأنها رويت بالمعنى كما قال مَن قال عن الأحاديث النبوية التي استبعدها النحاة من شواهدهم النحوية ، وهم بهذا قد أضاعوا ربع اللغة العربية تقريبا ، ثمّ إذا كان الصحابي قد رواها بالمعنى أ ليس كلام الصحابي مما يستشهد به في اللغة والنحو ؟

---

(٢) مغني اللبيب ٢ / ٥٢٣ .
(٣) ينظر الحديث النبوي وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية / ٣٠٧ .
(٤) مدرسة الكوفة / ٧٢ ، وينظر تاريخ الأدب العربي / ٣٨ ، و مدرسة البصرة / ٢٥٦ ، والقرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية / ٩٧ .
(٥) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث / ٤٢٣ .
(٦) الحديث النبوي وأثره في الدراسات اللغوية / ٣٣٨ ـ ٣٣٩ ، وينظر موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث / ٤٢٣ .
(٧) مصادر نهج البلاغة / ٢٨ .

لقد استشهد ابن أبي الحديد بالحديث النبوي كثيرا في تفسيره وشرحه للألفاظ الواردة في نهج البلاغة إلا انه لم يكن مكثرا في الاستشهاد به في موضوع النحو إذ بلغتْ (٥) أحاديث نبوية وهذه بعض الأمثلة منها :

. الأمر بمعنى الخبر في قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((مَن كَذِبَ عليّ متعمدا فليتبوأ مقعدَه من النارِ))[١]، إذ يقول : ((كلام صيغته الأمر ومعناه الخبر كقوله تعالى : (قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً)[٢]))[٣] .

. لقد تناول هذا الموضوع الكثير من النحاة الذين سبقوا ابن أبي الحديد مستشهدين بالآية السابقة ، ولم يضف إلى كلامهم شيئا إلا الحديث النبوي الشريف[٤] .

ـ تعدي الفعل (صبر) في قول الإمام (ع) : ((اصبروا لها أنفسكم)) إذ يقول : ((اصبروا : مأخوذ من قوله تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ)[٥] يقال : صبر فلانٌ نفسَهُ على كذا أي حبسها عليه يتعدى فينصب قال عنترة :

فصبرتُ عارفةً لذلك حرّة ترمو إذا نفسُ الجبان تُطلّع

أي حبستُ نفسا عارفة ، وفي الحديث النبوي في رجل أمسك رجلا وقتله قال (صلى الله عليه وسلم) : ((اقتلوا القاتلَ واصبروا الصابرَ)) أي احبسوا الذي أمسكه حتى يموت))[٦].

. حذف المضاف في حديث نبوي أورده الإمام في خطبة له : ((يُبلى مَن بلى منّا وليس ببالٍ)) إذ يقول : يبلى كفن مّن بلى منّا وليس هو ببالٍ فحذف المضاف))[٧] .

أمّا كلام الصحابة فقد استشهد به في النحو منهم أبو بكر الصديق[٨]، وعمر بن الخطاب[٩]، وأم سلمه[١٠] (رض) ، ففي حديث أم سلمة لعائشة تذكّرها بعهد للرسول (صلى الله عليه وسلم) لها : ((أطوعُ ما تكونين للهِ إذا لزمته ...)) يقول : ((أطوع : مبتدأ و (إذا لزمته) : خبر المبتدأ والضمير في لزمته راجع إلى العهد الذي أُمِرتْ به))[١١].

٤ . الأمثال و أقوال العرب :

ذكرتُ أنّ ابن أبي الحديد قد استشهد بالأمثال وأقوال العرب في شرحه للنهج كثيرا ولا سيما في توضيح بعض المفردات اللغوية أو تفسيرها .

أمّا في النحو فقد كان مقلا فيها إذ صرّح بخمسة من الأمثال بقوله : ((جاء في المثل))

---

(١) المسند ٢ / ٤٩٢ .
(٢) مريم / ٧٥ .
(٣) شرح النهج ١١ / ٤٠ .
(٤) ينظر الأمالي الشجرية ١ / ٢٧٠ ، والمسائل العسكريات / ٩٩ ، وشرح اللمع ٢ / ٤٠٨ ، ٤١٥ .
(٥) الكهف / ٢٨ .
(٦) شرح النهج ٦ / ٣٥٤ ـ وينظر الزاهر ٢ / ٢١٢ .
(٧) السابق ٦ / ٣٧٨ .
(٨) ينظر السابق ١٤ / ٣٣ .
(٩) ينظر السابق ٢ / ٤٠ ، و ١٢ / ١٢٨ ، و ١٣ / ١٨٢ .
(١٠) ينظر السابق ٦ / ٢٢٢ .
(١١) السابق ٦ / ٢٢٤ .

والأخرى اكتفى بقوله : ((قولهم)) أو ((قالت العرب)) دون أن يذكر القائل أو يحدد القبيلة أو المكان الذي قيلت به ، وهذه بعض الأمثلة :

ـ في قول الإمام : ((كناقل التمر إلى هجر)) بقول : ((مثل قديم وهجر : اسم مدينة لا يتصرف للتعريف والتأنيث وقيل : اسم مذكر مصروف ، وأصل المثل : كمستبضع تمر إلى هجر[1]))[2] .

. وقولهم : ((النارَ ولا العارَ))[3] يقول : ((النار والعار منصوبان بإضمار فعل أي ادخلوا النار ولا تلزموا العار وهي كلمة جارية مجرى المثل))[4] .

. وفي قول الإمام : ((عضوا على النواجذ فأنه أنبى للسيوف عن الهام ...)) يقول : ((قوله (فأنه أنبى) الضمير راجع إلى المصدر الذي دلّ الفعل عليه تقديره : فأنّ البعض انبى كقولهم ك مَن فعلَ خيرا كان له خيرا أي كان فعله خيرا))[5] .

وأحيانا يعزز المسألة اللغوية بأقوال العلماء فضلا عن استشهاده بالمثل ففي لفظة (أسوة) يقول : ((يجوز أُسوة وإسوة ، والمساوئ العيوب ساءه يسوءه بالفتح مساءة ومسائية وسوته وسواية ومساية بالتخفيف ، وسال سيبويه الخليل عن (سوائية) فقال : هي فعالية بمنزلة علانية والذين قالوا (سواية) حذفوا الهمزة تخفيفا قال : وسألته عن (مسائية) فقال : هي مقلوبة واصلها (مساوئة) حذفوا الهمزة أيضا تخفيفا ومن أمثالهم : الخيل تجري في مساويها[6]))[7] .

منهجه في النحو :

يولي ابن أبي الحديد للنحو أهمية كبيرة في شرحه للنهج ، فهو من الموضوعات التي ذكرها في منهجه العام في كتابه الذي ((بسط القول في شرحه بسطا اشتمل على الغريب والمعاني وعلم البيان ، وما عساه يشتبه ويشكل من الإعراب والتصريف))[8] إلا أنه لم يفرد فيه أبوابا أو فصولا عند عرضه المادة النحوية ، فهو يتناول مفردات النصّ أولا ويعالجها من حيث معناها المعجمي أو السياقي ويذكر تصريف الكلمة واشتقاقها ثمّ يعرض المسألة النحوية التي كثيرا ما يوجهها توجيها إعرابيا مرتبطا بالمعنى أو السياق ؛ إذ يرى أنّ النحو ضروري لفهم المعنى وما يؤكد ذلك أنه ساق هذا الخبر :

قال : ((أنشد منشد بحضرة الواثق هارون بن المعتصم :

أ ظلومٌ إنّ مصابَكم رجلا أهدى السلام تحية ظلمُ

---

(١) جمهرة الامثال ٢ / ١٣٥ وفيه (خيبر) مكان (هجر) ، وينظر مجمع الأمثال ٢ / ١٥٢ .
(٢) شرح النهج ١٥ / ١٨٨ .
(٣) جمهرة الأمثال ٢ / ٢٥٣ .
(٤) شرح النهج ١٣ / ١٨١ .
(٥) السابق ٥ / ١٦٩ .
(٦) مجمع الأمثال ١ / ٣٠٦ .
(٧) شرح النهج ٩ / ٢٣٢٠ ،ة وينظر الكتاب ٤ / ٣٩٧ ـ ٣٨٠ . .
(٨) السابق ١ / ٤ (مقدمة ابن أبي الحديد) .

فقال شخص : (رجل) خبر (إنّ) ووافقه على ذلك قوم وخالفه آخرون فلما حضر أبو عثمان المازني أنشد البيت منصوبا فقال له الواثق : أين خبر (إنّ) ؟ فقال : (ظلم) لأنّ البيت إن لم يجعل (ظلم) خبر(إنّ) يكون مقطوع المعنى عديم الفائدة))[1] .

وهذا الموقف عينه كثيرا ما نجده متناثرا في عرضه للمسائل النحوية ، فمثلا ورد في موضع ردّه على القطب الراوندي في قول الإمام (ع) : ((حتى أعنقوا في حنادس جهالته أو مهاوي ضلالته ذُللا عن سياقه ، سلسا في قياده أمرا تشابهت القلوب فيه ...)) ما يوضح ذلك بقوله : ((أعنقوا : أي أسرعوا منقادين لسوقه إياهم ، قوله (أمرا) منصوب بتقدير فعل أي اعتمدوا أمرا ، قال الراوندي : (أمرا) منصوب ها هنا لأنه مفعول به وناصبه المصدر الذي هو سياقه وقياده تقول : سقتُ سياقا وقدتُ قيادا ، وهذا غير صحيح ؛ لأنّ مفعول هذين المصدرين محذوف تقديره : عن سياقه إياهم وقياده إياهم وهذا هو معنى الكلام ، ولو فرضنا مفعول أحد هذين المصدرين (أمرا) لفسد معنى الكلام))[2] .

كما يرى أيضا أنّ النحو نافع في الفقه إذ يورد قول بعض النحاة لبعض الفقهاء الزاعمين أن لا حاجة للفقه في النحو ما تقول لرجل قال لزوجته : أنت طالق إن دخلتِ الدار ؟ فقال : لا يقع إلا بالدخول ، فقال : فإن فتح الهمزة ؟ قال : كذلك ، فعّرفه أنّ العربية نافعة في الفقه وأنّ الطلاق منجز لا معلق إن كان مرده تعليق الطلاق بوقوع الدخول لاشتراطه به[3] .

ويرى أيضا أنّ الإعراب والتمكن منه دليل على فصاحة المتكلم أو الخطيب أو الكاتب إذا كانت فواصل كلامه منصوبة كلها أو مرفوعة مثلا فمن كتاب للإمام علي(ع) إلى عبدالله بن عباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر (رضي الله عنهم) : ((عندَ اللهِ نحتسبُهُ ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسفا قاطعا وركنا دافعا ... قد كنتُ حثثتُ الناس إلى لحاقه ... ودعوتُهم سرّا وجهرا وعودا وبدءا ، فمنهم الآتي كارها ومنهم المعتل كاذبا ومنهم القاعد خاذلا ...)) يعلق ابن أبي الحديد على ذلك بقوله : ((انظر إلى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها وتملكه زمامها واعجب لهذه الألفاظ المنصوبة يتلو بعضها بعضا ... وأنت وغيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب أو خطبة جاءت القرائن والفواصل تارة مرفوعة وتارة مجرورة وتارة منصوبة وإذا أرادوا قسرها بإعراب واحد ظهر منها في التكلف أثر بين وعلامة واضحة ... انظر إلى الصفات والموصوفات في هذا الفصل كيف قال : (ولدا ناصحا) و(عاملا كادحا) و(سيفا قاطعا) و(ركنا دافعا) ، ولو قال (ولدا كادحا) و(عاملا ناصحا) وكذلك ما بعده لمّا كان صوابا ولا في الموقع واقعا))[4] .

---

(١) شرح النهج ١٨ / ٩٦ ، وينظر الأصول ١ / ١٦٥ ، ومغني اللبيب ٢ / ٥٣٩ .
(٢) السابق ١٣ / ١٤٩.
(٣) السابق ٩ / ٨٦ .
(١) شرح النهج ١٦ / ١٤٥ ـ ١٤٦ ..

ومما يؤكد اهتماماته النحوية أنّ له كتابا في النحو يقال إنه مفقود وهو (الحواشي على المفصل) أي المفصل للزمخشري[١] ، فضلا عن جهود نحوية متفرقة في كتابه (الفلك الدائر على المثل السائر) غير أنها قليلة إذا ما قورنت بجهوده النحوية في شرح نهج البلاغة ويرى أحد الباحثين أنّ ((شرحه على نهج البلاغة حافل بكثير من مظاهر ثقافته النحوية الدالة على سعة اطلاعه ووقوفه على دقائق هذه الصناعة ومعرفته بالمذاهب النحوية المختلفة ...)) ويضعه هذا الباحث في ((عداد كبار النحاة في عصره لما حفلت كتبه من أراء نحوية ناضجة ...))[٢] .

ولتوضيح منهجه في النحو لا بُدّ أن نستعرض أدلة الصناعة النحوية لديه وهي :

١ . موقفه من السماع :

السماع لغة هو ((ما استلذت الأذن من صوت حسن ، وهو أيضا ما سمعتَ به فشاع وتكلّم الناس به))[٣] ، واصطلاحا هو ((ما ثبت في كلام مَن يوثق بفصاحته فشمل كلام الله وهو القرآن الكريم ، وكلام نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، وكلام العرب قبل البعثة وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظما ونثرا))[٤] ، والسماع منهج اعتمده علماء العربية الأوائل في تدوين اللغة التي كانت لغة العرب الخلص مثلا وجود بعض العبارات التي تفيد استقراءهم اللغة ومتابعتها فقد نسب إلى بعضهم قوله : ((لم أجد في العربية كذا ...))[٥].

وهو يعدّ الطريق الصحيح إلى فهم خصائص اللغة والتوصل إلى كشف أسرارها وركنا مهما من أركان النحو ، وقد بُدئ العمل به في النحو واللغة قبل القياس[٦]، واشترطوا فيه شروطا تضمن سلامة المسموع في اللغة كالثقة والأمانة فيمَن يقوم بنقله من العرب ، وفيمّن تنقل عنه كذلك كما اشترطوا صحة النصوص المسموعة[٧]، واهتموا بالسند ورجاله وطبقاتهم وبينوا الموثوق فيه منهم وجاوزوا ذلك إلى النص وقائله وفصاحته أو فصاحة لغة قبيلته التي هو منها[٨] ، فقد نسب السيوطي كلاما لأبي نصر الفارابي بشأن الحد المكاني للسماع قوله ((كانت قريش أجود انتقاء للأفصح من الألفاظ ... وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس ، وتميم ، وأسد ... ثمّ هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ من غيرهم من سائر قبائلهم ...))[٩] .

---

(٢) الروضة المختارة / ١٦٦ .
(٣) ابن أبي الحديد سيرته وآثاره / ١٧٤ .
(٤) تاج العروس (سمع) ٢١ / ٢٢٤ .
(٥) الاقتراح / ١٤ .
(٦) المفصل في تاريخ النحو ١/ ٣٣ .
(٧) الشواهد والاستشهاد في النحو / ١٦٩ .
(٨) القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة / ٨٢ .
(٩) الشاهد وأصول النحو / ١٣٥ .
(١) الاقتراح / ١٩ ـ ٢٠ ، وينظر المزهر ١ / ٢١٣ .

لقد اختلف كل من البصريين والكوفيين في موقفهم من السماع إذ يرى بعض الباحثين أنّ الكوفيين قبلوا كل ما جاء عن العرب واعتدوا به ، أما البصريون فقد كانوا أكثر دقة وأشد حيطة لقد سمعوا كثيرا ، ولكنهم لم يقبلوا كل ما سمعوا[1] ، ويدعمون رأيهم بقول السيوطي : ((اتفقوا على أنّ البصريين أصح قياسا لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع ، ولا يقيمون على الشاذ ، والكوفيون أوسع رواية))[2] .

معنى ذلك أنّ الكوفيين يعتدون بالسماع أكثر من القياس عكس البصريين ؛ لذا أصبح السماع من سمات المدرسة الكوفية والقياس . وأحيانا المبالغة فيه . من سمات المدرسة البصرية وعلى هذا يقف ابن أبي الحديد إلى جانب المدرسة الكوفية في موقفه من السماع ؛ إذ عدّه حجة على بطلان قول الأصمعي ففي كلام للإمام عليّ (ع) : ((وقد أرْعَدُوا وأبْرَقُوا ومعَ هذينِ الأمرينِ الفشل ...)) يعلق على ذلك بقوله : ((أَرْعَدَ الرجلُ وأَبْرَقَ إذا أوعدَ وتهدد وكان الأصمعي ينكره ويزعم أنه لا يقال إلا رَعَدَ وبَرَقَ ولمّا احتج عليه ببيت الكُميت :

أَرْعِد وأَبْرِق يا يزيـ دُ فما وعيدُك لي بضائرِ

قال : الكميت قروي لا يحتج بقوله .

وكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) حجّة على بطلان قول الأصمعي))[3] .

وممن يوافق ابن أبي الحديد في عدّ كلام الإمام حجّة الشيخ محمد عبده في(نهج البلاغة) إذ جعل ألفاظ الإمام حجّة على معاجم اللغة فقد علّق على قول الإمام : ((لقد واسيتُهُ بنفسِي في الساعةِ التي تنكصُ فيها الأبطالُ)) بقوله : ((المواساة بالشيء الإشراك فيه ، فقد أشرك النبي بنفسه ولا يكون بالمال إلا أن يكون كفافا فإن أعطيتَ عن فضل فليس بمواساة قالوا : والفصيح في الفعل آسيتُه ، ولكنّ نطقَ الإمام حجةُ))[4] .

وكذلك د . إبراهيم السامرائي في (مع نهج البلاغة) ففي قول الإمام عليّ (ع) : ((ما هي إلا الكوفةُ أقبضُها وأبسطُها إنْ لم تكونِي إلا أنتِ تهبُ أعاصيرُكِ فقبّحَكِ اللهُ)) يقول :

((قوله (أنت) بعد إلا يعني أنّ الضمير خبر (كان) وخبر كان منصوب وهو (إياك) هذا هو الجاري في كلام العرب وعليه لغة التنزيل قال تعالى : (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)[5] ، فكيف أقول في كلامه (عليه السلام) لا بُدّ أن يكون ما جاء في كلامه قد ورد في لغة العرب والشاهد عليه العبارة نفسها))[6].

---

(٢) ينظر مدرسة البصرة النحوية / ١٤٦ ، وأبو زكريا الفراء / ٣٥٨ .
(٣) الاقتراح / ١٠٠ .
(٤) شرح النهج ١ / ٢٣٧ ، وينظر الكامل ٢ / ٢٢٤ ، وأمالي القالي ١ / ٩٦ .
(٥) نهج البلاغة ٢ / ١٩٧ .
(٦) الأنعام / ١٥١ .
(٧) مع نهج البلاغة / ٣٦ .
(١) الأمالي الشجرية ١ / ١٨١ ، وينظر النحو في اللهجات العربية القديمة / ١٣٨ ـ ١٤١ .

وأظنّ أن ظاهرة تبادل المواقع الإعرابية بين الضمائر ونيابة بعضها مناب بعض ظاهرة موجودة في لغة العرب فقد رُوي توكيد المنصوب والمجرور بالمرفوع ، ومن ذلك ما عُزي إلى الاخفش من ((أنّ العرب قد استعارت ضمير الرفع المنفصل للنصب في قولهم : لقيتُك أنت وكذلك استعاروه للجر في قولهم : مررتُ بك أنت وأكدوا المنصوب والمجرور بالمرفوع ...))[1] .

أما إذا تعارض السماع مع القياس فنجده يميل إلى السماع من ذلك قول الإمام : ((فما أخالكم)) يقول : ((أي فما أظنكم ، والأفصح كسر الألف وهو السماع وبفوائد يفتحونها وهو القياس))[2] ، حتى إذا ما استعمل القياس في أحد المسائل اللغوية يستدرك عليه بالسماع من ذلك مثلا قوله : ((أذْربيجان : اسم أعجمي غير مصروف الألف مقصورة والذال ساكنة ... والنسبة إليه أذْري بسكون الذال هكذا القياس لكن المروي عن أبي بكر في الكلام الذي قاله عند موته : ((لتألمُنّ النوم على الصوف الأذَري بفتح الذال))[3] .

وقد لا يرى ضيرا بالسماع عن العرب بلغاتهم من ذلك مثلا اختلاف العرب في باب الفعل الثلاثي (رضع) إذ يقول : ((رضِع الصبي أمه بكسر الضاد يرضَعها رَضاعا مثل سمِع يسمَع سَماعا ، وأهل نجد يقولون : رضَع يرضِع بالكسر مثل ضرَب يضرِب ضربا ، وقال الأصمعي : أخبرني عيسى بن عمر أنه سمع العرب تنشد هذا البيت :

وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضِعونها أفاويق حتى ما يدرّ لها ثُعل

بكسر الضاد))[4] .

ومن الأمثلة الأخرى التي تدلّ على تمسكه بالسماع في قول الإمام : ((ومُلْكٍ بحورِ عينٍ وحفدةٍ)) يقول : ((مَلَكِ زيدٌ بفلانة بغير ألف ، والباء هاهنا زائدة كما زيدت في : (كَفَى بِاللّهِ حَسِيباً)[5] ، وإنما حكمنا بزيادتها لأنّ العرب تقول : ملكتُ أنا بفلانة أي تزوجتها وأملكتُ فلانة بزيد أي زوجتها به ، فلما جاءت الباء هاهنا ولم يكن بدّ من إثبات الألف لأجل مجيئها جعلناها زائدة وصار تقديره : ومُلْك حورا عينا))[6] .

وأمثلة أخرى كثيرة إلا أنّ أهمها وأكثرها تأكيدا هي جهوده النحوية التي تعتمد على السماع . وهو أقوال وكلام الإمام عليّ (عليه السلام) . مما يثبت ميله إلى السماع .

٢ . موقفه من القياس :

---

(٢) شرح النهج ٧ / ٧٦ .
(٣) السابق ١٤ / ٣٣ ، وينظر الكتاب ٣ / ٣٣٦ .
(٤) السابق ٧ / ١١٨ ، وينظر مجالس ثعلب ٢ / ٤٩٠ ، وإعراب النحاس ١ / ٢٦٧ .
(٥) النســاء / ٦ .
(٦) شرح النهج ١٩ / ١٤٤ .

القياس لغة ((قاس الشيء يقيسه قيسا وقياسا أي قدّره ، والمقياس : المقدار))[١]، واصطلاحا ((حمل مجهول على معلوم ، وحمل غير المنقول على ما نقل ، وحمل ما لم يسمع على ما سمع في حكم من الأحكام وبعلة جامعة بينهما))[٢] ، من ذلك جعل المسموع أصلا وأساسا يقاس عليه ما يجدّ من ألفاظ اللغة .

والقياس ركن مهم من أركان النحو فقد جاء في تعريف النحو قولهم : ((علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي أئتلف منها))[٣] ، ولم ينشأ كاملا ناضجا دفعة واحدة وإنما نشأ ساذجا بسيطا ثمّ تطور مع الزمن ، ويقال : ((إنّ أول مَن قاس إبليس وأخطأ في القياس وهلك بخطئه))[٤]، وفي النحو ظهر عند عيسى بن عمر الثقفي وعبدالله بن أبي اساحق الحضرمي من الطبقة الأولى ثمّ جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي فاعتدّ بإحكام العقل وعنى بالقياس على أنه أصل من أصول الدراسة النحوية[٥]

وقد وصل إلى يده وتلميذه سيبويه إلى تمتم نضجه وكامل قوته وأساسا صالحا لمعرفة صيغ اللغة ، ثمّ جاء النحاة الآخرون فبُولغ في استخدامه حيث لم يعدّ قاصرا على قياس ما لم يسمع على ما سمع مما هو سائغ ومقبول وإنما أصبح وسيلة لاقتراض الغريب من الصيغ والنابي من الأساليب[٦] ، وبدلا من أن يكون أداة لتفسير اللغة كان لديهم أداة لصنع اللغة وخلق صورها ، وإيجاد صور من التعبير لم يكن يعرفها أصحاب اللغة أنفسهم حتى استحالت اللغة أو كادت إلى مجموعة من القوانين التي أغرقتها أدواتهم العقلية في قوالب معينة ثابتة[٧] .

لقد اختلف كل من البصريين والكوفيين من القياس إذ يرى أحد الباحثين أنّ البصريين يقيسون على الشائع ويضعون له القواعد والأصول وما خرج على هذه والأصول تأولوه أو رموه بالشذوذ أو بالندور أو باللحن ، أما الكوفيون فأنهم يتقبلون ما يسمعونه من الفصحاء ويقيسون عليه ولا يمنعهم هذا من تغيير أقيستهم لتوائم ما يسمعون[٨] .

وعند مناقشة الآراء السابقة يتعين علينا أن نضرب أمثلة من كتاب سيبويه لأنه قرآن النحو وقبلة النحاة وسيبويه زعيم المدرسة البصرية ، فهل خلا كتابه من الشاهد الناقص أو الشاهد المجهول قائله ؟ الجواب : كلا فقد كثُرتْ فيه الشواهد غير المنسوبة إلى قائليها لحد اليوم

---

(١) تاج العروس (قيس) ١٦ / ٤١٦ .
(٢) الشاهد وأصول النحو / ٢٢١ .
(٣) الاقتراح / ٦ ، و ٣٩ ، وينظر شرح الاشموني ١ / ٦ .
(٤) شرح النهج ١ / ٥٠٨ .
(٥) مدرسة الكوفة / ٦٥ ـ ٦٦ .
(٦) مدرسة البصرة / ٢٤٧ .
(٧) مدرسة الكوفة / ٦٥ .
(٨) ابن الحاجب النحوي آثاره ومذهبه / ٢٣٥ ، وينظر أبو زكريا الفراء / ٣٥٨ .

التي تجاوزت المائة شاهد فما ((طعن أحدٌ من المتقدمين عليه ولا ادّعى أنه أتى بشعر منكر))[١] .

ومن أمثلة شواهده :

. أهدموا بيتك لا أبا لكا وأنا أمشي الدّألا حوالكا[٢] .

قال الجرمي : ((سالتُ أبا عبيدة عن قول الراجز : أهدموا ... البيت فقلتُ لمَن هذا الشعر ؟ فقال : هذا يقوله الضب للحسل أيام كانت الأشياء تتكلم))[٣] ، وقد علّق أحد الباحثين على هذا الشاهد بقوله : ((الظاهر أنه مصنوع صنعه أحد الرواة أو قاله أحد الأعراب على لسان الحيوانات))[٤] .

فضلا عن أنّ سيبويه عزّز قياسه النحوي بشاهد مصنوع صنعه اللاحقي على إعمال (فَعِل) روى ذلك السيوطي بإسناد متصل إلى أبي عثمان المازني[٥] ، وهذا الشاهد هو :

حَذِرُ أمورا لا تضير وآمن ما ليس منجيه من الأقدار[٦] .

كما أنه لا تخلو كتب النحويين البصريين والمتأخرين من الشواهد المجهولة التي عزّزوا بها قياسهم مثل كتاب المقتضب للمبرد فيه (٥٦٠) شاهدا منها (٣٠) شاهدا مجهولة ، ومغني اللبيب لابن هشام فيه (٨٧٩) شاهدا منها (١٨٨) مجهولة في الوقت الذي أقام الباحثون الدنيا وأقعدوها على الكوفيين لأنهم جوّزوا دخول اللام في خبر (لكنّ) في الإثبات كما تدخل على خبر (إنّ) محتجين بشطر البيت :

... ولكنني من حبها لعميدُ[٧] .

مع أنهم عزّزوا سماعهم هذا بالقياس[٨]، فضلا عن أنّ هذا الشاهد قد جاء في شرح ابن عقيل بيتا كاملا وهو :

يلومونني في حبّ ليلى عواذلي ولكنني من حبها لعميد[٩] .

وأكبر الظنّ إذا كانت (إنّ) تفيد التوكيد واللام في خبرها تفيد التوكيد فقد اجتمع توكيدان لسنا بحاجة إلى الثاني كحاجتنا إليه في توكيد كلام مستدرك بـ(لكنّ) ، فالأوجه إنّ دخول اللام في خبر (لكنّ) في الإثبات له فائدة أفضل من دخولها في خبر (إنّ) لذا ليس غريبا أن يستعمل العرب هذا الأسلوب في كلامهم .

فما نُسب إلى الكوفيين من الاحتجاج بشواهد مجهولة يشترك معهم فيه البصريون أيضا ، وما

---

(١) الخزانة ١ / ١٧٨ .
(٢) الكتاب ١ / ٣٥١ .
(٣) الكامل ١ / ٣٥٦ .
(٤) الشواهد والاستشهاد / ٦٨ .
(٥) المزهر ١ / ١٤٢ .
(٦) الكتاب ١ / ١١٣ .
(٧) الاقتراح / ٣٢ ، وينظر شرح الاشموني ٢ / ٢١٤ .
(٨) الإنصاف ١ / ١٢٨ ـ ١٢٩ .
(٩) شرح ابن عقيل ١ / ٣٦٣ ، وينظر الشواهد والاستشهاد / ٦٥ .

وما قيل عن الكوفيين إنهم ((لو سمعوا بيتا فيه جواز شيء مخالف عن الأصول جعلوه أصلا وبوبوا عليه))[1] فيه شيء من المبالغة وبعيد عن الدقة العلمية .

ومجمل القول إنّ الكوفيين قد ((توسعوا في القياس ولم يضيقوا الدائرة اللغوية التي كانوا يأخذون منها ، وكانوا يميلون إلى القياس اللغوي الذي لا يمس روح اللغة بالتأويل والتكلف عكس ما نجده في كتب أكثر نحاة البصرة الذين يميلون إلى القياس المنطقي والإغراق في التقديرات والتأويلات))[2] .

أما موقف ابن أبي الحديد من القياس فقد كان يميل إلى القياس اللغوي البعيد عن التأويلات المنطقية وهو أقرب إلى القياس التعليمي البسيط الذي يهدف إلى توضيح القاعدة للمتعلمين ومن أمثلة ذلك :

ـ من رسالة للإمام علي إلى ابنه الحسن (عليهما السلام) : ((من الوالد الفان المقر للزمان ...)) يعلق ابن أبي الحديد على ذلك بقوله : ((حذف الياء ها هنا للازدواج بين (الفان) و(الزمان) ولأنه وقف وفي الوقف على المنقوص يجوز مع اللام حذف الياء وإثباتها والإثبات هو الوجه ، ومع عدم اللام يجوز الأمران وإسقاط الياء هو الوجه))[3] .

. العَمَد : ((جمع عِماد نحو إهاب وأهب ، وإدام وأُدم وهو على خلاف القياس ومنه قوله تعالى : (فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَة)[4] ، وقوله تعالى : (رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)[5]))[6] ، وهنا عندما وجد اللفظة مخالفة للقياس احتج بشواهد من القرآن الكريم ليثبت صحة ما يتحدث عنه مما نرجح ميله إلى السماع .

. وقد يقيس على الشائع والمسموع من الكلمات مثلا ((مقتضون جمع مقتضى كمرتضون جمع مرتضى ومصطفون جمع مصطفى))[7] .

. وأحيانا يقيس الصيغة اللغوية على نظيرها من ذلك قول الإمام : ((أجزأ امرؤ قرنَه وآسى أخاه بنفسه ...)) يقول : ((من الناس مَن يجعل هذه الصيغة وهي صيغة الأخبار بالفعل الماضي في قوله : ((أجزأ امرؤ قرنه)) في معنى الأمر كأنه قال : ليُجزئ كل امرئ قرنه لأنه إذا جاز الأمر بصيغة الأخبار في المستقبل جاز الأمر بصيغة الماضي وقد جاز الأول نحو قوله تعالى : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ)[8]، فوجب أن يجوز الثاني))[9] .

---

(١) الاقتراح / ١٠٠ .
(٢) ابو العباس ثعلب وجهوده في النحو (رسالة ماجستير) / ٢٠٩ .
(٣) شرح النهج ١٦ / ٥٢ ، وينظر إعراب النحاس ٢ / ٢١٦ .
(٤) الهمزة / ٩ .
(٥) الرعد / ٢ .
(٦) شرح النهج ١٠ / ٨٣ .
(٧) السابق ٨ / ٢٤٥ .
(٨) البقرة / ٢٣٣ .
(٩) شرح النهج ٨ / ٥ ، وينظر نهج البلاغة ٢ / ٢٣٣ .

لقد جاز الإخبار بصيغة المضارع والمعنى الأمر عند نحاة كثيرين واستشهدوا في الآية السابقة[1] ، وكذلك جازت صيغة الإخبار بالماضي والمعنى الأمر الذي هو دعاء وليس أمرا حقيقيا[2] .

لقد قاس ابن أبي الحديد على النظير أو الشبيه ، وهذا القياس يسميه النحاة بـ(التضمين) والتضمين كما يقول ابن جني : ((إنّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر كان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر فإنّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأنّ هذا الفعل بمعنى ذلك الآخر فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه))[3]، وعند ابن هشام إن التضمين ((يختص عن غيره من المعدّيات بأنه قد ينقل الفعل إلى أكثر من درجة ، وعدّى ألوت بقصر الهمزة بمعنى قصرت إلى مفعولين بعدما كان قاصرا وذلك قولهم : لا ألوك نصحا لما ضمن معنى لا أمنعك))[4] ، وما ذكره ابن هشام صحيح إلا أن ما تمثل به ليس صحيحا عند ابن أبي الحديد انظر ليه ماذا يقول في وصية للإمام عليّ (ع) : ((... أني لم أُلك نصيحة ...)) في موضع ردّه على الراوندي : ((قوله : لم أُلك نصحا : لم أقصر في نصحك ، آلى الرجل في كذا يألو أي قصر فهو آل والفعل لازم ولكنه حذف اللام فوصل الفعل إلى الضمير فنصبه وكان أصله : لا آلو لك نصحا ، و(نصحا) منصوب على التمييز وليس كما قال الراوندي إنّ انتصابه على أنه مفعول ثانٍ فأنه إلى مفعول واحد لا يتعدى فكيف إلى اثنين ؟))[5] .

أما تضمين فعل لمعنى فعل آخر عنده فهو في قول الإمام يصف الدنيا : ((مَن أبصر إليها أعمته)) إذ يقول : ((إن قلت : المسموع أبصرت زيدا ولم يسمع أبصرت إلى زيد قلتُ : يجوز أنه أقام ذلك مقام قوله (نظر إليها) لما كان مثله كما قالوا في (دخلتُ البيت) و(دخلتُ إلى البيت) أجرى مجرى (ولجتُ إلى البيت) لما كان نظيره))[6] ، وكذلك في كتاب للإمام عليّ منه ((سارعناهم إلى ما طلبوا ...)) يقول : ((كلمة فصيحة وهي تعدية الفعل اللازم كأنها لما كانت في معنى المسابقة ، والمسابقة متعدية عدّى المسارعة))[7].

أما تضمين حرف الجرّ لمعنى حرف جرّ آخر فقد ورد ذلك كثيرا عنده في شرحه للنهج فعلى سبيل المثال :

. اللام بمعنى (على) في قول الإمام : ((... حتى مضى الأول لسبيله ...)) إذ يقول :

((مضى لسبيله : تقديره مضى على سبيله وتجيء اللام بمعنى (على) كقوله :

---

(١) ينظر الامالي الشجرية ١ / ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، والبيان ١ / ١٥٨ ، وشرح اللمع ١ / ٤١٥ .
(٢) ينظر المقتضب ٢ / ١٣٢ ، والمسائل العسكريات / ٩٨ .
(٣) الخصائص ٢ / ٣٠٨ .
(٤) مغني اللبيب ٢ / ٢٢٥ .
(٥) شرح النهج ١٦ / ٧٦ .
(٦) السابق ٦ / ٢٤٠ .
(٧) السابق ١٧ / ١٤٣ .

... فخرّ صريعا لليدين والفم))[1] .

ولعلّ سؤالا يطرح نفسه إذا كان ابن أبي الحديد متكلما معتزليا فهل ظهر ذلك في مسائله النحوية ؟ الجواب : نعم ، فلقد أول كلام الإمام الآتي تأويلا نحويا مرتبطا بمذهب المعتزلة فمن خطبة للإمام عليّ (ع) يصف آدم (ع) : ((أقدم على ما نهاه عنه موافاةً لسابق علمه ...)) يقول : ((قوله : موافاة لسابق علمه لا يجوز أن ينتصب لأنه مفعول له وذلك لأنّ المفعول له يكون للفعل ، ولا يجوز أن يكون إقدام آدم على الشجرة لأجل الموافاة للعلم الإلهي السابق ولا يستمر ذلك على مذهبنا بل يجب أن ينصب (موافاة) على المصدرية المحضة كأنه قال : فوافى بالمصيبة موافاة))[2] ، بيد أنه لم يُكثر من مثل هذه التأويلات في موضوع النحو والغالب على قياسه اللغوي البساطة والوضوح .

أما التعليل أو العلة التي هي فرع من القياس فقد حدد لنا العلماء العلة على ثلاثة اضرب :

((التعليمية التي يتوصل بها إلى تعلم كلام العرب من هذا النوع من العلل قولنا : إنّ زيدا قائم إ قيل بما نصبتم زيدا قلنا بـ(إنّ) لأنها تنصب الاسم وترفع الخبر ، والقياسية فإن يقال : لمَن قال نصبتم زيدا بـ(إنّ) : ولِمَ وجب أن تنصب (إنّ) الاسم ؟ الجواب في ذلك أن يقول : لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول فحملت عليه فأعملت إعماله لما ضارعته ... والجدلية النظرية فكل ما يعتل به في باب إنّ بعد هذا مثل أن يقال : من أيّ جهة شابهت هذه الحروف الأفعال ؟ وبأيّ الأفعال شبهتموها أ بالماضية أم المستقبلية أم الحادثة في الخال أم المتراخية أم المنقبضة بلا مهلة ... ؟))[3] .

فعلى هذا التقسيم نجد أنّ ابن أبي الحديد قد أخذ بالعلة التعليمية كثيرا والقياسية قليلا وابتعد عن العلة الجدلية النظرية دون أن يصرح بانّ هذه علة للمسألة أو للحُكم ، وعلله تشبه ما كان معروفا من علل النحاة الأوائل كالخليل وسيبويه وغيرهما الذي خلت تعليلاتهم إل حد كبير من الصيغة الفلسفية ويكفي بأن يقول : ((لأنه)) و ((ذلك لأن)) إلى غير هذه من الألفاظ التي تدل على كون ما بعدها علة لما قبلها من حكم ونحوه .

فمن علله التعليمية في قول الإمام : ((يدّعي بزعمه أنه يرجو الله كَذِب والعظيمِ ...)) إذ يعلل لنا هذا القسم بقوله : ((أقسم على كذب هذا الزاعم فقال : والعظيمِ ، ولم يقل واللهِ العظيم تأكيدا لعظمة البارئ سبحانه ؛ لأنّ الموصوف إذا لقي وترك واعتمد على الصفة حتى صارت كالاسم كان أدلّ على تحقيق مفهوم الصفة كالحارث والعباس))[4] .

ويعلل لنا لِمّ رُفِع الاسم قي قول الإمام : ((وداعٍ دعا وراعِ رعى ...)) إذ يقول : ((موضع

---

(١) شرح النهج ١ / ١٦٢ .
(٢) السابق ٧ / ٤ ـ ٥ .
(٣) الإيضاح في علل النحو / ٦٤ ـ ٦٥ .
(٤) شرح النهج ٩ / ٢٢٧ .

(داع) رفع لأنه محذوف الخبر وتقديره (في الوجود) داعٍ دعا))[1].

وفي موضع ردّه على الراوندي يعلل لنا الفرق بين خبر كان وأخواتها والحال فمن دعاء للإمام عليّ (ع) : ((الحمد لله الذي لم يصبح بي ميتا ولا سقيما ...)) يقول : ((ميتا : منصوب على الحال أي لم يفلق الصباح عليّ ميتا ، ولا يجوز أن تكون (يصبح) ناقصة ويكون (ميتا) خبرها كما قال الراوندي ؛ لأنّ خبر كان وأخواتها يجب أن يكون هو الاسم ألا ترى أنهما مبتدأ وخبر في الأصل واسم (يصبح) ضمير (الله) تعالى ليس هو الله سبحانه))[2].

وأحيانا يفسر معنى النص معللا استعمال اللفظ في مكانه الصحيح ففي قول الإمام : ((نحمده على ما كان ونستعين من أمرنا على ما يكون ...)) يعلل ذلك بقوله : ((لما كان الماضي معلوما جعل الحمد بإزائه لأنّ المجهول لا يُحمد عليه ، ولما كان المستقبل غير معلوم جعل الاستعانة بإزائه لأنّ الماضي لا يُستعان عليه))[3] .

أما علله القياسية فقليلة إذا ما قورنت بالعلة التعليمية من ذلك مثلا قول الإمام ((العملَ العملَ ثمّ النهايةَ النهايةَ ، والاستقامةَ الاستقامةَ ، والصبرَ الصبرَ ، والورعَ الورعَ ...)) يعلل لماذا نُصبت هذه الألفاظ ؟ وما حقيقة ناصبها ؟ ولماذا نَصب ؟ إذ يقول : ((النصب على الإغراء وحقيقته فعل مقدّر أي الزموا العمل ، وكرر الاسم لينوب أحد اللفظين عن الفعل المقدّر الأشبه أن يكون اللفظ هو القائم مقام الفعل لأنه في رتبته ، والفعل المقدّر ها هنا : راعوا واحسنوا واصلحوا ونحو ذلك))[4] .

وبالجملة إنّ قياسه وعلله هي بعيدة عن التأويلات والتقديرات المتكلف بها وعن الجدل النظري ولا نجد فيه إغراقا وفلسفةً ، وكثيرا ما يعزز قياسه بالسماع فهو من هذا الجانب أقرب إلى منهج الكوفيين منه إلى منهج البصريين .

يضاف إلى ما تقدم ميله في أغلب توجيهاته الإعرابية نحو المعنى السياقي للنص ويعللها تعليلا مرتبطا بدلالة الجملة أو المفردة فيه ، ويذكر علة رفع هذه الكلمة أو نصبها لأنّ المعنى يقتضي عطفها أو جعلها مستأنفة وما شابه ذلك ولتوضيح الأمر نضرب بعض الأمثلة :

. في قول الإمام يصف القرآن الكريم : ((خلّف فيكم ... كتابَ الله مبينا حلاله وحرامه ... بين واجب لوقته وزائل في مستقبله ومباينٌ بين محارمه)) يعلق على ذلك بقوله : ((الواجب أن يكون (ومباين) بالرفع لا بالجرّ فإنه ليس معطوفا على ما قبله ألا ترى أنّ جميع ما قبله يستدعي الشيء وضده أو الشيء ونقيضه وقوله (ومباين بين محارمه) لا نقيض له لأنه ليس القرآن العزيز على قسمين أحدهما مباين محارمه والآخر غير مباين فإنّ ذلك لا يجوز فوجب

---

(١) شرح النهج ٩ / ١٦٤ .
(٢) السابق ١١ / ٨٥ . .
(٣) السابق ٧ / ١٨١ ، وينظر نهج البلاغة (عبده) ٢ / ١٩١ .
(٤) السابق ١٠ / ٢٥ .

رفع (مباين) وأن يكون خبر مبتدأ محذوف))[1] .

. وفي موضع ردّه على القطب الراوندي في قول الإمام (ع) : ((إنّ التقوى في اليوم الحرز ... لم تبرحْ عارضةً نفسها على الأمم ... لحاجتهم إليها غدا إذا أعادَ اللهُ ما أبدى فما أقل من قبلها)) يقول : ((إذا : ظرف لـ(حاجتهم إليها) لأنّ المعنى يقتضيه أي لأنهم يحتاجون إليها وقت إعادة الله الخَلق ، وليس كما ظنه الراوندي أنه ظرف لقوله (فما أقل من قبلها) لأنّ المعنى على ما قلناه ولأنّ ما بعد الفاء لا يجوز أن يكونَ عاملا فيما قبلها))[2] .

ومن الملاحظ على منهجه في التعليل أنّ فكرة العامل مستحكمة عنده إذ يكررها في كثير من المسائل النحوية ، فلا بُدّ للإعراب من عامل ظاهر فإن لم يكن موجودا فيجب تقديره ومن أمثلة ذلك :

ـ في قول الإمام : ((ألا فاذكروا هاذم اللذات ... عند المساورة للأعمال القبيحة)) يقول : ((العامل في (عند) قوله (اذكروا) أي ليكن ذكركم الموت وقت مساورتكم))[3] .

. زمن كتاب للإمام : ((فلأيا بلأي ما نجا ...)) يعلق على ذلك بقوله : ((انتصب (لأيا) على المصدر القائم مقام الحال والعامل في المصدر محذوف))[4] .

والمعروف أنّ النصب على المصدر يقع بعد فعل من لفظه وقد بقع بعد فعل من غير لفظه وفق شروط حددها النحاة كأن يكون مرادفه أو نوعا من أنواعه ... ألخ إلا أنّ ابن أبي الحديد لا يشترط هذه الشروط فقد تنصب الكلمة على المصدر والعامل فيه من غير لفظه ومن أمثلة ذلك :

. في قول الإمام : ((أخذوا يمينا وشمالا ظعنا في مسالك الغي وتركا لمذهب الرشد))

يقول : ((نصب (ظعنا) و(تركا) على المصدرية والعامل فيهما من غير لفظهما وهو قوله (أخذوا)))[5] ، أما المصدر الذي لا عامل فيه فـ((غير جائز حذف عامله وتقدير حذفه تقدير ما لا دليل عليه)) قال ذلك في موضع ردّه على الراوندي الذي تأول قول الإمام : ((يا خيبة الداعي)) بتقدير منادى محذوف وعامل في المصدر محذوف أي يا هؤلاء ، خاب الداعي خيبة[6] .

ويبدوا أنّ أقوى العوامل لديه هو الفعل ، ويجوز عنده الاسم والعامل المعنوي فمن وصية للإمام : ((أما وصيتي فاللهَ لا تشركوا به ومحمدا صلى الله عليه وسلم فلا تضيعوا سنته)) يعلق على ذلك بقوله : ((الرواية المشهورة (الله) بالنصب وكذلك (محمدا) بتقدير فعل لأنّ

---

(١) شرح النهج ١ / ١٢٢ ، وينظر نهج البلاغة ١ / ٣٤ .
(٢) السابق ١٣ / ١٢٠ .
(٣) السابق ٧ / ٨٣ .
(٤) السابق ١٦ / ١٥٠ .
(٥) السابق ٩ / ١٢٧ .
(٦) السابق ١ / ٣٠٥ .

الوصية تستدعي الفعل بعدها أي وحدوا الله ، وقد رُوي بالرفع وهو جائز على المبتدأ والخبر))[1] ، فالرواية المشهورة عنده النصب بتقدير فعل ، ويجوز الرفع بعامل اسمي أو معنوي وهو المبتدأ والخبر لأنّ المبتدأ مرفوع بعامل الابتداء والخبر مرفوع بالمبتدأ ، ويشترط في الاسم العامل أن يكون مصدرا ، ففي قول الإمام (ع) : ((الحكمُ للهِ والمعودُ إليه يومَ القيامة)) يقول : ((رُوي (يوم) بالنصب على الظرفية والعامل فيه (المعود) على أن يكون مصدرا))[2] .

٣ . المصطلح النحوي لديه :

استعمل ابن أبي الحديد أغلب المصطلحات النحوية البصرية ، ولم يخلُ نحوه من المصطلحات الكوفية التي كادت في زمنه أن تخنفي باستثناء القليل منها ، وهذا عرض بالمصطلحات البصرية التي استعملها في مسائله النحوية :

١ . المفعول به والمفعول له :

هذه ألفاظ بصرية لأنّ المفاعيل عندهم خمسة هي : المفعول به والمفعول المطلق والمفعول فيه والمفعول له والمفعول معه ، ولا يعرف الكوفيون إلا المفعول به ، أما المنصوبات الأخرى التي هي مفاعيل عند البصريين فهي عند الكوفيين أشباه مفاعيل[3] .

وقد ورد مصطلح المفعول به عند ابن أبي الحديد ففي قول الإمام : ((قد تورّطت بمعاصيه مدارجَ سطواته)) يقول : ((يجوز انتصاب (مدارج) هاهنا لأنه مفعول به صريح ...))[4] وكذلك ورد عنده مصطلح المفعول له ، فمن كتب غريب الحديث في تتمة كلام عُمر : (فأيّما رجل بايع رجلا بغير مشورة من الناس فلا يُؤمر واحدة منهما تغرةٍ أن يقتلا)) يقول ابن أبي الحديد : ((انتصب (تغرة) ها هنا لأنه مفعول له))[5] .

ولم يرد عنده مصطلح المفعول المطلق والمفعول معه ، أما المفعول فيه فقد استعمل بدله مصطلح (النصب على الظرفية) سواء أكان الظرف للمكان أم للزمان ، فمن أمثلة ظرف المكان في كتاب للإمام عليّ : ((... قد دعوتَ إلى الحرب فدعْ الناس جانبا واخرجْ إليّ ...)) يقول : ((جانبا : منصوب على الظرف))[6] ، ومن أمثلة ظرف الزمان في قول الإمام : ((لم تخلُ من لطفه مَطرفَ عين ...)) يقول : ((مَطرف عين : بفتح الراء أي زمان طرف العين وانتصاب (مطرف) هاهنا على الظرفية كقولك : وردت مقدم الحاج أي وقت قدومهم))[7].

٢ . التمييز[8] :

---

(١) شرح النهج ٩ / ١٢٠ .
(٢) السابق ٩ / ٢٤٣ .
(٣) ينظر مدرسة البصرة / ٣٤٩ ، ومدرسة الكوفة / ٣٥٣ ، وأبو زكريا الفراء / ٤٥١ ، والمدارس النحوية / ١٦٦ .
(٤) شرح النهج ١١ / ٢٤١ .
(٥) السابق ٢ / ٤٠ .
(٦) السابق ١٥ / ٨١ .
(٧) السابق ١١ / ٢٤٢ .
(١) ينظر المصطلح النحوي نشأته وتطوره / ١٦٤ ، وأبو زكريا الفراء / ٤٤٩ .

وهو عند الكوفيين التفسير أو المفسر[١]، وقد ورد التمييز عند ابن أبي الحديد في مواضع كثيرة منها في قول الإمام عليّ(ع) : ((لقد أبرح جهالةً بنفسه)) يقول : ((جهالة : منصوب على التمييز))[٢] .

٣ . النفي[٣] :

وهو عند الكوفيين الجحد[٤] ، وقد ورد النفي عند ابن أبي الحديد ففي قول الإمام : ((كُن في الفتنة كابن اللبون لا ظهرُ فيركبَ ولا ضرعٌ فيحلبَ)) يقول : ((يركب ويحلب : منصوبان لأنهما جواب النفي))[٥] .

٤ . الصفة والموصوف[٦] :

وهما عند الكوفيين النعت والمنعوت[٧] ، وكلاهما في كتاب سيبويه[٨]، والمقتضب للمبرد[٩] ، وقد ورد مصطلح الصفة والموصوف عند ابن أبي الحديد كثيرا مثال ذلك في قول الإمام : ((بكّر فاستذكر من جمع ما قلّ منه خيرُ مما كثر ...)) يقول : ((رُوي (من جمع) بالتنوين فتكون (ما) على هذا اسما موصولا وهي وصلتها في موضع جرّ لأنها صفة (جمع) ومَن لم يروِ التنوين في (جمع) حذف الموصوف تقديره : من جمع شيء ما قلّ منه خير مما كثر ، فتكون (ما) مصدرية وتقدير الكلام : قلته حير من كثرته ويكون موضع ذلك جرّ بالصفة))[١٠] .

٥ . البدل[١١] :

وهو عند الكوفيين الترجمة والتبيين والتكرير والمردود[١٢] ، باختلاف فيما بينهم ، وقد ورد هذا المصطلح عند ابن أبي الحديد ففي قول الإمام : ((ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به)) يقول : ((أن ينزل به : موضعه رفع لأنه بدل من (الموت) والغائب المشار إليه هو الموت))[١٣].

٦ . حروف الجرّ أو حروف الإضافة [١٤]:

---

(٢) ينظر معاني الفراء ١ / ٧٩ ، ومجالس ثعلب ٢ / ٥٠٥ .
(٣) شرح النهج ١١ / ٢٤٠ .
(٤) ينظر الكتاب ١ / ١٣٥ ـ ١٣٦ ، وابو زكريا الفراء / ٤٤٢ .
(٥) ينظر معاني الفراء ١ / ٤٢٣ ، ومجالس ثعلب ٢ / ٥٤٣ ، ومدرسة الكوفة / ٣٥٤ .
(٦) شرح النهج ١٨ / ٨٣ .
(٧) ينظر مدرسة الكوفة / ٣٥٩ ، والمدارس النحوية / ١٦٧ .
(٨) ينظر معاني الفراء ١ / ١١٢ ، ١٩٨ ، ومجالس ثعلب ٢ / ٥٩٤ .
(٩) ينظر الكتاب ١ / ٤٤ ، و ٢ / ٦ .
(١٠) ينظر المقتضب ٤ / ١٩٢ ، و ٢٩٣ .
(١١) شرح النهج ١ / ٢٨٧ .
(١٢) ينظر الكتاب ١ / ١٥٠ ، ٤٣٩ ، والمصطلح النحوي / ٦٣ ، وأبو زكريا الفراء / ٤٤٣ ، والمدارس النحوية / ١٦٦ .
(١٣) ينظر معاني الفراء ١ / ١٧٩ ، ومجالس ثعلب ٢ / ٥٩١ ، ومدرسة الكوفة ٣٥٥ .
(١٤) شرح النهج ٥ / ١٤٦ .
(١٥) ينظر الكتاب ١ / ٣٨ ، وشرح المفصل ٨ / ٧ .

وهي عند الكوفيين حروف الخفض[1]، وقد يسمونها حروف الصفات[2]، وقد ورد هذا المصطلح عند ابن أبي الحديد ، ففي قول الإمام (ع) : ((تعقّبه ذات النور في الأفول والكرور)) يقول: ((حرف الجرّ (في) متعلقا بمحذوف ويكون موضعه نصب على الحال أي وتعقبه كارا وآفلا))[3] ، كما ورد مصطلح الجارّ والمجرور أيضا وذلك في موضع تعليقه على قول الإمام : ((جمعَ سبحانَه من حزن الأرض ... فجبلَ منها صورةً ... وأصلدها حتى صلصلتْ لوقتٍ معدودٍ)) يقول : ((اللام في قوله (لوقت معدود) بماذا تتعلق ؟ الجواب : إنها تتعلق بمحذوف تقديره : حتى صلصلت كائنة لوقت ، فيكون الجار والمجرور في موضع الحال))[4] .

٧ . العطف[5] :

وهو عند الكوفيين النسق[6] ، وقد يستعملون المردود ويعني المعطوف[7] ، وقد ورد هذا المصطلح عند ابن أبي الحديد في تعليقه على نصّ من كتاب للإمام عليّ : (أنا أسال الله أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه ... وتمامِ النعمة)) إذ يقول : ((إن قلتَ : قوله : (وتمام النعمة) على ماذا تعطفه ؟ قلتُ : هو معطوف على (ما) من قوله : لما فيه كأنه قال : أسال الله توفيقي لذا وتمام النعمة))[8] .

٨ . حروف الزيادة والإلغاء[9] :

وهي عند الكوفيين حروف الصلة والحشو[10]، وقد ورد هذا المصطلح عند ابن أبي الحديد ففي قول الإمام : ((ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمه من غير ما فضلٍ جعله الله فيه)) يقول : ((ما : هاهنا زائدة وتعطي معنى التأكيد))[11] ، وفي قول الإمام : ((كفى بالله منتقما ونصيرا وكفى بالكتاب حجيجا وخصيما)) يقول : ((الباء في (بالله) و (بالكتاب) زائدة والتقدير كفى الله وكفى الكتاب))[12] ، وفي قول الإمام : ((فوالله إن لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلا واحدا)) يقول : ((إن : هاهنا زائدة))[13] .

٩ . ضمير الشأن أو القصة[14]:

وهو عند الكوفيين المجهول[15]، وقد ورد هذا المصطلح عند ابن أبي الحديد فقد تأوّل الآية

---

(١) ينظر مجالس ثعلب ٢ / ١٤ ، وإعراب النحاس ١ / ١١٦ ، ومدرسة الكوفة / ٣٥٥ .
(٢) ينظر معاني الفراء ١ / ٣٢٢ ، وأبو زكريا الفراء / ٤٤٦ .
(٣) شرح النهج ٩ / ٢٥٦ .
(٤) السابق ١ / ٩٨ .
(٥) ينظر إعراب النحاس ١ / ١٢٦ ، وشرح المفصل ٨ / ٨٨ ، وأبو زكريا الفراء / ٤٥٣ .
(٦) ينظر معاني الفراء ١ / ١٥٧ ، ومجالس ثعلب ٢ / ٤٣٦ ، ومدرسة الكوفة / ٣٦٠ .
(٧) ينظر معاني الفراء ١ / ٢٥٢ ، و أبو زكريا الفراء / ٤٥٣ .
(٨) شرح النهج ١٧ / ١١٨ .
(٩) ينظر الكتاب ٣ / ١٥٢ ، وشرح المفصل ٨ / ١٢٨ ، والمدارس النحوية / ١٦٧ .
(١٠) ينظر معاني الفراء ١ / ٥٨ ، و ٣٥ ، ومجالس ثعلب ١ / ١٢٤ ، ومدرسة الكوفة / ٣٥٩ .
(١١) شرح النهج ١٣ / ١٤٥ .
(١٢) السابق ٦ / ٢٦٧ .
(١٣) السابق ٩ / ٣٠٩ .
(١٤) ينظر الأصول ١ / ٢٢٦ ، وشرح عيون الإعراب/ ١٣٨ ، و المدارس النحوية / ١٦٦ .
(١) ينظر مجالس ثعلب ١ / ١٢٥ ، وشرح المفصل ٣ / ١١٤ ، ومدرسة الكوفة / ٣٥٦ .

الكريمة : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا)[1] تأويلا مقدّرا فيها ضمير الشأن إذ يقول : ((الّا تخافوا : أن بمعنى (أي) أو تكون خفيفة من الثقيلة وأصله (أنه لا تخافوا) والهاء ضمير الشأن))[2] .

١٠ . الضمير[3] :

وهو عند الكوفيين المكنى أو الكناية[4] ، وقد ورد هذا المصطلح عند ابن أبي الحديد كثيرا من ذلك مثلا في قول الإمام (ع) : ((غرّز غرائزها وألزمها أشباحها ...)) يقول : ((الضمير في قوله (ألزمها أشباحها) عائد إلى الغرائز أي ألزم الغرائز أشباحها))[5] ، وفي قول الإمام : ((دار عبرة أنتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها)) يقول : ((الضمير في (فيها) و (عليها) ليس واحدا فأنه في (فيها) يرجع إلى الدار وفي عليها يرجع إلى النعم ، ويجوز أن يكون الضمير في (عليها) إلى الدار على حذف المضاف))[6] .

١١ . ما ينصرف وما لا ينصرف[7] :

وهو عند الكوفيين ما يجرى وما لا يجرى[8] ، وقد ورد هذا المصطلح عند ابن أبي الحديد ففي قول الإمام : ((بُعدا لهم كما بعُدتْ ثمودُ ...)) يقول : ((ثمود : إذا أردتَ القبيلة غير مصروف ، وإذا أردتَ الحي أو اسم الأب مصروف))[9] .

١٢ . الظرف[10]:

وهو عند الكوفيين الصفة أو المحل[11]، وقد ورد هذا المصطلح عند ابن أبي الحديد كثيرا من مثلا في قول الإمام : ((إنّ اليومَ المضمارَ وغدا السباق)) يقول : ((المضمار : منصوب لأنه اسم (إنّ) ، واليوم : ظرف وموضعه رفع لأنه خبر (إنّ) وظرف الزمان يجوز أن يكون خبرا عن الحدث))[12].

١٣ . الحال[13] :

وهو عند الكوفيين القطع[14]، وقد ورد هذا المصطلح عند ابن أبي الحديد كثيرا من ذلك في قول الإمام : ((ثمّ شخصتُ عنكم فلا أطلبكم ... طعّانين عيّابين)) يقول : ((انتصب (طعّانين)

---

(٢) فصلت / ٣٠ .
(٣) شرح النهج ١٠ / ٢٧ .
(٤) ينظر الأصول ١ / ١٧٦ ، وشرح المفصل ٣ / ١١٤ ، وأبو زكريا الفراء / ٤٥٠ .
(٥) ينظر معاني الفراء ١ / ١٩ ، ومجالس ثعلب ١ / ٣٣٢ ، ومدرسة الكوفة / ٣٠٩ ، وشرح الاشموني ١ / ٧٩ .
(٦) شرح النهج ١ / ٨١ .
(٧) السابق ٦ / ٢٤٦ .
(٨) ينظر الكتاب ٣ / ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ، وأبو زكريا الفراء / ٤٥٢ .
(٩) ينظر معاني الفراء ١ / ٤٢٩ ، و ٢٥٤ ، ومجالس ثعلب ٢ / ٦٥٣ ، والأشباه والنظائر ٢ / ٣٩ .
(١٠) شرح النهج ١٠/ ٧٤ .
(١١) ينظر الكتاب ١ / ٢١٦ ، والإنصاف ١ / ٤٣ ، و أبو زكريا الفراء / ٤٤٦ .
(١٢) معاني الفراء ١ / ٣٠٠ ، ومجالس ثعلب ١ / ٢١١ ، والمدارس النحوية / ١٦٦ .
(١٣) شرح النهج ٢ / ٩٣ .
(١٤) ينظر الكتاب ١ / ٤٤ ، و أبو زكريا الفراء / ٤٥٢ .
(١) ينظر معاني الفراء ١ / ٣٧٧ ، ٣٨٠ و إعراب النحاس ١ / ١٣٠.

على الحال من الضمير المنصوب في (أطلبكم)))[1] .

١٤ . الفعل المضارع[2] :

وهو عند الكوفيين المستقبل[3] ، وقد ورد هذا المصطلح عند ابن أبي الحديد مرة واحدة وهي في قول عدي بن زيد العبادي :

ساءها ما لها تبيّن في الأيـ دي واشناقها إلى الأعناق

إذ يوجه هذا البيت توجيها إعرابيا في ضوء الروايات المختلفة فيه فيقول : ((تبين : فعل ماضٍ يتبين تبينا ، ويروى (ما بنا تبينُ) بالرفع على أنه مضارع))[4] .

١٥ . اسم الفاعل وما أشبه[5] :

وهو عند الكوفيين الفعل الدائم وأحيانا يطلق عليه الفعل فقط[6] ، وقد ورد هذا المصطلح عند ابن أبي الحديد ففي قول الإمام : ((لو كان الأساس المحمول عليها والأحجار المرفوع بها ... لخفف ذلك مصارعة الشك في الصدور)) يعلق على ذلك بقوله : ((المحمول والمرفوع : يجوز أن تحمل لفظتا المفعول ضمير البيت ، فيكون مقام اسم الفاعل ...))[7] .

١٦ . ألقاب الإعراب والبناء :

وهي عند البصريين الرفع والنصب والجزم والجر للمعرب ، والضم والفتح والسكون والكسر للمبني ، وعند الكوفيين : الرفع والنصب والجزم للمعرب والمبني ولحالات أواخر الكلمات وغيرها[8]، أي أنهم لا يفرقون بين ألقاب الإعراب والبناء ، ويرى أحد الباحثين أنّ الكوفيين جعلوا ألقاب الإعراب للمبني من الكلمات وألقاب البناء للمعرب[9].

لقد استعمل ابن أبي الحديد ألقاب الإعراب للمعرب وألقاب البناء للمبني ففي لفظة (حين) في كتاب للإمام : ((على حين فاز أهل السبق بسبقهم ...)) يقول : ((قال قوم من النحاة (حين) مبني ها هنا على الفتح ، وقال قوم بل منصوب لإضافته إلى الفعل))[10] .

. اسم الفعل :

وهو من المصطلحات البصرية الخالصة ؛ لأنه عند الكوفيين فعل حقيقي[11]، وقد ورد هذا المصطلح عند ابن أبي الحديد عندما تحدّث عن لفظة (هيهات) قال : ((اسم فعل معناه بعُد))[1] .

---

(٢) شرح النهج ٧ / ٢٨٦ .
(٣) ينظر الكتاب ١ / ١٣ ، وأبو زكريا الفراء / ٤٤٠ .
(٤) ينظر معاني الفراء ١ / ٢٨ ، ومجالس ثعلب ٢ / ٤٥٦ ، و ٤٦٣ .
(٥) شرح النهج ١ / ١٧١ .
(٦) ينظر الكتاب ١ / ١٠٨ ، وأبو زكريا الفراء / ٤٥١ ، والمدارس النحوية / ١٦٦ .
(٧) ينظر معاني الفراء ١ / ١٦٥ ، ومجالس ثعلب ١ / ٣٢٧ ، ومدرسة الكوفة / ٣٥٥ .
(٨) شرح النهج ١٣ / ١٦٠ .
(٩) ينظر مدرسة الكوفة / ٣٦٠ ، وأبو زكريا الفراء / ٤٣٩ .
(١٠) ينظر المدارس النحوية / ١٦٨ .
(١١) شرح النهج ١٥ / ١٧٠ .
(١) ينظر الكتاب ١ / ٢٤١ ، ومدرسة البصرة / ٣٤٧ ، ومدرسة الكوفة / ٣٥٣ .

١٨ . الفعل المتعدي وغير المتعدي (اللازم)[٢] :

وهما عند الكوفيين (الفعل الواقع ومشتقاته)[٣] ، وقد ورد هذا المصطلح كثيرا عند ابن أبي الحديد ، ففي تعليقه على الفعل (ينقع) قال : ((هذا يمكن أن يكون لازما ويمكن ان يكون متعديا تقول : نقَع الرجل بالماء أي روى وشفى غليله ونقع الماء الصدى ينقع أي سكنه))[٤] واستعمل مصطلح (يتعدى ولا يتعدى) قال : ((أسغتُ الشراب وساغ الشراب نفسه يتعدى ولا يتعدى))[٥] ، وقال أيضا في معرض تعليقه على قول الإمام (ع) : ((تبارك الله الذي لا يبلغه بُعد الهمم)) ((يقال : بارك الله لزيد وفي زيد وعلى زيد ، وبارك الله زيدا يتعدى بنفسه ومنه قوله تعالى : (بُورِكَ مَن فِي النَّارِ)[٦]))[٧] .

المصطلحات الكوفية :

١ . المفعول[٨] :

ذكرتُ أنّ ابن أبي الحديد استعمل مصطلح المفعول به والمفعول له من المفاعيل الخمسة عند البصريين كما استعمل أيضا المصطلح الكوفي (المفعول) لأنه ليس عندهم مفعول غيره ، فمن دعاء للإمام : ((اللهمّ سقيا منك تعشبُ نجادُنا ...)) يقول : ((رُوي (نجادنا) بالنصب على أنه مفعول))[٩] ، ويتحدث عن حذف المفعول ففي قول الإمام : ((هذا أوان قويتْ عدتُه ومكنته مكيدته وأمكنت فريسته ...)) يقول : ((وأمكنت فريسته : أي مكنته فحذف المفعول))[١٠] وهو بهذا المصلح يقصد المفعول به إلا أني وجدته يستعمل (المفعول) ويقصد به (المفعول له) ففي قول للإمام : ((قد رأيتَ مَن كان قبلك ممن جمع المال وحذر الإقلال طولَ أمل ...)) يقول : ((طول أمل : منصوب على أنه مفعول)) ثمّ يستدرك ذلك بقوله : ((إن قلتَ : المفعول له ينبغي أن يكون الفعل علة في المصدر ...))[١١] ، ومما يدعم رأيه أنّ أحد شراح نهج البلاغة قال إنّ طول أمل : منصوب لأنه مفعول لأجله[١٢].

ومما يذكر أنّ النحويين القدامى استعملوا مصطلح (المفعول) ويقصدون به (المفعول به)[١٣] وهذا يعني أنّ ابن أبي الحديد قد تابع أولئك القدامى في استعماله هذا من جانب ومن جانب آخر لم

---

(٢) شرح النهج ٩ / ١٢٠ ، و ١٣ / ١٢٦ .
(٣) ينظر الكتاب ١ / ٤١ ، والمقتضب ٢ / ١٠٥ ، و ٣ / ١٢١ .
(٤) ينظر معاني الفراء ١ / ١٧ ، وأبو زكريا الفراء / ٤٥٢ .
(٥) شرح النهج ٣ / ٣٣٣ .
(٦) ا لسابق ٧ / ٧١ .
(٧) النمـل / ٨ .
(٨) شرح النهج ٧ / ٦١ .
(٩) ينظر مجالس ثعلب ٣ / ٥١٤ ، و ٥٤٥ .
(١٠) شرح النهج ٧ / ٢٦٦ .
(١١) السابق ٨ / ٢٤٦ .
(١٢) السابق ٨ / ٢٧٠.
(١٣) نهج البلاغة ٢ / ٢٣٤ .
(١) ينظر الكتاب ١ / ٣٤ ، والمقتضب ٣ / ٩٥ ـ ٩٦ ، والأصول ١ / ٢٠٨ .

يعترف ضمنا بتشقيق المفاعيل الأخرى ؛ إذ لم يرد عنده المفعول معه والمفعول فيه والمفعول المطلق .

٢ . النصب على المصدر :

وهو عند البصريين المفعول المطلق إذ ذكر احد الباحثين أنّ الفراء يستعمل (المصدر) ويريد المفعول المطلق ولا يكاد يذكر المفعول المطلق لأنه لا يعترف بتشقق المفاعيل[١] ، وقد ورد هذا المصطلح عند ابن أبي الحديد كثيرا فمن دعاء للإمام عليّ (ع) : ((انشرْ علينا رحمتك بالسحاب المنبعق سحا وابلا)) يقول : ((انتصب (سحا) على المصدر))[٢] ، وكذلك في قول الإمام : ((أخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا وصفا صفا ...)) يقول : ((زحفا زحفا منصوب على المصدر المحذوف الفعل أي يزحفون زحفا وكذلك صفا صفا))[٣] .

٣ . ما لم يسم فاعله[٤] :

وهو عند البصريين الفعل المبني للمجهول[٥]، إلا أنه لا اثر له عند سيبويه ، ومنهم مَن يسميه الفعل المبني للمفعول[٦] ، ومن المتأخرين مَن يسميه (فعل ما لم يسم فاعله)[٧] ، وقد ورد مصطلح ما لم يسم فاعله عند ابن أبي الحديد ، فمن دعاء للإمام : ((اللهمّ إنّا نعوذ بك ... أن نُفتتن في دينك)) يقول : ((نُفتتن : على ما لم يسم فاعله))[٨] ، وكذلك ورد عنده مصطلح الفعل المبني للمفعول به ، ففي تعليقه على دعاء للإمام : ((ندعوك حين قنط الأنام ومُنع الغمام)) يقول : ((إنما قال : ومُنع الغمام فبني الفعل للمفعول به لأنه كره أن يضيف المنع إلى الله تعالى وهو منبع النعم ، فاقتضى حسن الأدب أنه لم يسم الفاعل))[٩].

٤ . المستقبل :

ذكرتُ أنّ ابن أبي الحديد استعمل المصطلح البصري (الفعل المضارع) مرة واحدة وما عداها فأنه يستعمل المصطلح الكوفي (المستقبل) ، ففي موضع ردّه على بعض المفسرين في قول الإمام : ((والله لا يزالون حتى لا يدعو لله محرما إلا استحلوه)) يقول : ((تقدير الكلام لا يزالون طالبين فحذف الخبر وهو مراد وسدت (حتى) وما بعدها مسد الخبر بل تكون تامة في نفسها لأنّ تلك مستقبلها يزول بالواو وهاهنا بالألف لا يزالون))[١٠].

---

(٢) ينظر أبو زكريا الفراء / ٤٥١ .
(٣) شرح النهج ٧ / ٢٦٦ .
(٤) السابق ٨ / ٢٩٥ .
(٥) ينظر معاني الفراء ١ / ١٠٢ ، ومجالس ثعلب ١ / ٢٥٠ .
(٦) ينظر أبو زكريا الفراء ١ / ٤٤٤ .
(٧) ينظر الأصول ١ / ٨٦ ، والمفصل / ١١٦ .
(٨) ينظر شرح المفصل ٧ / ٦٩ .
(٩) شرح النهج ١١ / ٨٧ .
(١٠) السابق ٧ / ٢٦٦ .
(١) شرح النهج ٧ / ٨٧ .

من هذا العرض للمصطلحات النحوية التي استعملها ابن أبي الحديد نخلص إلى أنّ أغلب مصطلحاته كانت بصرية ، وهذا أمر طبيعي لأنّ المصطلحات البصرية سادت النحو العربي ولا سيما بعد الفرن الرابع ، واستقرت في المدارس النظامية والمشايخ فشاعت أكثر ؛ وذلك لدقة هذه المصطلحات المنطقية ، وعلى الرغم من هذه العمومية للمصلحات البصرية نجده قد استعمل مصطلحات ليست المصطلحات التي استقر عليها النحو ، ولعل هذه المصطلحات من آثار المدرسة الكوفية التي حسرت مصلحاتها النحوية .

٤ . الردّ على العلماء :

ذكرتُ أنّ لابن أبي الحديد آراءً نقدية صادرة عن ذوق سليم وحس مرهف في موضوعات الأدب والبلاغة والرواية وغيرها ، والآن أذكر طائفة من ردوده على العلماء في موضوعات اللغة تؤكد أنه يمتلك القدرة العلمية النابعة من ثقته بنفسه ولا سيما في موضوع النحو .

ويمكن تقسيم ردوده هذه على ثلاث شعب :

١ . دلالة المفردات اللغوية :

من العلماء الذين ردّ عليهم :

. أبي عبيد القاسم بن سلام عند شرحه غريب كلام علي في كتابه (غريب الحديث) :

ففي قول الإمام علي (ع) : ((مَن وجد في بطنه رزّا فلينصرف وليتوضأ)) ، ((قال أبو عبيد قال أبو عمرو : إنما هو أرزا مثل أزّ الحية وهو دورانها وحركتها فشبه دوران الريح في بطنه بذلك)) ردّ ابن أبي الحديد بقوله : ((الذي أعرفه من الأرز أنه الانقباض لا الدوران والحركة يقال : أرز فلان بالفتح وبالكسر إذا تضام وتقبض من بخله فهو أروز والمصدر أرزا وإروازا قال أبو الأسود يذمّ إنسانا : إذا سُئل آرز وإذا دُعي اهتز . يعني إلى الطعام . وفي الحديث : ((إنّ الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها)) أي يجتمع وينضم بعضه إلى بعض))[١].

. الشريف الرضي في كتاب (نهج البلاغة) :

قال الرضي : ((القزع : قطع الغيم لا ماء فيها)) ردّ ابن أبي الحديد عليه بقوله : ((القزع : لا يشترط فيها أن تكون خالية من الماء بل القزع قطع السحاب الرقيقة سواء كان فيها ماء أو لم يكن الواحدة قزعة بالفتح))[٢] ، وكذلك قول الرضي : ((الملطاط : السمت الذي أمرهم بلزومه وهو شاطئ الفرات ويقال أيضا لشاطئ البحر)) يقول ابن أبي الحديد : ((الملطاط : حافة الوادي وشفيره وساحل البحر وقول ابن مسعود : هذا الملطاط طريق بقية المؤمنين هرّابا من الدجال يعني شاطئ الفرات فأما قول الرضي : ... فلا معنى له لأنه لا فرق بين شاطئ

---

(٢) السابق ١٩ / ١٠٤ .
(٣) السابق ١٩ / ١٠٤ .

الفرات وشاطئ البحر وكلاهما واحد ، وكان يجب أن يقول : الملطاط السمت في الأرض ويقال أيضا : لشاطئ البحر))[1] .

٢ . الصرف :

. سيبويه : خالفه في وزن أحد المصادر وهو ردّ مبطن وليس صريحا ، ويبدو أنه لم يكن أسلوبه مباشرا في الردّ عليه ، ففي قول الإمام (ع) : ((قدّر الأرزاق فكثّرها وقللها ... فعدّل فيها ليبتلي مَن أراد بميسورها ومعمورها ...)) قال ابن أبي الحديد : ((الميسور والمعمور : مصدران وقال سيبويه : هما صفتان ولا يجيء عنده المصدر على وزن (مفعول) البتة ، ويتأول قولهم : دعه إلى ميسوره ويقول كأنه قال : دعه إلى أمر يوسر فيه وكذلك يتأول (المعقول) أيضا فيقول : كأنه عُقل له شيء أي حبس وأيّد وسدد))[2] .

. القطب الراوندي في كتابه (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة) في كلمة (ملاقح) قال ابن أبي الحديد : ((قال الراوندي : الملاقح هي الفحول التي تلقح ، وليس بصحيح نصّ الجوهري على أنّ الوجه لواقح كما جاء في القرآن الكريم (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ)[3] ، وقال : هو من النوادر لأنه الماضي رباعي ، والصحيح أنّ ملاقح جمع ملقح وهو المصدر من لقحتَ كضربتَ مضربا وشربتَ مشربا))[4] .

٣ . النحو :

. المبرد في الكامل روى في كتابه خطبة الأمام عليّ : ((إنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنة فمَن تركه رغبة عنه البسه الله الذلّ وسيما الخسف ...)) قال المبرد في شرحها قوله : (وسيما الخسف) هكذا حدثونا به وأظنه (سيم الخسف) فإن نصرنا ما سمعناه (فسيما الخسف) تأويله علامة الخسف قال تعالى : (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم)[5] و(يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ)[6] وسيما مقصور في معناه سيمياء ممدود قال الشاعر :

غلامٌ رماه الله بالحسنَ يافعا له سيمياء لا تشقق على البصر)) .

قال ابن أبي الحديد : ((إنّ السماع الذي حكاه أبو العباس غير مرضٍ والصحيح ما تضمنه نهج البلاغة وهو (سيم الخسف) فعل ما لم يسمَ فاعله والخسف منصوب لأنه مفعول ، وتأويله أولى الخسف وكلف إياه ... ولأنه بين أفعال متعددة بُنيت للمفعول به وهي (دُيث) و(ضُرب) و(أُديل) و(مُنع) ولا يمكن أن يكون ما بين هذه الأفعال معطوفا عليها إلا مثلها ولا يجوز أن يكون اسما))[7] .

---

(١) شرح النهج ٣ / ٢٠١ .
(٢) السابق ٧ / ٢١ ، وينظر الكتاب ٤ / ٩٧ .
(٣) الحجر / ٢٢ .
(٤) شرح النهج ٣ / ١٤٧ .
(٥) الفتح / ٢٩ .
(٦) الرحمن / ٤١ .
(٧) شرح النهج ٢ / ٧٦ ـ ٧٧ ، وينظر الكامل ١ / ١٤ .

. القطب الراوندي :

لقد ردّ عليه ردودا كثيرة في موضوعات لغوية مختلفة ، ولا سيما في النحو إذ بلغت (٢٤) ردّا وهذه بعضها :

ـ التعدي واللزوم للفعل (عاد) في قول الإمام (ع) : ((ألا وإنّ الشيطان قد ذمر حزبه ليعود الجور إلى أوطانه ويرجع الباطل إلى نصابه)) قال ابن أبي الحديد : ((قال الراوندي : يعود مثل يرجع يكون لازما ومتعديا وأجاز نصب (الجور) به ، وهذا غير صحيح لأنّ (عاد) لم يأتَ متعديا وإنما يُعدّى بالهمزة))[١] .

. الصفة بعد صفة في عهد للإمام : ((... إنّ لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا وشركاء أهل مسكنة)) قال ابن أبي الحديد : ((انتصب (أهل مسكنة) لأنه صفة شركاء وفي التحقيق أنّ (شركاء) صفة أيضا موصوفها محذوف فيكون صفة بعد صفة ، وقال الراوندي : انتصب (أهل مسكنة) لأنه بدل من (شركاء) وهذا غلط لأنه لا يعطي معناه فيكون بدلا منه))[٢] .

. البدل في قول الإمام : ((احذروا عبادَ الله عدوَ الله أن يعديكم بدائه ...)) قال ابن أبي الحديد : ((موضع (أن يعديكم) نصب على البدل من (عدو الله) ، وقال الراوندي : يجوز أن يكون مفعولا ثانيا ، وهذا ليس بصحيح لأن (حذر) لا يتعدى إلى مفعولين))[٣] .

. (من) لابتداء الغاية في كتاب للإمام : ((احذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة ...)) قال ابن أبي الحديد : ((من : لابتداء الغاية ، وقال الراوندي : منه أي البهتان الذي أتيته أي من أجله و(من) للتعليل وهذا بعيد وخلاف الظاهر))[٤].

ـ وفي قول الشريف الرضي : ((أجمعتُ بتوفيق الله سبحانه على الابتداء ...)) قال ابن أبي الحديد : ((قوله : أجمعتُ على الابتداء قال القطب الراوندي : تقديره أجمعتُ عازما على الابتداء قال : لأنه لا يقال إلا أجمعتُ الأمر ولا يقال أجمعتُ على الأمر قال سبحانه : (فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ)[٥] ، هذا الذي ذكره الراوندي خلاف نصّ أهل اللغة قالوا : أجمعتُ الأمر وعلى الأمر كله جائز نصّ صاحب الصحاح على ذلك))[٦] .

. وفي قول الإمام : ((فما عدا مما بدا ...)) قال ابن أبي الحديد : ((ظنّ الراوندي إنّ (عدا) يتعدى إلى مفعولين وإنه قد حذف الثاني وهذا غير صحيح لأنّ (عدا) ليس من الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين بإجماع النحاة ، ومن العجب تفسيره المفعول الثاني المحذوف ها هنا هو مفعول (عدا) الذي لا مفعول لها غيره فلا يجوز أن يقال إنه أول ولا ثانٍ))[٧].

---

(١) شرح النهج ١ / ٣٠٤ .
(٢) السابق ١٥ / ١٦٠ .
(٣) السابق ١٣ / ١٣٨ .
(٤) السابق ١٧ / ١٣٦ . ليس هذا من باب (أخطب ما يكون
(٥) يونس / ٧١ .
(٦) شرح النهج ١ / ٤٨ ـ ٤٩ .
(٧) السابق ٢ / ١٦٤ .

. وفي قول الإمام : ((تولدتْ فيه فتراتُ علل ، آنس ما كان بصحته ...))
قال ابن أبي الحديد : ((آنس ما كان بصحته : منصوب على الحال ، وقال الراوندي : هذا من باب (أخطب ما يكون الأمير قائما) ثم ذكر العامل في الحال فترات قال : تقديره (فترات آنس ما كان) ، وما ذكره الراوندي فاسد ، لأنه ليس من باب (أخطب ما يكون الأمير قائما) لأن ذلك حال سد مسد خبر المبتدأ ، وليس ههنا مبتدأ ، وأيضا فليس العامل في الحال (فترات) ولا (فتر) بل العامل (تولدت)))[1] .
ـ وفي قول الإمام : ((عن ذلك ما حرس الله عبادَه ، المؤمنين بالصلوات تسكينا لأطرافهم وتخشيعا لأبصارهم ... ولما في ذلك من تعفير عناق الوجوه بالتراب)) قال ابن أبي الحديد : (((ما) في قوله (عن ذلك ما حرس الله عباده) زائدة مؤكدة ... و(من) متعلقة بـ(حرس) وقال الراوندي : يجوز أن تكون مصدرية فيكون موضعها رفعا بالابتداء وخبر المبتدأ قوله (لما في ذلك) ، وقال أيضا يجوز أنن تكون نافية أي لم يحرس الله عباده عن ذلك ، والوجه الأول باطل لأن (عن) لو كان هو الخبر لتعلق لام الجر بمحذوف فيكون التقدير : حراسة الله لعباده عن ذلك كائنة لما في ذلك من تعفير الوجوه بالتراب ، وهذا كلام غير مفيد ولا منتظم إلا على تأويل بعيد لا حاجة إلى تعسفه ، والوجه الثاني : باطل لأن سياقة الكلام تدلّ على فساده ... جعل التسكين والتخشيع عذرا وعلة للحراسة ، ونصب اللفظات على أنها مفعول له))[2] .

(١) شرح النهج ١١ / ١٦٥ .
(٢) السابق ١٣ / ١٦٤ ـ ١٦٥ .

الفصل الثالث

جهوده النحوية

الفصل الثالث : جهوده النحوية

أولا : الأسماء

١ . الأسماء المبنية :

من الأسماء المبنية التي تحدث عنها ابن أبي الحديد :

الضمائر :

تحدث عن عودة الضمير على الاسم المتقدم كثيرا ومن أمثلة ذلك :

ـ في قول الإمام (ع) : ((رحِم الله رجلا رأى حقا فأعانَ عليه ، أو رأى جورا فردّه وكان عونا بالحق على صاحبه)) يقول : ((الضمير في (صاحبه) وهو (الهاء) المجرور يرجع إلى (الجور) أي وكان عونا بالعمل على صاحب الجور))[١] .

وأحيانا لا يذكر صاحب الضمير فتكون عودة الضمير إلى اسم مقدر بحسب فهم المخاطب للنص ففي قول الإمام : ((وما عليها من ثمرِ شجرٍ)) يقول : ((وما عليها أي الأرض فجاء بالضمير ولم يسبق ذكر صاحبه اعتمادا على فهم المخاطب كما قال الله تعالى (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)[٢]))[٣] .

وإذا سبق الضمير فعل فيؤوله بالمصدر ويجعل الضمير عائدا إلى ما دلّ عليه الفعل من مصدر ففي قول الإمام : ((أحمدهُ استتماما لنعمته فإنه أرجح ما وزن)) يقول : ((فأنه أرجح : الهاء عائده إلى ما دلّ عليه قوله : (أحمده) يعني الحمد ، والفعل يدلّ على المصدر وترجع إليه الضمائر كقوله تعالى : (بَلْ هُوَ شَرٌّ)[٤] ، وهو ضمير البخل الذي دلّ عليه قوله (يَبْخَلُونَ)))[٥] .

(ما) الاستفهامية :

يرى أنها لفظ يطلب به معنى الاسم كقولك : ما العنقاء ؟ أو يطلب به حقيقة الذات كقولك : ما الملك ؟[٦] ، وهي بمعنى أي شيء[٧] ، وإذا رُكّبت (ما) مع (ذا) تكون ((ذا بمعنى الذي كقوله تعالى : (مَاذَا تَرَى)[٨] أي ما الذي ترى ؟ و(ما) استفهامية كـ(أيّ) وبقال ذلك فيما يستعظم من أمره كقوله تعالى : (الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ)[٩]))[١٠].

---

(١) شرح النهج ١١ / ١٠ .
(٢) الرحمن / ٢٦ .
(٣) شرح النهج ٧ / ٣٠ ، وينظر إعراب النحاس ٣ / ٣٠٦ .
(٤) الآية بتمامها : (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ) آل عمران / ١٨٠ .
(٥) شرح النهج ١ / ١٣٣ ، وينظر الكتاب ٢ / ٩١ ، ومعاني الفراء ١ / ١٠٤ ، والمقتضب ٢ / ١٣٦ .
(٦) السابق ١٩ / ٣٣٦ ، وينظر المقتضب ١ / ٤١ ، وشرح المفصل ٤ / ٥ .
(٧) السابق ٩ / ١٠٧ ، وينظر معاني الفراء ٣ / ١٨٠ ، والأزهية / ٧ .
(٨) الصافات / ١٠٢ .
(٩) القارعة / ١ و ٢ .
(١٠) شرح النهج ٦ / ١٢٢ ، وينظر البيان ٢ / ٥٣ ، والبحر المحيط

(ماذا) عند أغلب النحويين على وجهين : إما أن يكون (ما) استفهامية و (ذا) بمعنى الذي كله استفهاما على التركيب[1] ، وأضاف آخرون أوجها أربعة أخرى[2] إلا أنّ المشهور فيها ما ذكرناه ، ولم يثبت سيبويه (ذا) بمعنى (الذي) إلا في قولهم (ماذا) وتبعه البصريون إذ لا يكون (ذا) ولا شيء من أسماء الإشارة موصولا عندهم[3] ، وخالفهم الكوفيون إذ ذهبوا إلى أنّ جميع أسماء الإشارة يجوز أن تقع موصولة وإن لم يكن معها (ما)[4] ، ولم يذكر ابن أبي الحديد إلا الوجه الأول وهو بهذا قد وافق البصريين بأنّ (ذا) لا تأتي بمعنى الذي إلا إذا رُكّبت مع (ما).

(ما) الموصولة :

وهي بمعنى (الذي) في قول الإمام (ع) : ((نحمدُهُ على ما وفق له من الطاعة))[5] ، ويجوّز حذف صدر صلتها ففي أحدى توجيهاته الإعرابية عن (ما) في قول امرئ القيس :

دعْ عنك نهبا صِيح في حجراتِهِ ولكنّ حديثا ما حديثُ الرواحلِ

يقول : ((جاز جعل (ما) موصولة بمعنى (الذي) وصلتها الجملة أي الذي هو حديث الرواحل ثُم حذف صدر الجملة كما حُذف في (تَمَاماً عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ)[6]))[7] ، وهذا من المسائل الخلافية بين النحويين سنفصل القول به عند حديثنا عن حذف المبتدأ صدر الصلة .

كيت وكيت :

يقول ابن أبي الحديد : ((هما كناية عن الحديث كما كُني بفلان عن العلم ولا تستعمل إلا مكررة وهما مخففان من (كية) وقد استعملت على الأصل وهي مبنية على الفتح ، وقد روى أئمة العربية فيهما الضم والكسر))[8] .

لقد استعمل العرب كيت وذيت على الأصل فقالوا : كان من الأمر كيه وذيه[9] ، وفي هذه الحالة ليس فيهما إلا البناء على الفتح ، والأصل فيهما البناء على السكون على أصل البناء ، فمَن فتح التاء للتخفيف لثقل الكسرة بعد الياء ومَن كسرها فعلى أصل التقاء الساكنين ومَن ضمهما فتشبيها بـ(قبلُ وبعدُ)[10] .

أسماء الإشارة :

من أسماء الإشارة التي ذكرها ابن أبي الحديد هي :

. هاتا : بمعنى هذه ففي قول الإمام : ((رأيتُ أنّ الصبرَ على هاتا أحجى)) يقول : ((هاتا

---

(١) ينظر الكتاب ٢ / ٤١٦ ـ ٤١٧ ، ومعاني الفراء ١ / ١٣٨ ، ومجالس ثعلب ٢ / ٥٣٠ .
(٢) ينظر الأزهية / ٢١٦ ، ومغني اللبيب ١ / ٣٠ ـ ٣١ .
(٣) ينظر الكتاب ٢ / ٤٠٦ ، والمفصل / ٦٠ ـ ٦١ ، والإنصاف ١ / ٤٢٤ .
(٤) ينظر شرح المفصل ٤ / ٢٤ ، والأشباه والنظائر ٢ / ٢٨٢ .
(٥) ينظر شرح النهج ١٠ / ١٦٤ .
(٦) الأنعام / ١٥٤ .
(٧) شرح النهج ٩ / ٢٤٠ .
(٨) السابق ٢ / ١١٢ ، وينظر المفصل / ٧٢ ـ ٧٣ ، والأمالي الشجرية ٢ / ٧١ .
(٩) ينظر الكتاب ٢ / ١٧٠ .
(١٠) ينظر سر صناعة الإعراب ١ / ١٦٩ ـ ١٧٠ .

بمعنى (هذه) و(ها) للتنبيه و(تا) للإشارة ومعنى (تا) ذي))[1] .

ويرى أحد الباحثين أنّ (هاتا) في قول الإمام بمعنى (هاتي) و(هات) أي هذه وهي لغة قليلة[2] وقد علل رابين قلتها أو عدم شيوعها بقوله : ((إنّ (هذه) هي اسم الإشارة للمؤنث الذي شاع استعماله في الفصحى ، وهو ناتج عن تأنيث (هذا) بالطريقة القياسية أي إضافة (ها) التأنيث مما سبب شيوعه في مختلف اللهجات التي أخذت عنها الفصحى والاستغناء عن (تا) التي لا تتمتع بهذه الميزة الصوتية))[3] .

. هنا وهناك : يرى أنّ الكاف إذا وقعت عقيب الإشارة أفادت البعد نقول للقريب هنا وللبعيد هناك وهذا منصوص عليه في العربية[4] .

مَنْ :

تأتي بمعنى شيء منكر ففي قول الإمام (ع) : ((إنّ فيما تبينتّ من إدبار الدنيا عني ... ما يزعني عن ذكر مَنْ سواي ...)) يقول : ((مَنْ بمعنى شيء منكر كقوله :

رُبّ مَن أنضجتُ غيظا قلبُهُ ...

والتقدير : عن ذكر إنسان سواي ، ويجوز أنْ تكون (مَن) الموصولة وقد حذف أحد جزأي الصلة والتقدير : عن ذكر الذي هو غيري))[5] .

وهي عند النحويين إذا كانت نكرة تقدر بـ(إنسان)[6] ، وذكر بعضهم أنّ (مَن) تكون في الخبر معرفة ونكرة فإذا كانت معرفة لزمتها الصلة كما تلزم الذي ، وإذا كانت نكرة لزمها النعت لإبهامها[7]، وهذا ما جعل ابن أبي الحديد يوجه الإعراب التوجيهين السابقين .

٢ . الأسماء المعربة :

القسم الأول ويشمل :

أ . المرفوعات :

من المرفوعات التي تحدث عنها ابن أبي الحديد هي :

١ . المبتدأ والخبر :

ذكرهما ابن أبي الحديد بتركيبهما الاعتيادي بلا تقديم أو تأخير وبلا حذف أحدهما في مواضع كثيرة ، فعلى سبيل المثال في قول الإمام : ((الناظرُ بالقلبِ العاملُ بالبصرِ يكون

---

(١) شرح النهج ١ / ١٥٢ ، وينظر المفصل / ٥٦ ، وشرح المفصل ٣ / ١٣٦ .
(٢) مع نهج البلاغة / ٣٧ .
(٣) اللهجات العربية الغربية القديمة / ٢١٨ .
(٤) شرح النهج ٨ / ٢٤١ ، وينظر شرح ابن عقيل ١ / ١٣٦ .
(٥) السابق ١٦ / ٥٧ .
(٦) ينظر الكتاب ٢ / ١٠٥ ، والجمل / ٣١١ ، والأزهية / ١٠١ .
(٧) ينظر المقتضب ١ / ٤١ ، والأصول ٢ / ١٨٤ ـ ١٨٥ .

مبتدأ عمله أن يعلم : أ عملهُ عليه أم له ؟)) يقول : ((الناظر : مبتدأ والعامل : صفة له والبصر يكون مبتدأ عمله : جملة مركبة من مبتدأ وخبر موضعها رفع لأنها خبر المبتدأ الذي هو الناظر))[1] .

ـ تقديم الخبر على المبتدأ : ذكره في قول الإمام (ع) : ((على مبلبلِ أجسامِ الملوكِ ... أشخاصُهُم جميعا إلى موقف العرض والحساب)) يقول : ((أشخاصُهم : مرفوع على الابتداء وخبره الجار والمجرور المُقدَّم وهو قوله : على مبلبل أجسام الملوك))[2] .

وفي قول الإمام : ((مسكينٌ ابنُ آدم)) يقول : ((وقد تقدم ها هنا خبر المبتدأ عليه والتقدير : ابن آدم مسكينٌ))[3] ، وفي هذا الشاهد من الممكن جعل (مسكين) مبتدأ وما بعده خبر وهو وصف لم يُسبق بنفي أو استفهام وسيأتي بيان ذلك بعد قليل ، ومن المعروف أنّ الأصل هو تقديم المبتدأ وتأخير الخبر إذا لم يحصل لبس أو غيره ، وهذا ما اختلف فيه النحاة إذ يرى البصريون جواز تقديم الخبر على المبتدأ مفردا كان أو جملة[4] ، ويرى الكوفيون عدم جواز تقديم خبر المبتدأ عليه[5] ، فعلى هذا يكون ابن أبي الحديد قد وافق البصريين بجواز تقديم الخبر على المبتدأ .

. الابتداء بالنكرة : لقد جوّز الابتداء بالنكرة لحصول الفائدة ففي قول الإمام : ((امرؤ وما اختار)) بقول : ((امرؤ : مبتدأ وإن كان نكرة كقولهم (شرّ أهرّ ذا ناب)[6] لحصول الفائدة والواو بمعنى (مع) وهي وما بعدها الخبر و(ما) مصدرية أي امرؤ مع اختياره))[7] ، وكذلك جوّز مجيء اسم ليس نكرة كالمبتدأ لأنه اعتمد على نفي ووصف لأنّ اسم ليس هو مبتدأ في الأصل قبل دخولها عليه ففي قول الإمام : ((ليس من فرائض الله شيءٌ الناسُ أشدُّ اجتماعا مع تفرّق أهوائهم من تعظيم الوفاء بالعهود ...)) يقول وهو في موضع ردّه على القطب الراوندي : ((شيء : اسم ليس وجاز ذلك وإن كان نكرة لاعتماده على النفي ولأنّ الجار والمجرور قبله في موضع الحال كالصفة فتخصص بذلك وقرُب من المعرفة))[8] .

لقد وضع النحاة شروطا معينة في الابتداء بالنكرة منها أنْ تكون موصوفة وان تعتمد على استفهام أو نفي أو إذا كان في تأويل النفي نحو قولهم : (شرّ أهرّ ذا ناب) لأنّ معناه ما أهرّ ذا ناب إلا شرٌّ على أحد القولين ، والقول الثاني : إنّ التقدير شيء عظيم أهرّ ذا ناب فيكون

---

(١) شرح النهج ٩ / ١٧٨ .
(٢) السابق ١٤ / ٣٠ .
(٢) السابق ٢٠ / ٦٢ .
(٤) ينظر الكتاب ٢ / ١٢٧ ـ ١٢٨ ، والمقتضب ٤ / ١٢٧ ، والأصول ١ / ٦٤ ، والإنصاف ١ / ٤٨ .
(٥) ينظر شرح المفصل ١ / ٩٢ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٢٢٩ ، والأشباه والنظائر ٢ / ١٧١ .
(٦) مجمع الأمثال ١ / ٣٧٠ .
(٧) شرح النهج ١٨ / ١٢٣ .
(٨) السابق ١٧ / ١٠٧ .

داخلا في قسم ما جاز الابتداء به لكونه موصوفا[1]، وهذه من المسائل الخلافية بين النحاة فقد ذهب البصريون ووافقهم الفراء والكسائي من الكوفيين إلى أنه لا يجوز الابتداء بالنكرة إلا إذا اعتمد على نفي أو استفهام أو إذا كانت موصوفة[2] ، وذهب الكوفيون ووافقهم الأخفش من البصريين إلى جواز الابتداء بالنكرة دون أن يسبقها نفي أو استفهام نحو قولهم : قائم أخوك[3] وابن أبي الحديد قد وافق البصريين في جواز الابتداء بالنكرة المعتمدة على نفي أو مؤول بالنفي والموصوفة ، وحُكي وقوع الوصف مبتدأ دون الشروط السابقة واستقبحه الخليل في مثل قولك : قائم زيدٌ[4] ، وقد رجحه أحد الباحثين مؤيدا ذلك بالسماع والقياس[5] .

. حذف المبتدأ : ذكره ابن أبي الحديد بعد فاء الجواب وهو موضع معروف في كتب النحو[6] ففي قول الإمام (ع) : ((إنْ تُؤمّل فخير مُؤمّل)) يقول : ((خير : خبر مبتدأ محذوف تقديره فأنت خير مأمول))[7]، وعندما يكون الخبر مصدرا نائبا عن فعله[8] ، ففي قول الإمام : ((إنّ اللهَ قد أوضح لكم سبيل الحق وأنار طرقه : فشقوة لازمةٌ)) يقول : ((شقوة لازمة : مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره : فغايتكم أو فجزاؤكم أو فشأنكم))[9] ، هذا الموضع وغيره مما لا خلاف فيه بين النحاة إلا أنّ الخلاف هو هل يجوز حذف المبتدأ صدر الصلة ؟ فقد ذهب البصريون إلى أنه يُحذف صدر الصلة مع (أيّ) نحو قوله تعالى : (لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ)[10] ، والتقدير : أيّهم هو أشدّ ، أو إذا طالت الصلة نحو جاء الذي هو ضارب زيدا فيجوز حذفه فتقول : جاء الذي ضارب زيدا ، فإن لم تطل الصلة فالحذف قليل[11] وأجازه الكوفيون قياسا نحو جاء الذي قائم التقدير جاء الذي هو قائم ومنه قوله تعالى : (تَمَاماً عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ)[12]في قراءة الرفع والتقدير هو أحسن[13].

وافق ابن أبي الحديد الكوفيين بجواز حذف المبتدأ صدر الصلة قياسا وإن لم تطل الصلة ففي قول الإمام يصف القرآن الكريم : ((جاءهم بتصديق الذي بين يديه)) يقول : ((أحد جزأي الصلة محذوف وهو المبتدأ والتقدير : بتقدير الذي هو بين يديه وهو ضمير القرآن وحذف أحد جزأي الصلة ها هنا ، ثُم حذفه في قوله تعالى : (تَمَاماً عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً) في

---

(١) ينظر الخصائص ١ / ٣١٩ ، والمفصل / ١٣ ، وشرح المفصل ١ / ٨٦ .
(٢) ينظر الكتاب ١ / ٣٢٩ ، ومعاني الفراء ٢ / ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ، والمقتضب ٤ / ١٢٧ .
(٣) ينظر مجالس ثعلب ١ / ٣٧٨ ، وشرح المفصل ٦ / ٧٩ ، وشرح الكافية الشافية ١ / ٣٦٤ .
(٤) ينظر الكتاب ٢ / ١٢٧ .
(٥) ينظر النحو في اللهجات العربية القديمة / ٢١٦ .
(٦) ينظر مغني اللبيب ٢ / ٦٣٠ .
(٧) شرح النهج ٧ / ٣٢ .
(٨) تنظر الأمالي الشجرية ١ / ٣٢٠ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٢٥٦ .
(٩) شرح النهج ٩ / ٢١٤ .
(١٠) مريم / ٦٩ .
(١١) ينظر الكتاب ٢ / ٤٠٠ ، والأصول ٢ / ٣٤٠ ، وإعراب النحاس ٢ / ٣٢٣ .
(١٢) الأنعام ١٥٤ ، وهي قراءة يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق برفع النون ، يُنظر البحر المحيط ٤ / ٢٥٥ .
(١٣) ينظر معاني الفراء ١ / ٣٦٥ ، وشرح المفصل ٢ / ٨٥ ، وشرح ابن عقيل ١ / ١٦٥ .

قراءة مَن جعله اسما مرفوعا))[1] ، وكذلك قاس حذف صدر صلة (مَن) في قول الإمام (ع) : ((ما يزعني عن ذكر مَن سواي)) على حذف صدر صلة (أيّ) في قوله تعالى : (لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدّ) أي هو أشدّ[2] ، وأيضا جوّز حذف صدر صلة (ما) الموصولة قياسا على قوله تعالى : (تَمَاماً عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً)))[3] ، وهذا مما يقوّي مذهب الكوفيين الذي يؤيده السماع ومنه قول الشاعر :

لا تنوِ إلا الذي خيرٌ فما شفيتْ إلا نفوسُ الألى للشر ناوونا

فحذف العائد المرفوع بالابتداء مع عدم طول الصلة والتقدير : الذي هو خير[4] .

. حذف الخبر : جوّز حذفه بعد (لا) النافية المهملة ففي قول الإمام : ((إذ لا سماءُ ذات أبراج)) يقول : ((ارتفع (سماء) لأنه مبتدأ وخبره محذوف وتقديره في الوجود))[5] ، وفي قول الإمام : ((كُن في الفتنة كابن اللبون لا ظهرٌ فيركبَ ولا ضرع فيحلبَ)) يقول : ((لا ظهرٌ فيركب : في الكلام محذوف تقديره (له) وهو يستحق الرفع لأنه خبر المبتدأ مثل قولك : لا إلهَ إلا الله تقديره لنا أو في الوجود))[6] .

وفي القول (لا إلهَ إلا الله) جعل ابن أبي الحديد اسم (لا) النافية للجنس مبتدأ محذوف الخبر والمشهور أنّ الخبر المحذوف في هذا القول هو خبر (لا) النافية للجنس وهو من الأساليب التي يكثر فيها حذف خبرها ومما بعضد ذلك أنه في موضع آخر عندما تحدث عن (لا) قال : ((إنّ خبرها محذوف في مثل قولك : لا إله إلا الله ونحوه أي في الوجود أي في الوجود أو لنا أو ما أشبه ذلك))[7] ، أما إذا جعل (لا) في أقوال الإمام نافية غير عاملة فإعرابه صحيح على لغة مَن يهملها ، لكن مثاله لا يوافق أقوال الإمام ، فلربما جعل (لا) النافية للجنس مهملة وهذا وارد في كلام العرب[8]، وقد عزاها أحد الباحثين إلى أنها لغة في تميم[9] ، أو لأنّ اسم (لا) هو مبتدأ في الأصل .

وذكر حذف الخبر للمبتدأ النكرة الموصوفة ففي قول الإمام : ((داعٍ دعا وراعٍ رعى فاستجيبوا للداعي واتبعوا الراعي)) يقول : ((موضع داعٍ رفع لأنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره في الوجود))[10] ، والمعروف أنّ المبتدأ النكرة إذا كان من المشتقات سدّ الفاعل أو ما

(!) شرح النهج ٩ / ٢١٧ ـ ٢١٨ .
(٢) السابق ١٦ / ٥٧ .
(٢) السابق ٩ / ٢٤٥ .
(٤) ينظر شرح الأشموني ١ / ١٦٨ .
(٥) شرح النهج ٦ / ٣٩٣ .
(٦) السابق ١٨ / ٨٣ .
(٧) السابق ١٩ / ٣٣٥ .
(٨) ينظر الجمل / ٢٣٧ .
(٩) ينظر النحو في اللهجات العربية القديمة / ٣١٣ .
(١٠) شرح النهج ٩ / ١٦٤ .

أشبه مسدّ الخبر ، وإذا كان مصدرا أو اسم تفضيل سدّ الحال مسدّ خبره أو يقدّر خبر مناسب ليس كلمة (في الوجود) كما قدّره سيبويه في قوله تعالى : (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ)[1] بجواز حذف الخبر فقال : ((طاعة وقول معروف أمثل))[2]، فلعل حذف خبر المبتدأ النكرة الموصوفة من الآراء التي تفرّد بها ابن أبي الحديد .

وذكر حذف الخبر للمبتدأ الواقع بعد (ألا) التحضيضية ففي قول الإمام : ((ألا حرٌّ يدع هذه اللماظة لأهلها)) يقول : ((ألا حرّ : مبتدأ وخبره محذوف أي في الوجود وألا حرف قال :

ألا رجلٌ جزاه الله خيرا يدلّ على محصلة تبيت))[3]

وفي هذا الشاهد (ألا) للعرض والتحضيض وتختص بالجملة الفعلية ، فعند الخليل (رجل) منصوب بفعل محذوف والتقدير عنده : ألا ترونني رجلا جزاه الله خير ، وزعم يونس أنه نوّن مضطرا فتكون (ألا) للتمني[4]، وذهب بعض النحويين أنّ الفعل محذوف على شريطة التفسير أي ألا جزى الله رجلا جزاه خير فـ(ألا) على هذا للتنبيه[5]، ويرى ابن هشام إمكان أن يكون من باب الاشتغال وهو أولى من تقدير فعل مذكور[6]، فعلى الرأي الأخير يجوز فيه أمران :

أولهما : إعرابه مبتدأ والجملة بعده خبره .

وثانيهما : إعرابه مفعولا به لعامل محذوف وجوبا يدل عليه العامل المذكور بعده .

والنصب عند النحويين أرجح وحجتهم أنّ الرفع يجعل الاسم السابق مبتدأ والجملة الطلبية بعده خبر ووقوع الطلبية خبرا قليل قياسا إلى غير الطلبية[7].

وذكر أحد الباحثين أنّ نصب (رجل) جاء بتقدير الفعل الجامد (هات) وعزا ذلك للأخفش[8] والمتأمل للشاهد السابق أنّ (رجلا) وقع بعده فعل يدلّ على طلب وهو الدعاء بقوله (جزاه الله خيرا) ، فعلى هذا يكون ابن أبي الحديد قد تفرّد برأيه وهو جعل (رجل) مبتدأ وخبره محذوف تقديره في الوجود ، ولم يجعل الجملة الطلبية خبره .

ومن الأساليب التي يحذف فيها الخبر هو (أخطب ما يكون الأمير قائما) ذكره ابن أبي الحديد إذ يرى (قائما) حالا سدّ مسدّ خبر المبتدأ (أخطب)[9] ، وهذا الأمر مخالف للقياس وفيه شذوذ إذ إنّ خبر المبتدأ يكون مرفوعا لكنه محجوج بالسماع فقد أورد سيبويه قول بعضهم :

---

(١) محمد / ٢١ .
(٢) الكتاب ١ / ١٤١ .
(٣) شرح النهج ٢٠ / ١٧٣ .
(٤) ينظر الكتاب ٢ / ٣٠٨ ، والأزهية / ١٧٢ ـ ١٧٣ .
(٥) ينظر مغني اللبيب ١ / ٦٩ ـ ٧٠ .
(٦) السابق ٢ / ٦٠٠ .
(٧) ينظر تفصيل ذلك في النحو ٢ / ١١٠ ـ ١١٦ .
(٨) ينظر منهج الأخفش الأوسط / ٣٣٣ .
(٩) شرح النهج ١١ / ١٦٥ .

((الحربُ أول ما تكون فُتيّةً))[1] بمعنى أنّ (فُتيّة) منصوبة على الحال وهي تسدّ مسدّ الخبر للمبتدأ وكذلك (قائما) في قولك عبدالله أحسن ما يكون قائما[2] ، فيكون هذا كقولك الأمير أخطب ما يكون قائما[3] ، وفي ضوء ذلك يمكن القول إنّ الحال قد يُغني عن الخبر ويسدّ مسدّه كما ثبت مما رُوي من كلام العرب شعرا ونثرا ولا مسوغ إلى تأويل ذلك بخبر محذوف تعلق به الحال به[4] ، وذكر أيضا حذف الخبر بعد القسم بـ(أيمن الله) والتقدير عنه (قسمي) ، وهذا واجب الحذف لأنه يحذف الخبر وجوبا إذا كان المبتدأ نصّا في اليمين[5] ، وتحدث لنا بشكل مفصل عن اشتقاق (أيمن الله) وأصل همزتها والخلاف بين النحويين فيها دون أن يحدد موقفه منة هذا الخلاف إذ يقول : ((اختلف النحويون في هذه الكلمة ، فعند الأكثرين منهم أنّ ألفها ألف وصل وأنّ (أيمن) اسم وضع للقسم هكذا بألف وصل وبضم الميم والنون قالوا : ولم يأتِ في الأسماء ألف وصل مفتوحة غيرها وتدخل عليها اللام لتأكيد الابتداء فتقول : ليمنُ الله فتذهب ألفها قال الشاعر :

فقال فريقُ القومِ لمّا نشدتُهم نعم ، وفريقُ ليمنُ اللهِ ما ندري

وهذا الاسم مرفوع بالابتداء وخبره محذوف والتقدير : أيمن الله قسمي ، فإذا خاطبتَ قلتَ : ليمُنك ، وفي حديث عروة ابن الزبير : ((ليمُنك لئن كنتَ ابتليتَ لقد عافيتَ)) ، وتحذف نونه فيصير (أيم الله) بألف وصل مفتوحة وقد تكسر وربما حذفوا الياء فقالوا : أم الله ، وربما أبقوا الميم وحدها مضمومة فقالوا : مُ الله ، وقد يكسرونها لما صارت حرفا شبهوها بالباء ، وربما قالوا : مُنُ الله بضم الميم والنون ، ومِنِ الله بكسرهما ، ومَنَ الله بفتحهما .

وذهب أبو عبيد وابن كيسان وابن درستويه إلى أنّ (أيمن) جمع يمين والألف همزة قطع وإنما خُففت وطُرحت في الوصل لكثرة الاستعمال قالوا : كانت العرب تحلف باليمين فتقول : يمينُ الله لا أفعل قال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطّعوا رأسي لديك و أوصالي

قالوا : واليمين تجمع على أيمُن قال زهير :

فتجمع أيمُن منا ومنكم بمقسمة تمور بها الدماء

ثُم حلفوا به فقالوا : ايمنُ الله ثُم كثر في كلامهم وخفّ على ألسنتهم حتى حذفوا منه النون كما حذفوا في قوله : لم يكن ولم يكُ))[6] .

إنّ اشتقاق (أيمن الله) من المسائل الخلافية بين النحاة ولم بنسب ابن أبي الحديد ما ذكره من آراء إلى المدرستين البصرية و الكوفية إلا إننا يمكن القول إنّ الذين وصفهم بـ(الأكثرين) ويرون

---

(١) الكتاب ١ / ٤٠٢ .
(٢) ينظر شرح عيون الكتاب ٢ / ١٢٨ .
(٣) ينظر المقتضب ٣ / ٢٥٢ ، والأصول ٢ / ٣٧٩ .
(٤) ينظر النحو في اللهجات العربية القديمة / ٢١٨ .
(٥) ينظر الأمالي الشجرية ١ / ٣٢١ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٢٥٣ .
(٦) شرح النهج ٧ / ٥٤ ـ ٥٥ .

أنّ همزة (أيمن) وصل هم البصريون ، والذين يرون أنّ همزتها همزة قطع هم الكوفيون فضلا عن أبي عبيد وابن كيسان وابن درستويه[١] ، أما إعرابه فقد جعله اسما مرفوعا بالابتداء وخبره محذوف والتقدير (قسمي) ، وهذا مذهب سيبويه[٢] ، وجوّز ابن عصفور كونه خبرا والمحذوف مبتدأ أي قسمي أيمن الله ، وذهب الزجاج والرماني إلى أنه حرف جرّ[٣] .

وما قاله فيها من حذف هو لهجات عربية ، فقد ذهب سيبويه إلى أنّ بعض العرب يقول : أيمنُ الكعبة لأفعلنّ وكذلك أيمُ الله وإنّ صيغة (من الله) مختصرة عنده من صيغة (أيمن الله) وأصلها (ليمن الله) و (ليم الله) بحذف النون ، فلما كثرت أيمن) في كلامهم جشأوا بها على لغات فقالوا (أيم) بفتح الهمزة وضم الميم[٤]، وذهب ابن يعيش إلى أنه كثر استعماله في القسم فتصرفوا فيه بأنواع التخفيف فحذفوا نونه تارة وقالوا (أيم الله) ومنهم مَن يكسر الهمزة ومنهم مَن يحذف الياء ويقول (أم الله) ومنهم مَن يبقي الميم وحدها فيقول (مُ الله) ومنهم مَن يكسر الميم لأنها لما صارت على حرف شبهها بالياء فكسرها[٥]، وأكد ذلك الزجاجي بقوله : ((منهم مَن يقول : يمينُ الله ترفعه وتضمر الخبر ... ومنهم مَن يقول : أيمُ الله فيحذف النون ومنهم مَن يقول : مُ الله كل ذلك لغات فيها))[٦]، ولم يحددوا هذه اللهجات .

٢ . الفاعل :

ذكره في نصوص مختلفة ولاسيما أقوال الإمام منها : ((خلاكم ذمّ ما لم تشردوا)) فـ((ذم مرفوع بالفاعلية))[٧]، وذكر الفاعل بمعنى المصدر نحو : ((عظمت الطاغية ... وقلت الداعية)) فـ((الطاغية فاعل بمعنى المصدر كقوله تعالى : (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ)[٨] أي تكذيب ويجوز أن تكون الطاغية ها هنا صفة فاعل محذوف أي عظمت الفئة الطاغية وقلت الداعية ومثله أي الفرقة الداعية))[٩] ، وهنا جوّز أن تكون الصفة لموصوف محذوف هو الفاعل فهل يجوز عنده حذف الفاعل ؟

يوضح لنا ذلك بقوله : ((إنّ البصريين كلهم منعوا حذف الفاعل لقاعدة عندهم هي أنّ الفاعل ينزل منزلة جزء من الكلمة ، وإذا كان الفاعل جزءا من الكلمة لم يجز حذفه كما لا يجوز

حذف الدال من زيد ، ولكنه يُضمر فتارة يرجع إلى شيء متقدم في اللفظ كقولنا : زيد قام وتارة على ما يدل عليه لفظ مصرح به ، وإن لم يكن المضمر راجعا إلى ذلك اللفظ كقولهم : مَن كذب

---

(١) ينظر الإنصاف ١ / ٢٤٦ ، والأشباه والنظائر ٢ / ١٧٥ .
(٢) الكتاب ٣ / ٥٠٣ .
(٣) ينظر معني اللبيب ١ / ١٠٠ ـ ١٠١ .
(٤) ينظر الكتاب ٣ / ٥٠٣ .
(٥) شرح المفصل ٨ / ٣٦ .
(٦) الجمل / ٥٨ ـ ٥٩ .
(٧) شرح النهج ٩ / ١٢١ ، وينظر شرح الفصيح / ٢١٨ .
(٨) الواقعة / ٢ .
(٩) شرح النهج ٧ / ١٩٢ ، وينظر معاني الفراء ٣ / ١٢١ ، وإعراب النحاس ٣ / ٣١٨ .

كان شرا له فاسم كان مضمر دلّ عليه لفظ كذب والمعنى كان الكذب شرّا له قال سبحانه : (ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّه)[1] أي بدا لهم بداء فأضمر الفاعل لدلالة بدا عليه كما إنّ قوة العلم بالفاعل في بعض المواضع تقوم مقام ذكره أو ذكر ما يدل عليه كقوله تعالى : (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ)[2] ، وقوله تعالى : (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ)[3] وكقول حاتم :

أ ماوي ما يُغني الثراءُ عن الفتى إذا حشرجتْ يوما وضاق بها الصدرُ

وفي قول الإمام (ع) : ((مَن لجّ وتمادى فهو الراكسُ الذي رانَ اللهُ على قلبه)) لا يجوز أن يكون الفاعل وهو الله محذوفا لأنّ الفاعل لا يحذف بل يجوز أن يكون الفاعل كالمحذوف ويكون المصدر وهو الريّن ودلّ الفعل عليه))[4] .

فعلى هذا يكون قد وافق البصريين وأغلبية الكوفيين بعدم جواز حذف الفاعل لأنه عمدة ولابدّ أن يكون مذكورا أو مضمرا[5]، وذهب الكسائي ومَن تابعه إلى جواز حذف الفاعل وما هو بمنزلته[6] .

ومن المسائل الخلافية في موضوع الفاعل أيضا هي الاسم المرفوع بعد (إذا) و(إن) الشرطيتين إذ ذهب البصريون إلى أنّ الاسم المرفوع بعد (إذا) و (إن) فاعل لفعل محذوف وجوبا يفسره المذكور بعده[7] ، وذهب الكوفيون إلى أنّ هذا الاسم المرفوع بعد (إذا) و(إن) فاعل بالفعل المذكور بعده وليس في الكلام محذوف ، وذهب الأخفش إلى أنّ هذا الاسم المرفوع مبتدأ والفعل المذكور بعده مسند إلى ضمير عائد إلى ذلك الاسم والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ فلا حذف ولا تقديم وتأخير[8] .

وافق ابن أبي الحديد البصريين في هذه المسألة ففي قوله تعالى : (إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ)[9] يقول : ((السماء مرفوع بالفاعلية بتقدير فعل دلّ عليه انشقت لأنّ (إذا) تستدعي الفعل وكذلك ما جرى مجرى (إذا) في المعنى نحو قولهم إن الله أمكنني من فلان وفي قول الإمام : (إن [10]جانب منها اعذوذب واحلولى أمرّ منها جانب فأوبي)) ارتفع (جانب) المذكور بعد (إن) لأنه فاعل فعل مقدّر يفسره الظاهر أي وإن اعذوذب جانب منها لأنّ (إن) تقتضي الفعل وتطلبه فهي كإذا في قوله تعالى : (إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء) ، وفي قول الإمام (ع) : ((أما دينٌ يجمعكم ...)) ارتفع دين على أنه فاعل فعل مقدّر له أي أما يجمعكم دين يجمعكم اللفظ الثاني مفسر للأول كما قدّرناه بعد إذا))[11] .

---

(١) يوسف / ٣٥ .
(٢) ص / ٣٢ .
(٣) الواقعة / ٨٣ .
(٤) شرح النهج ١ / ١٥٢ ، و ٦ / ٣٧٨ ، و١٧ / ١٤٣ ، والفلك الدائر / ٢٥٨ ـ ٢٦٠ .
(٥) ينظر الكتاب ٣ / ١٠٨ ، ومعاني الفراء ٢ / ٤١٣ ، وشرح اللمع ١ / ٣٨ ـ ٣٩ .
(٦) ينظر شرح المفصل ١ / ٧٧ ، وهمع الهوامع ١ / ١٦٠ ، وشرح الأشموني ٢ / ١٣٩ .
(٧) ينظر الكتاب ٣ / ١١٣ ـ ١١٤ ، والمقتضب ٢ / ٧٩ ، والإنصاف ٢ / ٣٥٩ .
(٨) ينظر شرح المفصل ١ / ٨٢ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٦١ ، ومغني اللبيب ١ / ٥٨١ .
(٩) الانشقاق / ١ .

(١) شرح النهج ٧ / ٢٣٠ ، و١٠ / ٧٠ ، وينظر الفلك الدائر / ٢٣٨ .

وقد رجح أحد الباحثين المذهب الكوفي إذ يمكن حمل المسألة على مثل زيد قام فالفعل (قام) فاعله زيد المتقدم على مذهب الكوفيين ، وهو يغنينا عن التكلف الذي يفرضه سلطان الاشتغال[1] ، وذلك أنه عدّ ما ذهب إليه البصريون من باب الاشتغال ، والباحث يميل معه إلى هذا الرأي لأنه من باب التيسير في النحو ، والابتعاد عن التقديرات والتأويلات التي فرضها أصحاب الصناعة النحوية .

ب . المنصوبات :

١ . المفاعيل ومنها :

. المفعول به :

أشار إليه ابن أبي الحديد كثيرا ولا سيما في أقوال الإمام منها : ((وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل سوءَ رأيهما)) فـ ((سوء رأيهما : منصوب لأنه مفعول (سبق)))[2]

وذكر المفعول الثاني نحو : ((أوطئوكم اثخان الجراحة)) أي ((جعلوكم واطئين لذلك فالاثخان على هذا منصوب لأنه مفعول ثانٍ))[3] ، وتحدّث عن حذف المفعول كثيرا إذ عدّه فضله نحو : ((أيّها الناس لا يجرمنّكم شقاقي ...)) قال : ((في الكلام محذوف تقديره لا يجرمنّكم شقاقي على أن تكذبوني والمفعول فضلة وحذفه كثير نحو قوله تعالى : (اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ)[4] ، فحذف العائد إلى الموصول ، ومنها قوله تعالى : (لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ)[5] ، أي مَن رحمه ، ولابدّ من تقدير العائد إلى الموصول وقد قُرئ قوله : (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ)[6] و (وما عملتْ أيديهم) بحذف المفعول))[7] ، وفي موضع آخر يقول : ((حذف الضمير المفعول المنصوب كثيرا كقوله تعالى : (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا)[8] أي أرسلناه ، ولابدّ من تقديره كي لا يبقى الموصول بلا عائد))[9] .

ومن الموضوعات التي لها علاقة بالمفعول به هو حذف عامله جوازا أو وجوبا فيجوّز النحاة حذفه إن كان معلوما بقرينة تدل عليه وإذا كان جوابا لسؤال مثل : ماذا صنعت ؟ ... خيرا ويوجبون حذفه في أبواب معينة منها : التحذير والإغراء ، والاختصاص والاشتغال والنداء لذا سأستعرض هذه الموضوعات في باب المفعول به لأنها مفاعيل في حقيقتها .

---

(٢) التأويل النحوي في القرآن الكريم ١ / ٥٣١ .
(٣) شرح النهج ١٠ / ٥٥ ، وينظر نهج البلاغة ٢ / ٣١٨ .
(٤) السابق ١٣ / ١٤٣ .
(٥) الرعد / ٢٦ .
(٦) هود / ٤٣ .
(٧) يس / ٣٥ ، قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر علمت بغير هاء ضمير ، وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك ، وقرأ الباقون بالهاء ، ووصلها ابن كثير أصله وهي في مصاحفهم كذلك ينظر النشر ٢ / ٣٥٣ .
(٨) شرح النهج ٧ / ٩٨ ، وينظر معاني الفراء ٢ / ٦٣ ، والأمالي الشجرية ١ / ٣٦٣ .
(٩) الزخرف ٤٥ .
(١٠) شرح النهج ٢ / ١٦٤ ، وينظر إعراب النحاس ٣ / ٩٢ .

التحذير : علّق على قول الإمام (ع) : ((إياكم وتهزيعَ الأخلاق)) بقوله : ((انتصاب (تهزيع) على التحذير وحقيقته تقدير فعل وصورته جنبوا أنفسكم تهزيع الأخلاق و(إياكم) قائم مقام أنفسكم ، والواو عوض عن الفعل المقدّر وأكثر ما يجيء بالواو وقد جاء بغير واو في قول الشاعر :

إياك إياك المراءَ فإنه إلى الشرّ دعّاء وللشرّ جالب))[1] .

إنّ أغلب النحويين الذين سبقوا ابن أبي الحديد[2] ، أو الذين عاصرهم[3] متفقون على أنّ (إياك) مفعول به لفعل محذوف وجوبا تقديره (أُحذرُ) فحذفوا الفعل من (إياك) لكثرة استعمالهم إياه في الكلام فصار بدلا من الفعل إلا أنهم لم يتحدثوا عن موقع الواو كونها عوضا عن الفعل المحذوف ، وهذه التفاتة لطيفة سجلها ابن أبي الحديد عن بينة ولعلها تضاف إلى آرائه التي تفرّد بها فضلا عن أنّ النحاة الذين جاءوا بعده لم يشيروا إلى هذه الالتفاتة أيضا[4] .

الإغراء : تحدّث عنه ذاكرا حقيقته ومعرّفا به ففي قول الإمام : ((العملَ العملَ ثمّ النهايةَ النهايةَ والاستقامةَ الاستقامةَ والصبرَ الصبرَ والورعَ الورعَ ...)) يقول : ((النصب على الإغراء وحقيقته فعل مقدّر أي الزموا العمل وكرر الاسم لينوب أحد اللفظين عن الفعل المقدّر الأشبه أن يكون اللفظ هو القائم مقام الفعل لأنه في رتبته والفعل المقدّر هاهنا : راعوا واحسنوا واصلحوا ونحو ذلك))[5] ، وفي قول الإمام : ((اللهَ اللهَ . أيّها الناس . فيما استحفظكم من كتابه)) يقول : ((نصب (الله الله) على الإغراء وهو أن تقدّر فعلا بنصب المفعول به أي اتقوا الله وجعل تكرير الفعل نائبا عن الفعل المقدّر ودليلا عليه))[6] .

وذكر الإغراء بصيغة (كَذِب عليكم) نقلا عن أبي عبيد ففي قول عمر بن الخطاب : ((كَذِب عليكم الحج كَذِب عليكم العمرة كَذِب عليكم الجهاد ثلاثة أسفار كَذِب عليكم)) يقول : ((قال أبو عبيد : معنى كَذب عليكم الإغراء أي عليكم به وكان الأصل في هذا أن يكون نصبا ولكنه جاء عنهم الرفع شاذا على غير قياس ومما يحقق أنه مرفوع قول الشاعر :

كذبت عليك لا تزال تقوفني كما قاف آثار الوثيقة قائف

فقوله : (كذبت عليك) إنما إغراء بنفسه أي عليك به فجعل (نفسه) في موضع رفع ألا تراه قد جاء بالباء فجعلها اسمه وقال معقر بن حمار البارقي :

وذبيانية وصّت بنيها بأن كَذب القراطفُ والقروفُ

فرفع والشعر مرفوع ومعناه عليكم بالقراطف والقروف ، ومما يحقق الرفع أيضا قول عمر :

---

(١) شرح النهج ١٠ / ٢٩ .
(٢) ينظر الكتاب ١ / ٢٧٣ ، ومعاني الفراء ١ / ١٦٦ ، والمقتضب ٣ / ٢١٢ ، والأصول ٢ / ٢٥٩ .
(٣) ينظر شرح المفصل ٢ / ٢٥ ، ٢٩ .
(٤) ينظر شرح الكافية الشافية ٣ / ١٣٧٧ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٣٠٠ .
(٥) شرح النهج ١٠ / ٢٥ ، وينظر الكتاب ١ / ٢٥٦ ، و ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .
(٦) السابق ٦ / ٣٥٢ ، وينظر معاني الفراء ١ / ١٨٨ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٣٠١ .

((كذبت عليكم)) قال أبو عبيد : ولم أسمع النصب في هذا إلا حرفا كان أبو عبيد يحكيه عن إعرابي نظر إلى ناقة نضو لرجل فقال : كذب عليكم البُر والنوى لم أسمع في هذا إلا نصبا غير هذا الحرف ، قال : والعرب تقول للمريض : كذب عليك العسلُ بالرفع أي عليك به))[1]

إنّ الإغراء بـ(كذب) من الأساليب النادرة عند العرب ولم يشر إليه سيبويه بالرغم أنه تمثل بشاهد فيه هذا الأسلوب[2]، وقد فصّل القول فيه ابن أبي الحديد وما قاله من احتمال الرفع والنصب في المغرّى به هو لهجتان عربيتان فقد عزا أحد الباحثين (النصب) إلى مضر وهي قبيلة من العدنانية و (الرفع) لهجة أهل اليمن[3] .

الاختصاص : ذكره في قول الإمام (ع) : ((نحنُ . أهلَ البيت . منها بمنجاة)) فأهل البيت ((منصوب على الاختصاص كقولهم : نحن . معشرَ البيت . نفعل كذا ، ونحن . آلَ فلان . كرماء))[4] ، وهذان المثالان مذكوران في مفصل الزمخشري[5] مما يدلل على إفادة ابن أبي الحديد منه في تأليف كتابه (الحواشي على المفصل) .

الاشتغال : ذكر نصب الاسم بفعل مقدّر دلّ عليه الفعل بعده ، وهو ما يسميه النحاة بالاشتغال من ذلك مثلا في قول الإمام : ((فلا أموالَ بذلتموها للذي رزقها ، ولا أنفسَ خاطرتم بها للذي خلقها)) يقول : ((انتصاب (أموال) بفعل مقدّر دلّ عليه بذلتموها وكذلك (أنفس)))[6] .

وأحيانا ينتصب الاسم عنده بفعل مقدّر لا يدلّ عليه الفعل بعده ، ففي قول الإمام : ((حتى أعنقوا في حنادس جهالته ... أمرا تشابهت القلوب فيه)) يقول : ((أمرا منصوب بتقدير فعل أي اعتمدوا أمرا))[7].

المنادى : هو ما ينتصب بتقدير فعل محذوف لأنه في الأصل مفعول به لفعل محذوف تقديره أنادي أو أدعو ذكر ابن أبي الحديد بعض أنواعه ومنها المنادى المضاف ففي قول الإمام : ((اللهمّ داحي المدحوات)) يقول : ((داحي المدحوات ينتصب لأنه منادى مضاف تقديره يا باسط الأرضين المبسوطات))[8] ، وفي موضع ردّه على الراوندي في قول الإمام :

((يا خيبة الداعي)) قال : ((ها هنا كالنداء في قوله تعالى : (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَاد)[9] ، و (يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا)[10] ، أي يا خيبة احضري فهذا أوانك ، وقال الراوندي : يا خيبة الداعي تقدبره يا هؤلاء فحذف المنادى ثمّ قال : خيبة الداعي أي خاب الداعي خيبة وهذا ارتكاب

---

(١) شرح النهج ١٢ / ١٢٧ ـ ١٢٨ ، وينظر شرح اللمع ٢ / ٣٥٩ ، والامالي الشجرية ١ / ٢٦٠ .
(٢) الكتاب ٤ / ٢١٣ .
(٣) النحو في اللهجات العربية القديمة / ٨٢ .
(٤) شرح النهج ٧ / ٥٦ ، و ٢٨٩ ، وينظر الكتاب ٢ / ٢٣٣ ، والأصول ١ / ٤٤٧ .
(٥) ينظر المفصل / ٢١ ، وشرح المفصل ٢ / ١٩ .
(٦) شرح النهج ٧ / ٢٨٢ .
(٧) السابق ١٣ / ١٤٩ ، وينظر الكتاب ١ / ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .
(٨) السابق ٦ / ١٣٩ ، وينظر الكتاب ٢ / ١٨٢ ، والجمل / ١٥٧ .
(١) يس / ٣٠ .
(٢) الأنعام / ٣١ .

ضرورة لا حاجة إليها ، وإنما يُحذف المنادى في المواضع التي دلّ الدليل فيها على الحذف كقوله :

يا فأنظرا أيمنَ الوادي على إضمِ .

وأيضا فأنّ المصدر الذي لا عامل فيه غير جائز حذف عامله ، وتقدير حذفه تقدير ما لا دليل عليه))[1] .

هذا النداء في الآيتين الكريمتين مما اختلف فيه النحويون فالذي عليه أغلب البصريين أنه نكرة يدلّ على كثرة التحسر أو التعجب أو التحذير أي يا حسرة احضري فهذا وقتك[2]، وذهب الفراء أنّ الاختيار النصب وأنها لو رفعت النكرة الموصولة بالصفة لكان صوابا[3]، وقيل المنادى محذوف وانتصب (حسرة) على المصدر أي يا هؤلاء تحسروا حسرة[4]، وهذا مما ذهب إليه الراوندي الذي ردّ عليه ابن أبي الحديد ، فعلى هذا يكون ابن أبي الحديد قد وافق أغلب البصريين في هذه المسألة .

وفي قول الإمام : ((فيا لها حسرة)) : يجوّز أمرين إذ يقول : ((يجوز أن يكون نادى الحسرة وفتحة اللام على أصل نداء المدعو كقولك : يا للرجال ويكون المعنى هذا وقتك أيتها الحسرة فاحضري ، ويجوز أن يكون المدعو غير الحسرة كأنه قال : يا للرجال للحسرة فتكون لامها مكسورة نحو الأصل لأنها المدعو إليه إلا أنها لما كانت للضمير فتحت أي أدعوكم أيها الرجال لتقضوا العجب من هذه الحسرة))[5] ، وهذان الأمران جائزان ذكرهما سيبويه في كتابه[6] .

وتحدّث عن المنادى المختوم بألف وهاء زائدتين في قول الإمام : ((يا أخوتاه)) إذ يقول : ((الألف في (يا أخوتاه) بدل من ياء الإضافة والهاء للسكت))[7].

المفعول فيه :

لم يسمِه بهذا الاسم بل أطلق عليه مصطلح (منصوب على الظرفية) سواء أكان الظرف للزمان أم للمكان ؟ فمن أمثلة ظرف الزمان قول الإمام (ع) : ((أؤمن به أولا باديا)) فـ((أولا ها هنا منصوب على الظرفية كأنه قال : قبل كل شيء))[8] .

ومن أمثلة ظرف المكان قول الإمام : ((ظنوا أنها نصبَ أعينهم)) ، فـ((نصبَ أعينهم : منصوب على الظرفية))[9] ، ومن الظروف المعربة المنصوبة التي تحدّث عنها :

---

(٣) شرح النهج ١ / ٣٠٤ ـ ٣٠٥ .
(٤) ينظر المقتضب ٤ / ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، والأمالي الشجرية ١ / ٢٧٥ ، والبيان ٢ / ٢٩٤ .
(٥) معاني الفراء ٢ / ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ، وينظر إعراب النحاس ٢ / ٧١٩ .
(٦) ينظر التبيان ٢ / ٢٠٢ ، والبحر المحيط ٧ / ٣٣ .
(٧) شرح النهج ٥ / ١٤٧ .
(٨) ينظر الكتاب ٢ / ٢١٥ .
(٩) شرح النهج ٩ / ٢٩١ ، وينظر الكتاب ٢ / ٢١٠ ، و معاني الفراء ٢ / ٣٢ ، والأصول ١ / ٤٢٥ .
(١) شرح النهج ٦ / ٢٤١ ، وينظر الكتاب ٣ / ٢٨٩ .
(٢) السابق ١٠ / ١٤٣ ، وينظر نهج البلاغة ٣ / ٣٧٧ .

بينا : ((أصلها (بينَ) فأشبعت الفتحة فصارت (بينا) على وزن (فعلى) ، ثمّ تقول : (بينما) فتزيد (ما) والمعنى واحد كقوله : ((بينا نحن نرقبه أتانا))[1] أي بين أوقات رقبتنا إياه أتانا ، وكان الأصمعي يخفض بعد (بينا) إذ أصلح في موضعه (بين) وينشد بيت أبي ذؤيب بالجر :

بينا تعنُّقِهِ الكماة وروغه يوما أُتيح له جرئ سلفع

وغيره يرفع بعد (بينا) و(بينما) على الابتداء والخبر))[2] .

وتحدث عن مجيء (إذا) و(إذ) بعد (بينا) فقال : ((إنّ أكثر أهل العربية يمنعون من مجيئها بعد (بينا وبينما) ومنهم مَن يجيزه وعليه جاء كلام أمير المؤمنين : ((إنّ أهل الدنيا كركب بينا هم رحلوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا)) وأنشدوا :

بينما الناسُ على عليائها إذ هووا في هوّة منها فغارُ

وقالت الحرقة بنت النعمان بن المنذر :

بينا نسوسُ الناسُ والأمرُ أمرنا إذا نحن سوقة نتنصفُ

وقال الشاعر :

استقدر الله خيرا وارضين به فبينما العسرُ إذ دارت مياسير

وبينما المرءُ في الأحياء مغتبط إذ صار في اللحد تعفوه الأعاصير))[3] .

إنّ مجيء (إذا) و(إذ) بعد بينا عربي مسموع وليس أدل على من الشواهد السابقة فضلا عن أنّ هذا الاستعمال محجوج به عند سيبويه وذلك قولك : بينما أنا كذلك إذ جاء زيد[4]، مما يرد قول مَن منع مجيئها بعد (بينا)[5] .

ومن الظروف المبنية التي تحدّث عنها :

أينَ : يقول : ((في الأصل مبنية على الفتح فإذا نكرتها صارت اسما متمكنا كما قال الشاعر:

ليت شعري وأين مني ليت إنّ (ليتا) وإنّ (لوا) عناءُ))[6] .

لا خلاف في أنّ (أين) مبنية على الفتح وتجيء اسما متمكنا[7]، إلا أنّ هذا الشاهد تمثل به سيبويه حول تضعيف (لو) بأنها تأتي اسما متمكنا[8] ، فأكبر الظنّ أنّ ابن أبي الحديد قاس (أين) على (لو) بأنها تأتي اسما متمكنا فتمثل به .

إذا : وهي من الظروف المبنية وتستعمل للشرط غالبا وقد ذكرها في قول الإمام (ع) : ((إنّ التقوى في اليوم الحرز والجنة ... لحاجتهم غليها غدا إذا أعاد الله ما أبدى ... فما أقل من قبلها

---

(٣) هذا صدر بيت وعجزه : معلق فضة وزناد راع ، ينظر الكتاب ١ / ١١٧ .
(٤) شرح النهج ٥ / ١٤٤ ، وينظر مغني اللبيب ١ / ٣٧١ ـ ٣٧٢ .
(٥) السابق ٢٠ / ٥٢ ـ ٥٣ ، وينظر معاني الفراء ١ / ٤٦٠ ، والأمالي الشجرية ٢ / ٢٠٨ .
(٦) ينظر الكتاب ٤ / ٢٣٢ .
(٧) ينظر شرح المفصل ٤ / ٩٩ .
(٨) شرح النهج ١ / ٨٩ .
(٩) ينظر الكتاب ٣ / ٢٩٩ ، والمقتضب ١ / ٢٣٥ . .
(١) الكتاب ٣ / ٢٦١ ، وينظر تحصيل عين الذهب / ٤٦٣ .

)) إذ يقول : ((إذا ظرف لـ(حاجتهم إليها) لأن المعنى يقتضيه أي لأنهم يحتاجون إليها وقت إعادة الله والخلق[1] .

وقد جوّز الجزم بـ(إذا) في الشعر ففي قول الشاعر :

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب

قال : ((قالوا بكسر نضارب لأنه معطوف على موضع جزاء الشرط الذي هو إذا))[2] ، يريد أن يقول : إنّ الباء ساكنة لأنّ الفعل مجزوم بالعطف على موضع (كان) لأنها في موضع جزم على جواب (إذا) لأنه قدرها عاملة عمل (إن) ضرورة وقد كسرت لالتقاء الساكنين ، وهذه المسألة لا خلاف فيها بين النحويين إذ أجازوا المجازاة بـ(إذا) في الضرورة الشعرية[3]، ولكن الخلاف بينهم هو هل يجازى بها في غير الشعر ؟ وهذا لم يشر إليه حتى نحدد موقفه من هذا الخلاف .

وذكر الظروف التي تأتي مبنية تارة ومعربة تارة أخرى ومنها :

حين : في قول الإمام : ((على حينَ فاز أهل السبق بسبقهم)) يقول : ((قال قو من النحاة (حين) مبني على الفتح ، وقال قوم : بل منصوب لإضافته إلى الفعل))[4].

ويوم : في قول الإمام : ((من يوم كنتم في أصلابهم)) يقول : ((يروى بفتح الميم من (يوم) على أنه مبني إذ هو مضاف إليه الفعل المبني ويروى بجرها على اختلاف القولين في علم العربية))[5].

وهذه مسألة خلافية أشار إليها ابن النحاس وابن عقيل بأنّ البصريين لا يجوزون فيما أضيف من الظروف إلى جملة فعلية صدرت بمضارع أو إلى جملة اسمية إلا الإعراب ولا يجوزون البناء إلا فيما أضيف إلى جملة فعلية صدرت بماض ، وذهب الكوفيين إلى أنّ ما يضاف إلى الجملة من الظروف يجوز فيه الإعراب و البناء سواء أضيف إلى جملة فعلية صدرت بماض أو جملة فعلية صدرت بمضارع أو جملة اسمية[6].

وعند التثبت من آراء الفريقين نجد أنّ البصريين أجازوا أيضا البناء والإعراب فيما أضيف من الظروف إلى جملة مصدرة بماضٍ مثلما أجاز ذلك الكوفيون[7] ، ولم يحدد ابن أبي الحديد موقفه في هذا الخلاف .

ومن المسائل التي تتعلق بالظروف الاتساع تحدث عنه ابن أبي الحديد في قول الإمام (ع) : ((حتى أسهرت لياليهم ، ،أظمأت هواجرهم)) يقول : ((أسهرت لياليهم : من قول العرب نهاره

---

(٢) شرح النهج ١٣ / ١٢ .
(٣) السابق ٥ / ١٧٠ .
(٤) ينظر الكتاب ٣ / ٦١ ، والمقتضب ٢ / ٥٦ ، والجمل / ٢٢٣ .
(٥) شرح النهج ١٥ / ١٢٠ .
(٦) السابق ٦ / ٨٩ .
(٧) إعراب النحاس ١ / ٥٣٣ ـ ٥٣٤ ، و ٣ / ٥٩٨ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٥٩ ـ ٦٠ .
(١) ينظر الكتاب ٢ / ٢٣٣ ، ومعاني الفراء ١ / ٣٢٦ ، و٣ / ٢٢٥ ، والأصول ١ / ٣٣٥ .

صائم وليله قائم ، نقلوا الفعل إلى الظرف وهو من باب الاتساع الذي يجرون فيه الظرف مجرى المفعول به فيقولون : الذي سرته يوم الجمعة أي سرتُ فيه وقال :

ويوم شهدناه سليما وعامرا ...

أي شهدنا فيه سليما ، وقد اتسعوا فأضافوا إلى الظروف فقالوا :

يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدار

وقال تعالى : (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)[1] ، فأخرجوها بالإضافة عن الظرفية))[2] .

الاتساع : ضرب من الحذف هذا تقيمه مقام المحذوف وتعربه بإعرابه مثلا تقيم فيه المضاف إليه مقام المضاف أو تجعل الظرف يقوم مقام الاسم فيصير مفعولا به على السعة بشرط أن يكون الظرف متصرفا[3]، وقد تحدث عنه كثير من النحاة[4]، ولم يأتِ ابن أبي الحديد بشيء جديد ولكن الملاحظ على كلامه أنه يشبه إلى حدّ ما ما قاله صاحب المفصل[5]، وأكبر الظنّ إنّ كلامه هذا هو تعليقات أو حواشي على المفصل ؛ لأنه في شرحه للنهج اعتمد كتبا كثيرة لم يذكر أسماءها أو أسماء مؤلفيها كما أنه اعتمد كتبه السابقة فلعلّ هذا بعض حواشيه على (المفصل) .

المفعول له :

يرى أنّ المفعول له ما يكون عذرا أو علة لوقوع الفعل[6] ، ففي قول الإمام : ((عن ذلك ما حرس الله عبادَه المؤمنين بالصلوات تسكينا لأطرافهم وتخشيعا لأبصاره ...)) يقول : ((جعل التسكين والتخشيع عذرا وعلة للحراسة ونصب اللفظات على أنها مفعول له))[7] .

وهنا ورد المفعول له نكرة ، وقد يأتي مضافا ففي قول الإمام : ((قد رأيتَ مَن كان قبلك ممن جمع المال ... طولَ أمل)) يقول : ((طولَ أمل : منصوب على أنه مفعول له))[8] ، وقد يأتي معرفا بـ(ال) وهذا الأكثر جره ويجوز النصب[9]، وقد ورد عنده منصوبا ففي أحدى توجيهاته الإعرابية في قول الإمام (ع) : ((أحاط بكم الإحصاء ...)) يقول : ((يمكن أن يكون الإحصاء مفعولا له ويكون في الكلام محذوف تقديره : وأحاط بكم حفظته وملائكته للإحصاء ودخول اللام في المفعول له كثير كقوله :

الهول مَن تهوّل الهبور))[10].

---

(٢) سبأ / ٣٣ .
(٣) شرح النهج ٧ / ٢٥٥ .
(٤) ينظر الأصول ٢ / ٢٦٥ ، والأشباه والنظائر ١ / ٣٦ .
(٥) ينظر الكتاب ١ / ٢١٢ ، ومعاني الفراء ٢ / ٣٦٣ ، والمقتضب ٢ / ١٠٥ .
(٦) ينظر المفصل / ٢٦ .
(٧) شرح النهج ١٣ / ١٤١ ، وينظر الكتاب ١ / ٣٦٧ ، وشرح عيون الإعراب / ٦٤ ، وآمالي ابن الحاجب / ٢١٤ .
(٨) شرح النهج ١٣ / ١٦٥ .
(٩) السابق ٨ / ٢٧٠ ، وينظر شرح الكافية الشافية ٢ / ٦٧٢ ـ ٦٧٣ ، وشرح المفصل ٢ / ٥٤ .
(١٠) ينظر شرح ابن عقيل ١ / ٥٧٥ .

(١) شرح النهج ٦ / ٢٤٥ .

إنّ مجيء المفعول له مضافا أو معرفا بـ(ال) وارد عند النحويين معززين ذلك بالسماع مما يثبت شيوعه عند العرب ، فقد استشهد سيبويه بقول الراجز وهو العجاج :

يركب كلُّ عاقر جمهور مخافةً وزعل المحبور

والهول من تهوّل القبور))[1] .

وفي مفصل الزمخشري : الهول من تهوّل الهبور[2] التي رواها ابن أبي الحديد .

وأنشد ابن مالك :

لا أقعدُ الجبنَ عن الهيجاء ولو توالت زمرُ الاعداء[3]

فـ(الجبن) مفعول له أي لا أقعدُ لأجل الجبن[4] .

المفعول المطلق (النصب على المصدر) :

قبل البدء بالحديث عن هذا الموضوع نعرض أولا موقف ابن أبي الحديد من أصل الاشتقاق هل المصدر أصل أو الفعل ؟ إذ يرى أنّ ((المصادر هي الأصول التي يقع الاشتقاق منها سواء أكان المشتق فعلا أو اسما ألا تراهم قالوا في كتب الاشتقاق إنّ الضّرْب الرجل الخفيف مشتق من الضّرب أي السير في الأرض للابتغاء قال الله تعالى : (لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ)[5]، فجعل الاسم منقولا ومشتقا من المصدر))[6]، وه بهذا يوافق النحاة البصريين إذ يرى هؤلاء أنّ الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه بينما يرى الكوفيون أنّ المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه[7] .

ذكر ابن أبي الحديد (المفعول المطلق) وسماه (النصب على المصدرية) وذلك إذا وقع بعد فعل من لفظه ، ومن أنواعه المصدر المؤكد ذاكرا الغاية من هذا التأكيد ففي قوله تعالى : (وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)[8] يقول : ((المراد ها هنا من ذكر المصدر تأكيد الأمر وإزالة لبس عساه يصلح للسامع فيعتقد أنه أراد المجاز وأنه لم يكن كلام على الحقيقة))[9]، ومن أمثلة المصدر المؤكد في قول الإمام (ع) : ((فاهتبلوا هبلها)) يقول : ((هبلها : منصوب على المصدر كأنه من هبِل مثل غضِب غضبا))[10]، وهنا خلط ابن أبي الحديد بين النصب على المصدر وما عن المصدر في قول الإمام لأنّ اهتبل مصدره اهتبالا فهو اسم المصدر مما يصلح للإنابة ، أما ما تمثل به فصحيح لأنّ غضب مصدره غضبا فلم يخالفه من ناحية الاشتقاق .

---

(٢) الكتاب ١ / ٣٦٩ .
(٣) المفصل / ٢٧ .
(٤) شرح الكافية الشافية ٢ / ٦٧٢ ـ ٦٧٣ .
(٥) شرح ابن عقيل ١ / ٥٧٧ .
(٦) البقرة / ٢٧٣ .
(٧) شرح النهج ١ / ٦٧ ، وينظر الفلك الدائر / ١٩٦ .
(٨) ينظر الإيضاح في علل النحو / ٥٦ ، والإنصاف ١ / ١٤٤ ، والأشباه والنظائر ٢ / ١٧٠ .
(٩) النساء / ١٦٤ .
(١٠) شرح النهج ١٠ / ٩٠ ، وينظر الكتاب ١ / ٢٣١ ، وإعراب النحاس ١ / ٤٧٣ .
(١) شرح النهج ٨ / ٢٧١ .

ولم يذكر ابن أبي الحديد (النائب عن المصدر) بل أشار إلى صفة المصدر المحذوف وجعلها منصوبة كنصب المصدر في الموقع نفسه ، ففي قول الإمام : ((الحظوا الخزر واطعنوا الشزر)) يقول : ((خزرا وشزرا : صفتان لمصدرين محذوفين تقديره : الحظوا لحظا خزرا واطعنوا طعنا شزرا))[1].

وأحيانا ينصب المصدر والعامل فيه من غير لفظه ولا يمكن أن يكون هذا المصدر مما تصح إنابته كمرادفه أو اسمه أو صفته أو نوع من أنواعه ، ففي قول الإمام : ((أخذوا يمينا وشمالا ظعنا في مسالك الغي وتركا لمذاهب الرشد)) يقول : ((نصب (تركا) و(ظعنا) على المصدرية والعامل فيهما من غير لفظهما وهو قوله (أخذوا)))[2] .

وأحيانا أخرى ينصب المصدر والعامل فيه محذوف ففي قول الإمام : ((بؤسا لكم لقد ضركم مَن غركم)) يقول : ((بؤس لزيد وبؤسا (بالتنوين) لزيد فهو من نظيره نعمى ، وبؤسا نظيره نعمة ينتصب على المصدر))[3] .

والمعروف إنّ عامل المصدر يُحذف في مواضع حددها النحاة منها إذا وقع المصدر بدلا من فعله نحو قياما لا قعودا ، وحمدا لا كفرا ، وهو مقيس في الأمر والنهي والدعاء نحو سقيا لك[4] ، وهو ينتصب على إضمار فعل وقد جاء بعض منه رفعا يبتدأ به يبنى عليه حكى ذلك سيبويه بقوله : ((وسمعنا بعض العرب الموثوق به يقال له : كيف أصبحتَ ؟ فيقول : حمدُ الله وثناء عليه كأنه يحمله على مضمر في نيته هو المظهر كأنه يقول : أمري وشأني حمدُ الله وثناء عليه))[5] .

وجوز ابن أبي الحديد دخول (ال) على المصدر معللا ذلك ففي قول الإمام : ((اراد قومنا قتلَ نبينا وهموا بنا الهموم)) يقول : ((الهموم : منصوب ها هنا على المصدر أي هموا بنا هموما كثيرا ، وإنما ادخل لا التعريف في الهموم ليكون أعظم وأكبر في الصدور من تنكيرها أي تلك الهموم معروفة مشهورة بين الناس))[6]، وفي الوقت نفسه يجوّز دخول (ال) على المصدر والعامل فيه من غير لفظه ، ففي إحدى توجيهاته الإعرابية في قول الإمام :

((أحاط بكم الإحصاء)) يقول : ((يمكن أن ينصب الإحصاء على أنه مصدر فيه اللام والعامل فيه من غير لفظه كقوله : ((يعجبه السخون ثم قال : حبّا))[7]، وليس دخول اللام بمانع من ذلك تقول : ضربته الضربة كما تقول : ضربته ضربا))[8].

---

(٢) السابق ٥ / ١٧٠ .
(٣) السابق ٩ / ١٢٧ .
(٤) السابق ١٩ / ٢٣٥ .
(٥) ينظر المقتضب ٣ / ٢٦٧ ، وشرح الكافية الشافية ٢ / ٦٥٨ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٥٦٥ .
(٦) الكتاب ١ / ٣١٩ ـ ٣٢٠ .
(٧) شرح النهج ١٤ / ٤٩ .
(١) أصله قول الراجز : يعجبه السخون والعصيد والتمر حبا ما له لمزيد ، شرح النهج ٦ / ٢٤٥ (هامش المحقق) .
(٢) السابق نفسه .

لقد جوّز النحويون دخول (ال) على المصدر الذي يغني عن ذكر الحال ، وسيأتي بيانه في مبحث (الحال) ، وكذلك جوّز بعضهم ذلك على المصدر (المفعول المطلق) إذ لا فرق بين ضربتُ زيدا ضربا وبين ضربتُ زيدا الضرب لأنّ المصدر جنس ، والجنس لا ثانٍ له فلا فرق بين تعريفه وتنكيره[1] .

المفعول معه :

من الموضوعات التي تتعلق بالمفعول معه هي ما حكم المفعول معه الواقع بعد الاستفهام ؟ نحو كيف أنت وقصعة من ثريد ؟ فقد علّق ابن أبي الحديد على ما يشبه هذا القول وهو قول الإمام (ع) : ((ما أنت والفاضلَ والمفضولَ)) بقوله : ((الرواية المشهورة بالرفع وقد رواها قوم بالنصب فمَن رفع احتج بقوله :

... ما أنت ويبُ أبيك والفخر

وبقوله : .... فما القيسيُّ بعدك والفخارُ

ومَن نصب فعلى تأويل (مالك والفاضلَ) وفي ذلك معنى الفعل أي ما تصنع لأنّ هذا الباب لا بُدّ أن يتضمن الكلام فيه فعلا أو معنى فعل وأنشدوا :

فما أنت والسيرَ في متلف ...

والرفع عند النحويين أولى))[2].

وفي هذه المسألة حكى سيبويه فيه النصب قال : ((وزعموا أنّ ناسا يقولون كيف أنت وزيدا وهو قليل في كلام العرب كأنه قال : كيف تكون وقصعة من ثريد ؟ وما كنتَ وزيدا ... أنشد بعضهم :

فما أنا والسيرَ في متلف يُبرّح بالذكر الضابط))[3] .

والنصب عند النحويين جائز إلا أنه قليل[4]، مع أنّ من حق المفعول معه أن يسبقه فعلا أو شبهه إلا أنهم خرجوه على أنه منصوب بفعل مضمر مشتق من الكون[5] ، والرفع أولى وهو الوجه لأنه ليس معك فعل ينصب ، ولا يمنع عطفه على ما قبله لأن الذي قبله ضمير مرفوع منفصل فيجوز العطف عليه فلذلك كان الوجه الرفع ومنه قوله :

يا زبرقان أخا بني خلف ما أنت ويبُ أبيك والفخرُ .

وقول الآخر :

وكنت هناك أنت كريم قيسي فما القيسي بعدك والفخار[6] .

---

(٣) شرح اللمع ١ / ١٠٤ .
(٤) شرح النهج ١٥ / ١٩٠ ـ ١٩١ . .
(٥) الكتاب ١ / ٣٠٣ ، وينظر الدرر اللوامع ١ / ١٩٠ . .
(٦) ينظر الكامل ١ / ١٩٦ ، ومجالس ثعلب ١ / ٢١٤ ، والأصول ٢ / ٢٦٢ .
(٧) ينظر شرح الكافية الشافية ٢ / ٦٩ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٥٩٣ . .
(١) المفصل / ٢٧ ، وشرح المفصل ٢ / ٥٢ .

ولكن عندما نقول ما لك وزيدا لما لم يكن عطف زيد على الكاف نصب بفعل مضمر كأنه قال ما لك وملابستك زيدا[1] .

وابن أبي الحديد مع رواية الرفع لأنه وصفها بالمشهورة ولأنه قال : الرفع عند النحويين أولى

٢ . منصوبات أخرى :

. التمييز :

ذكر التمييز في مواضع كثيرة في أقوال الإمام علي (ع) ، ومنها مع التعجب نحو : ((يا له مراما ما أبعده)) فـ((مراما : منصوب على التمييز))[2] ، وفي الجمل الآتية يرى أنّ أصل التمييز هو فاعل في حقيقته إذ يقول : ((ضقتُ به ذرعا أي ضاق ذرعي به ، فنقلوا الاسم من الفاعلية فجعلوه منصوبا على التمييز كقولهم : طبتُ به نفسا))[3] .

وما يقوله لا يقاس على كل تمييز فقد يُنقل الاسم من المفعولية ويكون تمييزا ولا سيما إذا كان مميزه من أسماء الكيل أو الوزن أو المقاييس أو الأعداد ... إلخ ، ومن شروط التمييز عنده أن يكون واحدا سواء أكان المميز جمعا أم مثنى ، ففي قول الإمام : ((وطيبوا عن أنفسكم نفسا)) يقول : ((لما نصب نفسا على التمييز وحده لأنّ التمييز لا يكون إلا واحدا ، وإن كان في معنى الجمع تقول : أنعموا بالا ولا تضيقوا ذرعا ، وأبقى (الأنفس) على جمعها لما لم يكن به حاجة إلى توحيدها))[4]، في الوقت الذي يرى فيه النحويون أنه يجوز أن يأتي التمييز جمعا ما عدا مميز الأعداد من ١١ . ٩٩[5].

فهو بهذا قد خرج على إجماع النحويين وذلك لقوله المؤكد : ((لا يكون التمييز إلا واحدا)) فلعل هذا من الآراء التي تفرّد بها .

ومن شروط التمييز أن يكون جامدا في الغالب إلا أنه أجاز كونه مشتقا معززا ذلك بالسماع ففي قول الإمام : ((جزاكم الله من أهل مصر عن أهل نبيكم أحسن ما يجزي العاملين)) يقول : ((موضع (من أهل مصر) نصب على التمييز ويجوز أن يكون حالا ، فإن قلتَ : كيف أن يكون تمييزا وتقديره : جزاكم الله متمدنين أحسن ما يجزي المطيع ، والتمييز لا يكون إلا جامدا وهذا مشتق ؟ قلتُ : إنهم أجازوا كون التمييز مشتقا نحو قولهم : ((ما أنت

جارة) وقولهم :

يا سيّدا ما أنت من سيّد ...))[6].

---

(٢) ينظر الجمل / ٣٠٧ .
(٣) شرح النهج ١١ / ١٤٥ ، وينظر شرح ابن عقيل ١ / ٦٦٨ .
(٤) السابق ١٥ / ١٩٢ ، وينظر معاني الفراء ٢ / ٣٠٨ ، والأصول ١ / ٢٦٨ .
(٥) السابق ٥ / ١٧٤ .
(٦) ينظر الكتاب ١ / ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، ومعاني الفراء ١ / ٢٥٦ ، والمقتضب ٣ / ٣٤ ، والأصول ١ / ٢٦٩.
(١) شرح النهج ١٤ / ٢٦ .

ولعل هذا من الآراء التي تفرّد بها إذ لم يصرح أحد من النحاة الذين سبقوه بمجيء التمييز مشتقا ، فسيبويه نصب أسماء مشتقة على التمييز مثل فارس وجار دون أن يصرح بذلك[١] والفراء تمثل بالشاهد (يا سيدا ما أنت من سيد) بنصب النكرة الموصوفة بالنداء[٢] ، وآخر تمثل به للتفريق بين الحال والتمييز بجواز دخول (من) على الأخير[٣]، أما الذين جاءوا بعده فقد تمثل به بعضهم للتفريق على أنّ دخول (من) على النكرة دلالة على انه تمييز وليس حالا[٤] ، وتمثل آخر بـ(ما أنت جارة) على كون التمييز يقع بعد كل ما دلّ على تعجب[٥] .

لذا رجحنا انه أول مَن صرّح بمجيء التمييز مشقا ولعله تفرّد به .

ومن المسائل الخلافية في موضوع التمييز هي هل يجوز تقديم التمييز على عامله ؟

اختلف النحاة في ذلك فالبصريون وفي مقدمتهم سيبويه يرون أنه يجوز تقديم التمييز على عامله سواء كان عامله فعلا متصرفا أو غير متصرفا ووافقهم الفراء من الكوفيين[٦] ، ويرى أغلب الكوفيين وفي مقدمتهم الكسائي إلى أنه يجوز تقديم التمييز على عامله إذا كان العامل فعلا ووافقهم المازني والمبرد والجرمي من البصريين[٧] .

أما ابن أبي الحديد فقد نقل لنا الآراء التي قيلت في هذه المسالة ولم يكن دقيقا في نقله إذ يقول : ((يجوز عند البصريين والكسائي تقديم المنصوب كما يجوز ضرب غلامه زيد ، وعند الفراء لا يجوز تقديمه لأن المفسر لا يتقدم))[٨] ، فعدم الدقة في قوله : ((يجوز عند البصريين تقديم المنصوب)) لأن أكثر البصريين لا يجوزون ذلك اللهم إلا إذا كان يعني بالبصريين المازني والمبرد والجرمي لأنهم أجازوا مع الكسائي تقديم التمييز ، وهناك احتمال أخر وهو الأرجح إذ ربما كان يشير إلى هذه المسألة الخلافية في موضوع التمييز وهي ما حكم التمييز إذا كان معرفة ؟ ، فالفراء يرى أنّ سَفِه زيدٌ نفسَه مثل ضقتُ به ذرعا ومثله بطرت القرية معيشتها نصبه كنصب التفسير ولا يجوز تقديمه[٩]، وهذا محال عند البصريين لأنه جعل المعرفة منصوبة على التمييز ويجوز تقديمها لأنه زال معنى التمييز[١٠]، وقد أشار ابن أبي الحديد إلى هذه المسألة دون أن يحدد موقفه من المذهبين بقوله : ((قولهم : سَفِه فلان نفسَه

وغبن رأيه ، وبطر عيشه ، وألم بطنه ، ورفق حاله ، ورشد أمره ، كان الأصل فيه كله : سفهت نفس زيد ، فلما حوّل الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بالمفعولية هذا مذهب البصريين والكسائي

---

(٢) ينظر الكتاب ٢ / ٧٤ ـ ٧٥ .
(٣) ينظر معاني الفراء ٢ / ٣٧٥ .
(٤) ينظر شرح اللمع ١ / ١٣٩ ـ ١٤٠ .
(٥) ينظر شرح شذور الذهب / ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ، والدرر اللوامع ١ / ٢٠٨ .
(٦) ينظر مغني اللبيب ٢ / ٤٦٣ .
(٧) ينظر الكتاب ١ / ٢٠٥ ، ومعاني الفراء ١ / ٧٩ ، والأصول ٢ / ٢٣٨ ، والإنصاف ٢ / ٤٩٣ .
(٨) ينظر المقتضب ٣ / ٣٦ ، وإعراب النحاس ١ / ٣٩٤ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٦٧٠ ـ ٦٧١ ، والأشباه والنظائر ٢ / ٢٨٩ .
(٩) شرح النهج ١ / ٢٦٧ .
(١٠) معاني الفراء ١ / ٧٩ .
(١١) ينظر الأصول ٢ / ٢٣٩ ، وإعراب النحاس ١ / ٢١٤ .

من الكوفيين ، وقال الفراء : لما حوّل الفعل إلى الرجل خرج ما بعده مفسرا ليدل على أنّ السفاهة فيه ، وكان حكمه أن يكون : سَفِه زيد نفسا ؛ لأنّ المفسر لا يكون إلا نكرة ولكنه ترك على إضافته ، ونصب كنصب النكرة تشبيها بها))[1].

الحال :

يعرف ابن أبي الحديد الحال هو ((وصف هيئة الفاعل أو المفعول))[2]، وذكره في أقوال الإمام على (ع) وبحالات متعددة منها : عندما يكون الحال مفردا . أي ليس جملة ولا شبه جملة . من ذلك في قول الإمام : ((لا يثقلنّ عليك شيء خففتَ به المؤونة عنهم معتمدا فضل قوتهم)) ، فمعتمدا : منصوب على الحال من الضمير في خففت[3]، وفي قوله تعالى : (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)[4]يقول : ((قال قوم من المفسرين : وهم يستغفرون في موضع الحال والمراد نفي الاستغفار عنهم وهذا مثل قوله تعالى : (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)[5]))[6] ، والحال هنا جملة اسمية وذكر الحال شبه الجملة من من الجار والمجرور كثيرا من ذلك مثلا في قول الإمام : ((اعلموا أنّ عبادَ الله يتواصلون بالولاية وتلاقون بالمحبة)) يقول : ((معنى يتواصلون بالولاية : يتواصلون وهم أولياء كما تقول : خرجتُ بسلاحي أي خرجتُ وأنا متسلح فيكون موضع الجار والمجرور نصبا على الحال))[7] .

والمشهور في الحال أنها لا تقع معرفة إلا أنه ذكر الحال المضاف معللا هذه الإضافة ، ففي قول الإمام : ((استعينه على وظائف حقوقه عزيز الجند ...)) يقول : ((عزيز : منصوب على الحال من الضمير في (استعينه) ، ويجوز أن يكون من الضمير المجرور في (حقوقه) وإضافة عزيز إلى الجند إضافة في تقدير الانفصال لا توجب تعريفه ليمتنع من كونه حالا))[8] وفي قول الإمام أيضا : ((كأني به قد نعق بالشام بعيدَ الجولة)) ، فبعيد الجولة : منصوب على الحال وإضافته غير محضة[9] .

إنّ وقوع الحال معرفة لا يقاس عليه عند النحويين وهو مقصور على السماع فقد ذكر سيبويه أمثلة كثيرة ورد فيها الحال معرفة نحو أرسلها العراك وطلبته جهدك ، وفعلته طاقتي وادخلوا الأول فالأول ، ومررتُ بهم الجماء الغفير ، ورجع عودة على بدءه ، ومررتُ به وحده وفي لغة أهل الحجاز مررتُ بهم ثلاثتهم وأربعتهم ، ومررتُ بهم قضهم وقضيضهم ...[10] وهذه الكثرة تبيح

---

(١) شرح النهج ١ / ٢٦٧ .
(٢) السابق ١٣ / ١٤٩ ، وينظر الأصول ١ / ٢٥٨ .
(٣) السابق ١٧ / ٧٣ .
(٤) الأنفال / ٣٣ .
(٥) هود / ١١٧ .
(٦) شرح النهج ١٨ / ٢٤٠ ، وينظر البحر المحيط ٤ / ٤٩٠ .
(٧) السابق ١١ / ٨١ ، و ١٣ / ١١٨ ، وينظر شرح الاشموني ٣ / ١٣٨ .
(٨) السابق ١٣ / ١١٢ .
(٩) السابق ٩ / ٤٧ .
(١) ينظر الكتاب ١ / ٣٧٢ ـ ٣٧٦ ، والمقتضب ٣ / ٢٣٧ ، وشرح المفصل ٢ / ٦٣ .

لنا القياس عليها انطلاقا من مبدأ القياس على الكثرة ، ولكن ابن أبي الحديد علل ورود الحال المضاف في الشاهدين السابقين بأن إضافته غير محضة ، وهي كل اسم فاعل أو مفعول أو صفة مشبهة بمعنى الحال أو الاستقبال مضاف إلى اسم بعده مع حذف تنوينه لضرب من التخفيف وخفض ما بعده فتكون إضافته بتقدير الانفصال[١] ، وهذا هو الحاصل في الشاهدين لأنّ (عزيز) و(بعيد) صفتان مشبهتان باسم الفاعل وبمعنى الحال .

وذكر المصدر الواقع موقع الحال ففي قول الإمام (ع) : ((رماكم من مكان قريب ... قذفا بغيب بعيد ، ورجما بظنّ غير مصيب)) يقول : ((انتصب (قذفا) على المصدر الواقع موقع الحال وكذلك (رجما)))[٢] ، ومن الممكن في هذا الشاهد جعل (قذفا) و(رجما) نائبين عن المصدر لأنّ القذف والرجم نوع من أنواع الرمي أو مرادفه .

وفي قول الإمام : ((فلأيا بلأي ما نجا ...)) يقول : ((أي بعد بطء شديد ، انتصب (لأيا) على المصدر القائم مقام الحال ، أي نجا مبطئا والعامل في المصدر محذوف أي أبطأ بطئا والفائدة من تكرير اللفظ المبالغة في وصف البطء الذي نجا موصوفه به ، أي لأيا مقرونا بلأي))[٣] .

لقد جاء هذا المصدر في الكتاب أنشد سيبويه في ((باب هذا ما ينتصب من المصادر لأنه حال وقع فيه الأمر لزهير :

فلأيا بلأي ما حملنا وليدنا على ظهر محبوك ظماء مفاصله))[٤] .

والشاهد فيه قوله (لأيا بلأي) نصبه على المصدر الموضوع موضع الحال والتقدير : حملنا وليدنا مبطئين متلئين[٥]، وحكي وقوع المصدر النكرة حالا من ذلك قولك : قتلته صبرا ، ولقيته فجأة وكفاحا ، ولقيته عيانا ، وأتيته ركضا ومشيا[٦]، وهذه المصادر عند النحاة مؤولة بمشتق والتقدير : مصبورا ومفاجئة ومكافحة ومعاينة وراكضا وماشيا[٧]، ومع كثرتها في كلام العرب فهي مقصورة على السماع[٨] وقد رجح أحد الباحثين القياس على هذه الكثرة لأنّ قواعد العربية بُنيت على ذلك[٩].

ومن التأويلات النحوية في تفسير القرآن الكريم التي لها علاقة بموضوع الحال هي في قوله

---

(٢) ينظر شرح المفصل ٢ / ١١٩ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٤٥ .
(٣) شرح النهج ١٣ / ١٤١ ، وينظر المقتضب ٤ / ٣١٢ ، والمفصل / ٢٨ .
(٤) السابق ١٦ / ١٥٠ .
(٥) الكتاب ١ / ٣٧١ .
(٦) تحصيل عينة الذهب / ٣٧٠ .
(٧) الكتاب ١ / ٣٧٠ .
(٨) ينظر المقتضب ٣ / ٢٦٩ ، والأصول ١ / ١٩٥ ، وشرح المفصل ٢ / ٥٩ .
(٩) ينظر شرح الاشموني ٢ / ١٧٣ .
(١٠) ينظر النحو في اللهجات العربية القديمة / ٢٥٧ .

تعالى : (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ)[1] يعلقِ ابن أبي الحديد عليها بقوله : ((إنّ من الناس مَن وقف على قوله (إلا الله) ومنهم مَن لم يقف على ذلك وهذا القول أقوى من الأول ، فإن قلنا : فما الذي يكون موقع (يقولون) من الإعراب ؟ قلتُ : يمكن أن يكون نصبا على أنه حال من الراسخين ، ويمكن أن يكون كلاما مستأنفا أي هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به))[2] .

وتحدث عن الفصل بين الحال وصاحب الحال وهو في معرض حديثه عن الفصل بين الصفة والموصوف ففي قوله تعالى : (أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ، قَيِّماً)[3] يقول : قيما : حال من الكتاب وقد توسط بين الحال وذي الحال (ولم يجعل له عوجا) والحال كالصفة ولأنهم أجازوا (مررتُ برجل . أيّها الناس . طويل) والنداء أجنبي))[4] .

وفي هذه الآية الكريمة اختلف النحويون فيمالا بينهم كثيرا ويمكن إجمال آرائهم على قسمين :

الأول : يرى أنّ في الآية تقديما وتأخيرا : انزل الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا فيكون (قيما) حال من الكتاب واعترض بين الحال وذي الحال قوله (ولم يجعل له عوجا) .

والثاني : يرى أنّ (قيما) منصوب بفعل مضمر ولا يجعله حالا لما يلزم من ذلك وهو الفصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وقدّره جعله قيما[5] .

وابن أبي الحديد مع القسم الأول وهو الأرجح إذ لا مسوغ لتقدير فعل في الآية الكريمة .

وذكر حذف الحال كثيرا في مواضع دلّ الكلام فيها بعضه على بعض ولاسيما تعلق حرف الجر بحال محذوفة ومنها تعلق حرف الجر (إلى) بحال محذوفة ففي قول الإمام : ((قد جعل الله عهده وذمته آمنا ... يستفيضون إلى جواره)) يقول : ((يستفيضون إلى جواره : أي ينتشرون في طلب حاجاتهم ومآربهم ساكنين إلى جواره فـ(إلى) ها هنا متعلقة بمحذوف مقدر كقوله تعالى : (فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ)[6]، ولم يقل مرسلا لأن الكلام يدلّ بعضه على بعض))[7]، وكذلك تعلق حرف الجر (في)[8]، و(إلى)[9] بحال محذوفة .

ومن المسائل الخلافية في موضوع الحال هي هل يجوز تقديم الحال على صاحبها ؟

ذهب البصريون إلى جواز تقديم الحال على صاحبها المرفوع أو المنصوب ظاهرا كان صاحب الحال أو مضمرا ، مفردا كان الحال أو جملة ، ومنعوا تقديم الحال على صاحبها

---

(١) آل عمران / ٧ .
(٢) شرح النهج ٦ / ٤٠٤ .
(٣) الكهف / ١ ، ٢ .
(٤) شرح النهج ١٠ / ٧٣ .
(٥) ينظر إعراب النحاس ٢ / ٢٦٥ ، والبيان ٢ / ٩٩ ، والتبيان ٢ / ٩٨ ، والبحر المحيط ٦ / ٥٩ ـ ٦٩ .
(٦) النـمل / ١٢ .
(٧) شرح النهج ١٧ / ١٠٩ ، و ٦ / ١٤١ ، وينظر معاني الفراء ٢ / ٢٨٨ .
(٨) السابق ٩ / ٢٥٦ .
(٩) السابق ١٧ / ١٣٦ .

المجرور بالإضافة إجماعا ، واختلفوا في تقديمه على صاحبها المجرور بحرف الجر فمنعه أكثرهم[1] ، وذهب الكوفيون وتبعهم الفارسي وابن برهان وابن كيسان من البصريين وابن مالك إلى أنه صاحب الحال إذا كان اسما ظاهرا ولم يجز تقديم الحال عليه إلا في مسألة واحدة وهي أن يكون صاحب الحال مرفوعا ، ومنهم مَن استثنى من المنع مسألة أخرى وهي أن يكون صاحب الحال منصوبا والحال جملة فعلية ، أما إذا كان صاحب الحال مجرورا أو منصوبا والحال مفردا لا جملة أو جملة اسمية فلم يجوزوه ، وإذا كان صاحب الحال ضميرا فإنهم يجيزون تقديم حاله عليه مطلقا سواء أكان صاحب الحال مرفوعا أم كان منصوبا أم مجرورا[2].

وافق ابن أبي الحديد الكوفيين في هذه المسألة ففي قول الإمام (ع) : ((سبحانه جعل حقه على العباد أن يطيعوه ... بما هو المزيد أهله)) يقول : ((بما هو المزيد أهله : أي بما هو أهله من المزيد فقدّم الجار والمجرور وموضعه نصب على الحال ، وفيه دلالة على أنّ حال المجرور تتقدم عليه كما قال الشاعر :

لئن كان بردُ الماء حرّان صاديا إليّ حبيبا إنها لحبيبُ))[3] .

فـ (حرّان) و(صاديا) حالان من الضمير المجرور بـ(إلى) وهو الياء .

المستثنى :

تحدث ابن أبي الحديد عن الاستثناء في قوله تعالى : (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ، إِلَّا إِبْلِيسَ)[4] بقوله : ((إن قلت : هل كان إبليس من الملائكة أم لا ؟ قلتُ : قد اختلف في ذلك فمَن جعله منهم احتج بالاستثناء ومَن جعله من غيرهم احتج بقوله تعالى : (كَانَ مِنَ الْجِنِّ)[5] وجعل الاستثناء منقطعا))[6]، وهذا يعني أنه على دراية بأنواع الاستثناء وموقع المستثنى . ومن أدوات الاستثناء التي تعرب إعراب المستثنى هي (سوى) فقد جعلها اسما بمعنى (غير) في قول الإمام : ((إنّ فيما تبينتُ من إدبار الدنيا عني ما يزعني عن ذكر مَن سواي)) إذ يقول : ((سوى : لفظة قصر إذا كسرت سينها وتمد إذا فتحتها ، وهي ها هنا بمعنى (غير) ...))[7] .

وهذه من المسائل الخلافية فقد ذهب البصريون إلى أنّ (سوى) لا تأتي إلا ظرفا ولا يجوز أن تأتي اسما[8]، وذهب الكوفيون إلى أنها إذا استثني بها خرجت عن حكم الظرفية إلى حكم الاسمية فصارت بمعنى (غير) في الاستثناء[9] ، وتابعهم ابن مالك[1]، وقد سبقه ابن أبي الحديد إلى ذلك .

---

(١) ينظر الكتاب ٢ / ١٢٢ ، والمقتضب ٤ / ١٧١ ، والأصول ١ / ٢٦٠ ، والإنصاف ١ / ١٥٨ .
(٢) ينظر شرح اللمع ١ / ١٣٧ ـ ١٣٨ ، وشرح الكافية ٢ / ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٦٤١ ـ ٦٤٢ ،
(٣) شرح النهج ١ / ٩١ .
(٤) ص / ٧١ ـ ٧٢ .
(٥) الكهف / ٥٠ .
(٦) شرح النهج ١٣ / ١٣٠ .
(٧) السابق ١٦ / ٥٧ .
(٨) ينظر الكتاب ٢ / ٣٥٠ ، والمقتضب ٤ / ٣٤٩ ، والأصول ١ / ٣٤٩ ـ ٣٥٠ ، والأنصاف ١ / ١٨٥ .
(١) ينظر معاني الفراء ٢ / ٢٢٢ ، ومجالس ثعلب ١ / ٣٠١ ، وشرح المفصل ٢ / ٨٤ .

ج . المجرور بالإضافة :

ذكر ابن أبي الحديد الإضافة بصيغ متعددة منها :

ـ المصدر المضاف إلى المفعول به في قول الإمام (ع) : ((إنّ أعظم الخيانة خيانة الأمة)) فـ(خيانة) مصدر مضاف إلى المفعول به[٢] .

. إضافة الصفة إلى الموصوف في قول الإمام : ((احذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة)) فـ((عاجل قارعة : من باب إضافة الصفة للموصوف للتأكيد كقوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ)[٣]))[٤]، وفي قول الإمام : ((في مجلات نعمه وموجبات مننه)) يرى أنّ ((مجلات النعم : تجلل الناس أي تعمهم من قولهم : سحاب مجلل أي يطبق الأرض ، وهذا من باب إضافة الضفة إلى الموصوف كقولك : أنا في سابغ ظلك وعميم فضلك كأنه قال : في نعمه المجللة وكذلك القول في موجبات مننه أي مننه التي توجب الشكر))[٥].

ومن النحويين لا يجيز إضافة الصفة إلى الموصوف لأنهما شيء واحد وتأويله عندهم على حذف المضاف إليه فـ(حق اليقين) تأويله حق الأمر اليقين[٦]، وعند الفراء أنّ هذا مما يضاف الشيء إلى نفسه[٧] .

ـ إضافة الشيء إلى نفسه : فقد أجاز ابن أبي الحديد ذلك ففي قول الإمام : ((إنها عند ذوي العقول كفيء الظل ...)) يقول : ((قال كفيء الظل لأنّ العرب تضيف الشيء إلى نفسه قال تأبط شرّا :

إذا حاص عينيه كرى النوم لم يزل له كاليء من قلب شيحان فاتك))[٨].

وعندما تحدث عن لفظة (ذات) قال : ((أنكر قوم من أهل العربية إضافتها إلى الله سبحانه وأنه لا يقال (ذاته) لأنّ الشيء لا يضاف إلى نفسه فباطل بقولهم : أخذته نفسه وأخذته عينه فإنه بالاتفاق جائز وفيه إضافة الشيء إلى نفسه))[٩]، فعلى هذا يكون ابن أبي الحديد قد وافق الكوفيين على جواز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان[١٠]، ومنع ذلك البصريون[١١].

. حذف المضاف : ذكره دون أنّ يشير إلى أنّ هذا الحذف من باب الاتساع إذ يقول :

---

(٢) ينظر شرح الكافية الشافية ٢ / ٧١٦ .
(٣) شرح النهج ١٥ / ١٦٢ .
(٤) الحاقة / ٥١ .
(٥) شرح النهج ١٧ / ١٣٦ ، وينظر صفوة البيان / ٧٤٦ .
(٦) السابق ٦ / ٢٥٩ .
(٧) ينظر المفصل / ٤٠ ، وشرح المفصل ٣ / ١٠ ـ ١١ ، وأمالي ابن الحاجب / ٦٥ .
(٨) ينظر معاني الفراء ١ / ٣٣١ .
(٩) شرح النهج ٥ / ١٤٣ ـ ١٤٤ .
(١٠) السابق ٦ / ٤٠٨ ـ ٤٠٩ .
(١١) ينظر معاني الفراء ٢ / ٥٥ ـ ٦٥ ، وإعراب النحاس ٢ / ١٦ ، والأشباه والنظائر ٢ / ١٧٥ .
(١٢) ينظر الأصول ٢ / ٦ ، والخصائص ٣ / ٢٤ ، والمفصل / ٤٠ ، والإنصاف ١ / ٢٥٢ .

((الجمل تضاف إليها أسماء الزمان كقولك : أتيتك زمن الحجاج أمير ثمّ حذفت المضاف الذي هو (أوقات) وولي الظرف الذي هو بين الجملة التي أقيمت مقام المضاف إليه كقوله تعالى : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)[1]))[2] ، وعدّ النحاة هذا الحذف من باب الاتساع[3] .

وكذلك ذكر حذف المضاف في حديث نبوي أشار إليه الإمام علي (ع) في خطبة له هو : ((يموت مَن مات منّا وليس بميت ، ويبلى مَن بلى منّا وليس ببالٍ)) أي ((يبلى كفن مَن بلى منّا فحذف المضاف كقوله تعالى : (وَإِلَى مَدْيَنَ)[4] أي إلى أهل مدين))[5]، وفي قوله تعالى : (هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ)[6] ، أي ذوو درجات[7] ، وفي قوله تعالى : (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ، النَّارُ)[8] ، أي ذي النار[9] ، وفي هذه الآية الكريمة لم يشر احد من النحاة إلى حذف المضاف بل يعربون (النار) بدل اشتمال[10]، وتابعهم ابن أبي الحديد في موضع آخر في كون (النار) بدل اشتمال وقد حُذف ضميره[11]، ولا تناقض في إعرابه إذ يصح أن يحذف المضاف ويقوم مقامه المضاف إليه ويعرب بدل اشتمال مثلما يعرب مفعولا به أو غيره .

. حذف المضاف إليه : ذكر حذف الضمير المضاف إليه في قوله تعالى : (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)[12]، إذ يقول : ((أراد أن يقول لا يسبقونه بقولهم فحذف الضمير المضاف وأناب اللام منابه))[13]، وهو بذلك يتفق مع الكوفيين وأكثر المتأخرين الذين أجازوا نيابة (ال) الضمير المضاف إليه ومنع ذلك اغلب البصريين[14].

القسم الثاني من الأسماء المعربة :

الممنوع من الصرف :

ذكر بعض الصفات والأسماء التي تمنع من الصرف وهي :

. الصفات إذا كانت على وزن (أفعل) مثلا في قول الإمام : ((أن يعذبَ فأنتم أظلم)) فـ(أظلم) ((أفعل ها هنا بمعنى الصفة لا بمعنى التفضيل وإنما يراد فأنتم الظالمون كقوله

---

(١) يوسف / ٨٢ .
(٢) شرح النهج ٥ / ١٤٤ ، وينظر الكتاب ٣ / ٢٦٩ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٢٨ .
(٣) ينظر الكتاب ١ / ٢٢ ، ومعاني الفراء ١ / ٦١ ، والمقتضب ٣ / ٢٣ ، والأصول ٢ / ٢٦٥ .
(٤) الأعراف / ٨٥ .
(٥) شرح النهج ٦ / ٣٧٨ ، وينظر الأمالي الشجرية ١ / ٣٢٤ ، والبحر المحيط ٤ / ٣٣٦ .
(٦) آل عمران ١٦٣ .
(٧) شرح النهج ٧ / ١٧٢ ، وينظر البيان ١ / ٢٣ .
(٨) البروج / ٤ ، ٥ .
(٩) شرح النهج ١ / ٣١٤ .
(١٠) ينظر معاني الفراء ٣ / ٢٥٣ ، وإعراب النحاس ٣ / ٦٦٧ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٥٠ .
(١١) شرح النهج ٨ / ٢٧٠ .
(١٢) الأنبياء / ٢٧ .
(١٣) شرح النهج ٦ / ٤٢٧ .
(١٤) ينظر البحر المحيط ٦ / ٣٠٧ ، ومغني اللبيب ١ / ٥٤ .

تعالى : (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْه)[1] وكقولهم : الله اكبر[2]))[3] .

وفي قوله تعالى : (وهو أهون عليه) قولان : أحدهما أن (أهون) بمعنى الصفة أي (هيّن) والآخر بمعنى التفضيل[4] ، واختار ابن أبي الحديد القول الأول فتكون (أظلم) و(أهون) و(اكبر) صفات على وزن (أفعل) لا تنصرف .

وكذلك كلمة (أول) لا تنصرف لأنها صفة على وزن (افعل) في قول الإمام : ((إنّ المؤمن يستحل العام ما استحل عاما أولَ))[5] ، و((تقول : ألقيته عاما أولَ ، وما رأيته مذ عام أولَ كلاهما بغير تنوين ، وإن قلتَ : ابدأ بهذا أولَ ضممته على الغاية))[6] .

. الأسماء : من الأسماء الممنوعة من الصرف التي تحدث عنها هي :

ثمود : إذا أردتَ القبيلة غير مصروف ، وإذا أردتَ الحي أو اسم الأب مصروف[7] .

وهجر : اسم مدينة لا ينصرف للتعريف والتأنيث كما جاء في المثل : ((كمستبضع تمر إلى هجر))[8] [9] .

وأذربيجان : اسم علم أعجمي لا ينصرف[10].

مسائل أخرى في الاسم ومنها :

المثنى بصيغة الجمع :

في قول الإمام : ((إنّ الدنيا رنقٌ مشربها قمصتْ بأرجلها ...)) يقول : ((جمع فقال (بأرجلها) وإنما للدابة رجلان ، لأنّ المثنى يطلق عليه صيغة الجمع كما في قولهم : امرأة ذات أوراك ومآكم وهما وركان))[11]معنى ذلك أنه يشبه الدنيا بالدابة .

والمثنى بصيغة الجمع ذكره النحويون مفصلين القول فيه ولا خلاف فيه[12].

لا أبا لك :

تحدث عن هذا التركيب بقوله : ((الأفصح (لا ابَ) بحذف الألف كما قال الشاعر :

أبى الإسلام لا أبَ سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

أما قولهم (لا أبا لك) بإثباته فدون الأول في الفصاحة كأنهم قصدوا الإضافة وأقحموا اللام مزيدة مؤكده كما قالوا (يا تيم تيم عَديّ) وهو غريب لأنّ حكم (لا) أن تعمل في النكرة فقط

---

(١) الروم / ٢٧ .
(٢) الزاهر ١ / ١٢٢ .
(٣) شرح النهج ١٥ / ١٦٥ .
(٤) ينظر الكامل ٢ / ١٦ ، والأمالي الشجرية ١ / ٣٤٤ ، والتبيان ٢ / ١٨٦ .
(٥) شرح النهج ١٠ / ١٦ ، وينظر الكتاب ٣ / ٢٠٣ ، و٢٨٧ ، وشرح عيون الكتاب ٢ / ١٩٣ .
(٦) السابق ٦ / ٢٤٢ ، وينظر المقتضب ٤ / ٢٠٥ .
(٧) السابق ١٠ / ٧٤ ، وينظر الكتاب ٣ / ٢٥٢ ، ومعاني الفراء ٣ / ١٤ ، والمقتضب ٣ / ٣٥٤ .
(٨) جمهرة الأمثال ٢ / ١٥٣ .
(٩) شرح النهج ١٥ / ١٨٨ .
(١٠) السابق ١٤ / ٣٣ .
(١١) السابق ٦ / ٢٤٧ ، وينظر الفلك الدائر /٤٢ .
(١٢) ينظر الكتاب ٢ / ٤٨ ، ومعاني الفراء ١ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

وحكم الألف أن تثبت مع الإضافة والإضافة تعرف فاجتمع فيها حكمان متنافيان فصار من الشواذ كالملاقح و المذاكير ولدن غدوة .

وقال الشيخ أبو البقاء : يجوز فيها وجهان آخران :

أحدهما أنه أشبع فتحة الباء فنشأت الألف والاسم باقٍ على تنكيره .

والثاني : أن يكون استعمل (أبا) على لغة مَن قال (أبا) في جميع أحوالها مثل (عصا) ومنه :

إنّ أباها وأبا أباها ....))[1] .

يكاد يكون كلامه متطابقا مع ما جاء في الكتب النحوية للعلماء الذين سبقوه[2]، وأكثرهم تطابقا كتاب المفصل للزمخشري[3] ، مع بعض الإضافات تشبه إلى حد ما الحواشي والتعليقات على الكتب .

ويل أمه :

قال : ((كلمة تقال للتعجب والاستعظام يقال : ويلُّمه فارسا وتكتب موصولة كما هي بهذه الصور وأصلها (ويل أمه) مرادهم التعظيم والمدح وإن كان اللفظ موضوعا لضد ذلك كقوله عليه الصلاة والسلام : ((فاظفر بذات البين تربت يداك)) وكقولهم للرجل يطعنونه ويقرظونه : لا أبا له .

قال أبو العباس المبرد : هي كلمة فيها جفاء وخشونة كانت الأعراب يستعملونها فيمن يستعظمون أمره قال : ولما أنشد سليمان بن عبد الملك قول بعض الأعراب :

ربّ العباد ما لنا وما لكا قد كنتَ تسقينا فما بدا لكا

انزل علينا الغيث لا أبا لك

قال : اشهد أنه لا أبَ له ولا صاحبةَ ولا ولدَ فأخرجها بأحسنَ مخرج))[4].

وفي أصل (ويل أمه) اختلف ابن أبي الحديد مع الخليل إذ يرى أنّ أصلها (وي لأمه)[5]، ووافق كلامُهُ نحويين آخرين سبقوه[6]، وتبع ابن أبي الحديد بهذا الرأي بعض المحدثين[7] .

التوابع : وتشمل :

الصفة والبدل والتوكيد والعطف .

الصفة :

ذكرها تابعا للموصوف في الإعراب إن كانت مفردة أو جملة ، فمثال الأولى قول الإمام (ع)

---

(١) شرح النهج ١٠ / ٩٩ .
(٢) ينظر الكتاب ٢ / ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ، والمقتضب ٤ / ٣٧٤ ، والأمالي الشجرية ٢ / ٨٣ .
(٣) ينظر المفصل / ٣٥ ، وشرح المفصل ٢ / ١٠٤ .
(٤) شرح النهج ٦ / ١٣٤ ، وينظر الكامل ٢ / ١٥٩ ـ ١٦٠ .
(٥) ينظر الكتاب ٣ / ٥ .
(٦) تنظر الخصائص ٣ / ١٥٠ ، والأمالي الشجرية ٢ / ٤ .
(٧) ينظر نهج البلاغة (عبده) ١ / ١٢٥ ، ومع نهج البلاغة / ٣٨ .

: ((هو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون)) ، فـ((المخزون بالجر صفة (علمك))[1] ومثال الثانية في قول الإمام : ((في ليلٍ داجٍ ، ولا غسقٍ ساجٍ يتفيأ عليه القمر المنير)) فـ(يتفيأ عليه القمر) : في موضع جر لأنه صفة غسق[2] ، وجعل الأحرف في موضع نصب صفة ففي قول الإمام : ((أقتتلوا شيئا كلا ولا ...)) يقول : ((أي شيئا قليلا وموضع (كلا ولا) نصب لأنه صفة شيئا ، وهي كلمة تقال لما يستقصر وقته جدا ، والمعروف عند أهل اللغة (كلا وذا) قال ابنة هانيء المغربي :

وأسرع في العين من لحظة وأقصر في السمع من لا وذا

وفي شعر الكميت : كلا وكذا تغميضة[3] ...

وقد رويت في نهج البلاغة كذلك إلا أنّ أكثر النسخ (كلا ولا)))[4] .

وقد علّق الشيخ محمد عبده في (نهج البلاغة) على ذلك بقوله : ((لا ولا كناية عن السرعة التامة فإن حرفين ثانيهما حرف لين سريع الانقضاء عند السمع قال أبو برهان المغربي :

وأسرع في العين من لحظة وأقصر في السمع من لا ولا))[5] .

وجوز ابن أبي الحديد الصفة بعد الصفة ففي قول الإمام : ((إنّ لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا ... وشركاءَ أهلَ مسكنة)) يقول : ((انتصب (أهل مسكنة) لأنع صفة (شركاء) وفي التحقيق أنّ (شركاء) صفة أيضا موصوفها محذوف فيكون صفة بعد صفة))[6].

تقديم الصفة على الموصوف : جوّز ابن أبي الحديد ذلك ففي قول الإمام : ((إنّ المرء المسلم ما لم يغشَ دناءة وتظهّر فيخشع لها ... كان كالفالج الياسر)) يقول : ((في الكلام تقديم وتأخير تقديره كالياسر الفالج وهو من باب تقديم الصفة على الموصوف كقوله تعالى : (وَغَرَابِيبُ سُودٌ)[7] ،وحسّن ذلك ها هنا أنّ اللفظين صفتان وإن كانت أحدهما مرتبة على الأخرى))[8].لقد منع أغلب النحويين تقديم التابع على المتبوع ولاسيما الصفة على الموصوف لأنّ الصفة مع الاسم بمنزلة الشيء الواحد[9]، وجوّز بعضهم ذلك في قوله تعالى : (وَغَرَابِيبُ سُودٌ) أي سود غرابيب والمانعون يرون أنّ (سودا) بدل من (غرابيب)[10]غير أننا نجده في موضع آخر يقول في

---

(١) شرح النهج ٦ / ١٤٢ .
(٢) السابق ٩ / ٢٥٦ .
(٣) البيت بتمامه : كلا وكذا تغميضة ثمّ هجتم لدى حين ان كانوا إلى النوم أفقرا (ينظر شرح النهج ١٦ / ١٥٠ هامش المحقق)
(٤) السابق ١٦ / ١٥٠ .
(٥) نهج البلاغة ٣ / ٤٩٤ ، و مع نهج البلاغة / ٣٩ .
(٦) شرح النهج ١٥ / ١٦٠ ، وينظر الأصول ٢ / ٣٧ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٢٠٣ .
(٧) فاطر / ٢٧ .
(٨) شرح النهج ١ / ٣١٤ ، وينظر نهج البلاغة ١ / ٦٨ .
(٩) ينظر المقتضب ٤ / ١٩٢ ، والأصول ٢ / ٢٣٤ ، والأمالي الشجرية ١ / ١٨٠ .
(١٠) ينظر البحر المحيط ٧ / ٣١٢ .

(١) ينظر البحر المحيط ٧ / ٣١٢

الآية السابقة : ((ليس أنّ الصفة تقدمت على الموصوف بل بجعل السود بدلا من الغرابيب))[1] ، فهل هذا تناقض في كلامه ؟

فلعله أراد أن يعزز إعرابه السابق في قول الإمام بجواز تقديم الصفة على الموصوف فاستشهد بهذه الآية مختارا هذا الإعراب ثمّ استدرك عليه في موضع آخر مختارا الإعراب الأرجح وهو البدل .

حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه : ففي قول الحارث بن هشام المخزومي :

اللهُ يعلمُ ما تركتُ قتالهم حتى علوا فرسي بأشقر مزيد

يقول : ((أراد بدم أشقر فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامة كناية عنه ، والعرب تقيم الصفة مقام الموصوف كثيرا كقوله تعالى : (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ)[2] أي سفينة ذات ألواح ، وكقول عنترة :

... تحكو فريصته كشدق الأعلم

أي كشدق الإنسان الأعلم ، أو البعير الأعلم))[3] .

وفي قول الشاعر :

ألا يكفي كان من أرمى البشر ...

أي يكفي غلام هذه صفته[4] .

وهذا الشاهد الأخير فيه خلاف بين النحويين إذ يرى أغلبهم أنّ فيه حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه والتقدير عندهم يكفي رجل أو إنسان[5]، ويرى بعضهم أنّ الشاهد ليس فيه حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، فقد رُوي بفتح ميم (مَن) أي يكفي مَن هو أرمى البشر وكان زائدة[6] ، فيكون صاحبنا مع الأغلبية من النحاة باختياره الإعراب الأول .

وأحيانا يخرج عن إعراب النحاة البصريين والكوفيين إذ يتأول قوله تعالى : (وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً)[7] بحذف الموصوف أي قبيلا رفيقا[8] ، ذلك إنّ النحاة اختلفوا في إعراب (رفيقا) فبعض البصريين يرون أنه حال[9] ، والكوفيون يرون أنه تمييز[10]، وبعضهم ذكر الوجهين دون ترجيح

---

(٢) شرح النهج ١٠ / ٦٠ .
(٣) القمر / ١٣ .
(٤) شرح النهج ٥ / ٥٠ ، وينظر الكتاب ٢ / ٣٤٥ ، وإعراب النحاس ٣ / ٢٨٥ .
(٥) السابق ٧ / ١٩٠ .
(٦) ينظر معاني الفراء ١ / ٢٧١ ، والمقتضب ٢ / ١٣٩ ، ومجالس ثعلب ٢ / ١٣ ، والأصول ٢ / ١٨٥ .
(٧) ينظر الخصائص ٢ / ٣٦٧ ، وشرح المفصل ٣ / ٦٢ .
(٨) النساء / ٦٩ .
(٩) شرح النهج ٦ / ٣٥٤ .
(١٠) ينظر إعراب النحاس ١ / ٤٣٢ ، وتفسير القرطبي ٥ / ١٧٦ .
(١١) ينظر معاني الفراء ١ / ٢٦٨ .
(١١) ينظر البيان ١ / ٢٥٨ ، والبحر المحيط ٣ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

أحدهما على الآخر[1]، فعلى هذا يكون ابن أبي الحديد قد تفرّد برأيه بجعل (رفيقا) صفة لموصوف محذوف تقديره (قبيلا) .

الفصل بين الصفة والموصوف : يرى أنه قد جاء كثيرا ففي وصية للإمام علي(ع) : ((إن أبتْ نفسُك أنْ تقبلَ ذلك دون أنْ تعلمَ كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم ...)) يقول : ((كما علموا : ينبغي أن يقال إنّ الكاف وما عملت فيه في موضع نصب لأنه صفة مصدر محذوف وتقديره : أن تقبلوا علما كما علموا ، وليس لقائل أن يقول : فإذن يكون قد فصل بين الصفة والموصوف بأجنبي ؛ لأن الفصل بينهما قد جاء كثيرا قال الشاعر :

جزى اللهُ كفّا ملئها من سعادة سرتْ في هلاك المال والمالُ نائم))[2] .

ونحو قوله تعالى : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ)[3] في قول مَن لم يجعل (مردوا) صفة أُقيمت مقام الموصوف ؛ لأنه يجعل (مردوا) صفة القوم المحذوفين المقدّرين بعد (الأعراب) وقد حال بين ذلك وبين (مردوا) قوله (ومن أهل المدينة)[4] .

وقد اختلف النحويون في هذه الآية فمنهم مَن جعل (مردوا) صفة أُقيمت مقام الموصوف المحذوف وهو (أناس) أو (فريق)[5]، ومنهم مَن جعل (من أهل المدينة) معطوفة على (مَن) في قوله (وممن) ويكون (مردوا) استئنافا ، ومنهم مَن جعل (مردوا) صفة للمبتدأ الذي هو منافقون و(من أهل المدينة) فصل بينهما ، ومنهم مَن قدّر موصوفا محذوفا هو المبتدأ أي ومن أهل المدينة قوم مردوا أو منافقون مردوا فيكون من عطف الجمل ، ومنهم جعل (مردوا) صفة القوم المحذوفين المقدّرين بعد (الأعراب) و(من أهل المدينة) فصل بينهما[6]، وهذا مما اختاره ابن أبي الحديد .

البدل :

أشار إليه ابن أبي الحديد في أقوال الإمام ومنها : ((يحتلبون الدنيا درّها بالدين)) فدرّها منصوب بالبدل من الدنيا[7] ، وقوله : ((احذروا عبادَ الله عدوَ الله أن يعديكم بدائه)) فموضع (أن يعديكم) نصب على البدل من (عدو الله)[8] . وفي قوله تعالى : (وَغَرَابِيبُ سُودٌ)[9] بجعل

---

(١) ينظر البيان ١ / ٢٥٨ ، والبحر المحيط ٣ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .
(٢) شرح النهج ١٦ / ٧٢ .
(٣) التوبة / ١٠١ .
(٤) شرح النهج ١٠ / ٧٣ .
(٥) ينظر شرح اللمع ١ / ٢٣٤ .
(٦) ينظر البحر المحيط ٥ / ٩٣ .
(٧) شرح النهج ١٦ / ١٣٩ .
(٨) السابق ١٣ / ١٣٨ .
(٩) فاطر / ٢٧ .

سود بدلا من غرابيب[1] ، وفي قوله تعالى : (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ، النَّارُ)[2]، فـ(النار) بدل اشتمال وقد حذف الضمير العائد[3] ، ولم يشر إلى أنواع البدل إلا في هذه الآية .

التوكيد :

من أساليب التوكيد التي ذكرها هو التوكيد اللفظي لكن ليس بتكرار اللفظ نفسه بل بمرادفه ولاسيما توكيد الجملة ففي قول الإمام (ع) : ((هو الأول ولم يزل والباقي بلا أجل)) يقول : ((تكرار لهذين المعنيين السابقينِ على سبيل التأكيد))[4].

وتوكيد المفرد بمرادفه المعطوف في قول الإمام يصف الدنيا : ((سرورُها مشوبٌ بالحزن وجَلَدُ الرجال فيها إلى الضعف والوهن)) إذ يقول : ((الوهن : الضعف نفسه ، وإنما عطف للتأكيد كقوله تعالى : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً)[5]، وقوله : (لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ)[6]))[7] .

العطف :

من أساليب العطف التي ذكرها عطف الاسم المفرد على مثله في قول الإمام : ((استحقوا منه ما أعدكم بالتنجزِ لصدقِ ميعاده والحذرِ من هول معادِهِ)) فالحذر : مجرور بالعطف على التنجز[8]، وعطف الجملة الفعلية على مثلها في قول الإمام : ((ما خُلقتُ ليشغلني أكلُ الطيبات أو أتركَ سُدى أو أجرَّ حبل الضلالة)) فـ(أجرّ) منصوب بالعطف على (يشغلني) وكذلك (أترك)[9] .

. العطف على الضمير المستكن أو المتصل المرفوع ولم يؤكد للفصل بينهما في قول الإمام : ((كان الرجلُ ليناول المرأةَ في الجاهلية بالقهر والهراوة فيُعير بها وعقبُهُ من بعده)) يقول : ((عطف و(عقبه) على الضمير المستكن المرفوع في (يُعير) ولم يؤكد للفصل بقوله (بها) كقوله تعالى : (مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا)[10]لما فصل بـ(لا) ولم يحتج إلى توكيد))[11] .

وهذه من المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين ، وقد وافق بها البصريين لأنهم ذهبوا إلى عدم جواز العطف على الضمير المتصل المرفوع إلا بتوكيد أو فصل ويجوز أحيانا في الشعر[12]، وذهب الكوفيون إلى أنه جائز في كل موضع[13].

---

(١) شرح النهج ١٠ / ٦٠ ، وينظر شرح اللمع ١ / ٢٣٢ .
(٢) البروج / ٤ ، ٥ .
(٣) شرح النهج ٨ / ٢٧٠ ، وينظر المقتضب ٤ / ٢٥٧ ، والبيان ٢ / ٥٠٥ ، وشرح المفصل ٣ / ٦٤ .
(٤) السابق ٩ / ٢٥٤ ، وينظر شرح الكافية الشافية ٣ / ١١٨٤ .
(٥) المائدة / ٤٨ .
(٦) فاطر / ٣٥ .
(٧) شرح النهج ٧ / ١٠٦ ، وينظر الفلك الدائر / ٢١٨ .
(٨) السابق ٦ / ٢٥٧ .
(٩) السابق ١٦ / ٢٨٨ .
(١٠) الأنعام / ١٤٨ .
(١١) شرح النهج ١٥ / ١٠٥ .
(١٢) ينظر الكتاب ١ / ٢٧٨ ، والمقتضب ٣ / ٢١٠ ، والإنصاف ٢ / ٢٧٩ .
(١٣) ينظر معاني الفراء ١ / ٢٧٨ ، ومجالس ثعلب ١ / ١٧٦ ، وشرح المفصل ٣ / ٧٧ .

. العطف على الضمير المجرور : ذكره وهو في موضع حديث عن تكرار (بين) بعد المضمر ((كقولك : المال بيني وبين زيد لأنّ المجرور لا يُعطف عليه إلا بإعادة حرف الجر والاسم المضاف ، وقد جاء المال بين زيد وعمرو وأنشدوا :

بين السحابَ وبينَ الريحِ ملحمةٌ قعاقعٌ وظبىً في الجو تخترطُ

بينَ الندى وبينَ برقةِ ضاحك غيثُ الضريك وفارسٌ مقدامُ

ومن شعر الحماسة :

إنّ الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلفٌ جدا

وعطفُ (بين) الثالثة على (بين) الثانية أولى من عطفها على الضمير المجرور)) [١] .

فعلى هذا يكون قد وافق البصريين على أنّ الضمير المجرور لا يُعطف عليه إلا بإعادة الجار له [٢] ، بينما ذهب الكوفيون إلى جواز العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض [٣] .

ولم يمنع سيبويه العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار بل عدّه من القبح وذلك قولك : مررتُ بك وزيدٍ ، كرهوا أن يشرك المظهر مضمرا داخلا فيما قبله [٤]، وفي موضع آخر جوزه في الشعر [٥] ، فضلا عن قراءة حمزة وآخرين قوله تعالى : (وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ) [٦] بجرّ (الأرحام) عطفا على الضمير المتصل المجرور وهو الهاء في (به) [٧]. وقد أثبت أحد الباحثين أنّ ما ذهب إليه الكوفيون يؤيده السماع فلعل ذلك دليل كافٍ على أنّ عطف الاسم الظاهر على الضمير المتصل المجرور دون إعادة حرف الجرّ هو استعمال فصيح خلافا لمَن منع ذلك ، ونظيره العطف على الضمير المتصل أو المستتر المرفوع بلا فصل أو توكيد [٨] .

ثانيا : الأفعال

الأفعال اللازمة والأفعال المتعدية :

يولي ابن أبي الحديد أهمية كبيرة للأفعال من حيث التعدي واللزوم وهذه بعض الأمثلة من اهتماماته بهذا الموضوع :

. تاه : في قول الإمام : ((أينَ تذهب بكم المذاهبُ وتتيه بكم الغياهبُ)) ، تتيه : عدّى الفعل اللازم بحرف الجرّ كما تقول في ذهب : ذهبتُ به [٩] .

. أجمع : يقال : أجمعتُ الأمر وعلى الأمر كله جائز نصّ صاحب الصحاح على ذلك [١٠] .

---

(١) شرح النهج ١٥ / ١٥٦ .
(٢) ينظر الإنصاف ٢ / ٢٧٢ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .
(٣) ينظر معاني الفراء ١ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، ومجالس ثعلب ١ / ١٩٥ .
(٤) ينظر الكتاب ٢ / ٣٨١ .
(٥) السابق ٢ / ٣٨٢ .
(٦) النساء / ١ .
(٧) ينظر إعراب النحاس ١ / ٣٩٠ .
(٨) ينظر النحو في اللهجات العربية القديمة / ٣٧١ ـ ٣٧٢ .
(٩) شرح النهج ٧ / ١٩٠ ، وينظر الفلك الدائر / ٢٢٠ .
(١) شرح النهج ١ / ٤٩ ، وينظر مختار الصحاح (جمع) / ١١٠ .

ـ اختار : في قوله تعالى : (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً)[1] ، حذف الجار فعدّى الفعل بنفسه[2] ، وهذه الآية قد تناولها أغلب النحويين حول تعدّي الفعل (اختار) بنفسه أحيانا وبوساطة حرف الجرّ أحيانا أخرى ، وليس هناك خلاف بينهم[3] ، وهذا مما كثُر استعماله في القرآن والشعر[4] ، ويرى آخر أنّ تعدّي هذا الفعل مقصورٌ على السماع[5] .

. أرى : يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل تقول : أرى اللهُ زيدا عمرا خيرَ الناس إذا كان بمعنى أعلمَ وإذا كان بمعنى الرؤيا بالبصر لم يحتج إلى ذلك[6] ، أي يكون متعديا لواحد فقط .

ـ رجع : لازم في قول الإمام (ع) : ((يرجعُ الباطلُ إلى نصابه)) ، ورُوي (الباطل) بالنصب على أن يكون (يرجع) متعديا تقول : رجعتُ زيدا إلى كذا[7] .

. أزمع : تقول : أزمعتُ الأمر ، ولا يقال أزمعتُ على الأمر هكذا يقول الكسائي وأجازه الفراء[8] .

. غاض : تقول : أغاض الماء فهذا لازم ، وغاض اللهُ الماءَ فهذا متعدٍ ، وجاء أغاض اللهُ الماءَ الماءَ[9] .

. كال : في قول الإمام : ((رايةُ ضلال تكيلكم بصاعها)) التقدير : تكيل لكم فحذف اللام كما في قوله تعالى : (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ)[10] أي كالوا لهم أو وزنوا لهم[11] .

نقص : يجيء لازما ومتعديا وكذلك انتقص تقول : انتقص الشيء نفسه ، وانتقصتُ الشيء أي نقصته[12].

الأفعال المبنية للمجهول :

لم يسمها كذلك وإنما اختار التسمية الكوفية وهي (فعل ما لم يسمَ فاعله) ، وأحيانا (فعل مبني للمفعول به) ، ومن أمثلة ذلك :

ـ من خطبة للإمام علي : ((إنّ الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة فمَن تركه رغبة عنه ... ذُيث بالصغار وضُرب على قلبه بالإسهاب ، وأُديل الحقُ فيه ، وسِيم الخسف ومُنع النصف ...))

يقول : ((سِيم الخسف : فعل ما لم يسمَ فاعله إنه بين أفعال متعددة بُنيت للمفعول به وهي (ذُيث) و(ضُرب) و(أُديل) و(مُنع)))[13]

---

(٢) الأعراف / ١٥٥ .
(٣) شرح النهج ١ / ٢٤٠ .
(٤) ينظر الكتاب ١ / ٣٨ ، ومعاني الفراء ١ / ٣٩٥ .
(٥) ينظر الأمالي الشجرية ١ / ١٨٦ .
(٦) ينظر البحر المحيط ٤ / ٣٩٨ .
(٧) شرح النهج ١٨ / ٣٧٤ ، وينظر الكتاب ١ / ٤١ ، والمقتضب ٣ / ١٢١ .
(٨) السابق ١ / ٣٠٤ ، وينظر شرح الفصيح / ١١٨ .
(٩) السابق ٣ / ٣٣٣ ، وينظر معاني الفراء ٢ / ١٨٤ .
(١٠) السابق ٦ / ٤٠٣ ، وينظر المقتضب ٢ / ١٠٥ .
(١١) المطففين / ٣ .
(١٢) شرح النهج ٧ / ١٨٩ ، وينظر شرح الجمل / ١٢٨ .
(١٣) السابق ٦ / ٣٩٩ ، وينظر شرح الكافية الشافية ٢ / ٦٣٦ .
(١) شرح النهج ٢ / ٧٦ ، وينظر نهج البلاغة ١ / ٧٥ .

ـ وفي قول الإمام (ع) : ((أما رأيتم الذين يأملون بعيدا ... لا في حسنة يزيدون ولا في سيئة يُستعتبون)) يقول : ((يُستعتبون : مَن رواه بالضم على فعل ما لم يُسمَ فاعله فمعناه يعاتبهم على فعل سيئة أي لا يعاتبهم الناس ...))[1] .

ـ ومن دعاء للإمام : ((ندعوك حين قنط الأنام ، ومُنِع الغمام)) يقول : ((إنما قال : ومُنع الغمام فبنى الفعل للمفعول به لأنه كره أن يضيف المنع إلى الله تعالى وهو منبع النعم فافتضى حسن الأدب أنه لم يسمِ الفاعل))[2] .

كان وأخواتها :

كان :

ترفع المبتدأ وتنصب الخبر ففي قول الإمام : ((لا يكن لك إلى الناس سفيرٌ إلا لسانك)) يقول : ((رُوي ولا يكن إلا لسانُك سفيرا لك إلى الناس ، بجعل (لسانك) اسم كان مثل قوله تعالى : (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا)[3]، والرواية الأولى هي المشهورة وهي أن يكون (سفير) اسم كان و(لك) خبرها))[4] .

لقد استشهد بهذه الآية نحويون كثيرون ويكاد يتفقون على كون (جواب) خبر كان و(أن قالوا) في موضع رفع اسمها وهو الوجه في اثر القرآن ، ولو رفع (جواب) ونصب (أن قالوا) لكان صوابا أيضا[5] .

وقد يضمر اسم كان ففي قول الإمام يصف قوم ثمود : ((ما كان إلا أن خارت أرضُهم بالخسفة)) يقول : ((اسم كان مضمر فيها أي ما كان الانتقام منهم إلا كذا))[6] ، وهذا الإعراب وارد عند النحويين إذا أضمرتَ في كان الأمر أو الحدث أو القصة كان ذلك المضمر اسم كان وما بعدها يكون الخبر[7] .

. وتأتي بمعنى (ما زال) في القرآن الكريم نحو قوله تعالى : (وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً)[8] معنى ذلك لم يزل الله عليما حكيما[9]، ومعللا ذلك بقوله : ((إنّ (كان) الناقصة للماضي من حيث هو ماضٍ وليس يشترط في ذلك أن يكون منقطعا بل قد يكون دائما))[10] .

إنّ قول النحويين والمفسرين واحد في هذه الآية إذ ربما تدخل (كان) على الخبر الدائم الذي لا ينقطع فيكون معنى (كان عليما حكيما) لم يزل[11] .

---

(٢) السابق ٨ / ٢٧١ .
(٣) السابق ٧ / ٢٦٦ .
(٤) النمـل / ٥٦ .
(٥) شرح النهج ٨ / ٣١ .
(٦) ينظر الكتاب ١ / ٥٠ ، وعاني الفراء ١ / ٢٣٧ .
(٧) شرح النهج ١٠ / ٢٦٢ .
(٨) ينظر الكتاب ١ / ٧١ ، ومعاني الفراء ٢ / ٣٢٨ ، والأصول ١ / ٩٩ .
(٩) النسـاء / ٩٢ .
(١٠) شرح النهج ١ / ٣٠٥ .
(١١) السابق ١٠ / ٤ .
(١) ينظر معاني الفراء ٢ / ٤٠٣ ، وإعراب النحاس ١ / ٤٠ .

. وتأتي زائدة نحو قوله تعالى : (كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً)[١] [٢] .

وقد اختلف النحويون في (كان) في هذه الآية الكريمة إذ فيها ثلاثة أقوال :

الأول : أن تكون (كان) زائدة و(صبيا) منصوب على الحال[٣] .

والثاني : أن تكون (كان) تامة بمعنى (حدث ووقع) فيكون (صبيا) منصوب على الحال أيضا[٤].

والثالثة : أن تكون (كان) ناقصة بمعنى (صار) فيكون (صبيا) خبرها منصوب[٥] .

وأنكر د . إبراهيم السامرائي زيادة كان ، وما جاء من ذلك في النثر هي أمثلة اصطنعها النحاة ولم يستقرها في كلام فصيح[٦] ، وما جاء في الشعر فلغة الشعر لغة خاصة يرتكب فيها الشاعر ما يرتكب ليتمّ له الوزن[٧] ، ويردّه أن زيادتها في النثر ثابت بالنقل العرب عن فضلا عن زيادتها في قوله تعالى : (كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً) ؛ لأنه قد تأتي كان زائدة إذا وقعت بين شيئين متلازمين كالمبتدأ والخبر ، والصلة والموصول ، وإن لم يكن هذا قياسا[٨] واختار ابن أبي الحديد القول الأول وهو الأرجح على ما أظنّ .

. وتأتي تامة نحو قول الإمام : ((إذا كان غدٌ فأتني حتى أخبرك على أسماع الناس ...)) إذ يقول : ((كان ها هنا تامة أي إذا حدث ووجد ، وتقول : إذا كان غدا فأتني فيكون النصب باعتبار آخر أي إذا كان الزمان غدا أي موصوفا بأنه في الغد ، ومن النحويين مَن يقدّره إذا الكونُ غدا ؛ لأنّ الفعل يدلّ على المصدر ، والكون هو التجدد والحدوث ، وقائل هذا القول يرجحه على القول الآخر ؛ لأنّ الفاعل عندهم لا يحذف إلا إذا كان في الكلام دليل عليه))[٩]

ولم يختلف النحويون في (كان) تامة في هذه المقولة إلا أنهم عالجوها في احتمالين فإذا قلتَ : إذا كان غدٌ فـ(غد) فاعل كان التامة[١٠]، وإذا شئتَ قلتَ : إذا كان غدا فتضمر في كان التامة الفاعل والتقدير إذا كان ما نحن عليه[١١]، وهذه عزاها سيبويه إلى أنها لغة في تميم[١٢]، وابن أبي الحديد أراد أن يؤكد كلامه السابق بأنّ الفاعل لا يحذف إلا إذا كان في الكلام دليل عليه ولذا قدّر هنا الفاعل المحذوف بـ(الكون) ورجحه على الزمان لأنّ الفعل يدلّ على المصدر والكون هو التجدد والحدوث .

. مازال وما فتئ وظل وليس :

---

(٢) مريم / ٢٩ .
(٣) شرح النهج ١١ / ٣٣ .
(٤) ينظر المقتضب ٤ / ١١٨ ، والأزهية / ١٩٧ .
(٥) ينظر إعراب النحاس ٢ / ٣١٣ ، والبيان ٢ / ١٢٤ .
(٦) ينظر البحر المحيط ٦ / ١٨٧ .
(٧) ينظر الفعل زمانه وأبنيته / ٦٧ .
(٨) السابق / ٦٩ .
(٩) ينظر شرح ابن عقيل ١ / ٢٨٨ .
(١٠) شرح النهج ١٩ / ١٥٤ .
(١١) ينظر الكتاب ١ / ٤٦ ، والمقتضب ٤ / ٩٥ ، والأصول ١ / ١٠٥ ، والأزهية / ١٩٣ .
(١٢) ينظر معاني الفراء ١ / ٣٦٢ ، والأمالي الشجرية ١ / ٢٩٧ ، وشرح المفصل ١ / ٨٠ .
(١٣) ينظر الكتاب ١ / ٢٢٤ .

تحدث عنهن بكونهن أفعالا ناقصة ولا يأتين تامات ففي قول الإمام (ع) : ((والله لا يزالون حتى لا يدعو محرما إلا استحلوه)) يقول : ((تقدير الكلام : لا يزالون ظالمين فحذف الخبر وهو مراد وسدت (حتى) وما بعدها الخبر ، ولا يصح ما ذهب إليه بعض المفسرين في أن (زال) بمعنى تحرك وانتقل ، فلا تكون محتاجة إلى خبر بل تكون تامة في نفسها ؛ لأنّ تلك مستقبلها يزول بالواو وها هنا بالألف لا يزالون فهي الناقصة التي لم تأتِ تامة قطّ ومثلها في أنها لا تزال ناقصة : ظلّ وما فتئ وليس))[1].

وجوّز حذف خبر (ليس) ففي قول الإمام : ((ليس رجلٌ . فاعلم . أحرصَ الناس على أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) وإلفتها مني ...)) يقول : ((أدخل (فاعلم) بين اسم ليس وخبرها فصاحة ، ويجوز رفع (أحرص) بجعله صفة لاسم ليس ويكون الخبر محذوفا أي ليس في الوجود رجل))[2]، وتابعه الشيخ محمد عبده في الوجه الأول من الإعراب بجعل (رجل) اسم ليس و(أحرص) خبرها وجملة (فاعلم) معترضة[3] .

ما تنفك :

ذكرها تامة في قول ذي الرمة :

حدابير ما تنفك إلا مناخةً على الخسف أو نرمي بها بلدا قفرا

قال : ((إنّ (ما تنفك) ها هنا تامة أي ما تنفصل و(مناخة) منصوب على الحال))[4] .

وهذا البيت اختلف فيه النحاة ويمكن إجمال خلافهم في ثلاثة أقوال :

الأول : إنّ (ما تنفك) تامة من الانفكاك بمعنى الانفصال و(مناخة) منصوب على الحال[5].

والثاني : إنها ناقصة وخبرها (على الخسف) و(مناخة) منصوب على الحال[6] .

والثالث : إنّ ذا الرمة غلط فاستعملها استعمال (ما كان) ووجه تخطئته أن يكون (مناخة) الخبر وتكون إلا داخلة عليه[7] .

وابن أبي الحديد مع القول الأول . وهو الأرجح . ؛ لأنّ القولين الثاني والثالث فاسدان لبقاء الإشكال إذ كيف نقض النفي بـ(ما تنفك) وهو غير جائز كما لا يجوز ما زال زيد إلا قائما فما تنفك ها هنا تامة .

أسماء الأفعال :

من أسماء الأفعال التي تحدث عنها هي :

هيهات :

---

(١) شرح النهج ٧ / ٧٨ ، وينظر شرح ابن عقيل ١ / ٢٧٩ .
(٢) السابق ١٨ / ٧٥ .
(٣) نهج البلاغة ٤ / ٥٦٤ .
(٤) شرح النهج ٧ / ٢٦٥ .
(٥) ينظر معاني الفراء ٣ / ٢٨١ ، وتحصيل عين الذهب / ٣٦٩ ، والامالي الشجرية ٢ / ١٢٤ .
(٦) ينظر شرح عيون الإعراب / ١٠٣ ، ومغني اللبيب ١ / ٧٣ ، وشرح الأشموني ٢ / ١٢٨ .
(٧) ينظر المفصل / ١٢٠ ، وشرح المفصل ٧ / ١٠٧ .

قال : ((اسم للفعل ومعناه بعُد[1]، يقال : هيهاتَ زيدٌ فهو مبتدأ وخبر ، والمعنى يعطيه الفعلية والتاء في (هيهاتَ) مفتوحة مثل (كيفَ) وأصلها هاء ، وناس يكسرونها على كل حال بمنزلة نون التثنية وقال الراجز :

هيهاتِ من مصبحها هيهاتِ هيهاتِ حجر من صُنيّعاتِ[2]

وقد تبدل الهاء همزة فيقال : إيهات مثل هراق وإراق قال :

إيهات منك الحياة إيهاتا[3] .

قال الكسائي[4] : فمَن كسر التاء وقف عليها بالهاء فقال هيهاه ومَن فتحها وقف إن شاء بالتاء وإن شاء بالهاء))[5] .

وعند مطابقة ما قاله صاحبنا مع ما قيل في الكتب النحوية لم يختلف أغلب النحويين إلا في مسألة وهي أنه جعل جملة (هيهات زيد) مبتدأ وخبر ، ومما يعضد هذا أنه في موضع آخر قال في قول الإمام : ((هيهاتَ علمُ مخزونٌ)) ((تقديره : هيهات ذلك مبتدأ وخبر))[6] والمشهور أنّ (هيهات) اسم للفعل مبني لوقوعه موقع الفعل المبني ، ويقع الاسم بعدها مرفوعا ارتفاع الفاعل وهي لا موقع لها من الإعراب[7] .

وما قاله عن اختلاف الحركات فيها فهي لهجات عربية فـ(هيهات) بفتح التاء لغة أهل الحجاز وبكسرها لغة أسد وتميم ، ومن العرب مَن يضمها وقُرئ بهنّ جميعا ، وقد رُوي قوله :

هيهاتُ من مصبحها هيهاتِ

بضم الأول وكسر الثاني[8].

وتحتمل لغة الضم أنها علامة إعراب وفي هذه الحالة تكون (هيهات) اسما معربا بمعنى (البعد) وما بعدها خبر لها ولا تكون اسما للفعل فتبنى[9].

وقال الفراء في قوله تعالى : (هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ)[10]: ((مَن لم يدخل اللام رفع الاسم ومعنى هيهات بعيد كأنه قال : بعيد ما توعدون ، ومَن أدخل اللام قال : هيهات أداة ليست مأخوذة من فعل بمنزلة بعيد وقريب فأدخلت لها اللام))[11]، وأشار آخر بقوله : ((قال قوم :

هيهات بمعنى البعد فموضعه مبتدأ و(لما توعدون) الخبر وهو ضعيف))[1] .

---

(١) ينظر شرح الكافية الشافية ١ / ٢١٩ .
(٢) ينظر الكتاب ٣ / ٢٩١ ـ ٢٩٢ ، والمقتضب ٣ / ١٨٣ ، والمسائل العسكريات / ٩٠ ـ ٩١ .
(٣) ينظر تحصيل عين الذهب / ٦٣ ، وشرح الفصيح / ٦٤ .
(٤) معاني الفراء ٢ / ٢٣٦ ، وينظر إعراب النحاس ٢ / ٤١٨ .
(٥) شرح النهج ١٣ / ١٢٦ .
(٦) السابق ٩ / ١٢٠ .
(٧) ينظر شرح المفصل ٤ / ٣٥ ، ومنتهى الأرب / ٤٠٢ ـ ٤٠٣ .
(٨) ينظر المفصل / ٦٤ ، وشرح المفصل ٤ / ٦٥ ـ ٦٦ .
(٩) ينظر شرح المفصل ٤ / ٦٦ .
(١٠) المؤمنون / ٣٦ .
(١١) معاني الفراء ٢ / ٢٣٥ .

فأكبر الظنّ أنّ مخالفة صاحبنا لأغلب النحاة هو رأي كوفي لم تشر له كتب الخلاف النحوي فيكون قد وافق الكوفيين في هذه المسألة .

عليّ :

قال عنه : ((تقول : عليّ بفلان أي احضره والأصل اعجل به فحذف فعل الأمر ودلّ الباقي عليه))[٢].

وعند النحويين (عليّ زيدا) بمعنى أولني زيدا فيتعدى إلى مفعولين أحدهما الياء والثاني زيدا[٣] ، ولم يشر أحدهم إلى أنّ الأصل في هذا التركيب حذف فعل الأمر ، فلعله من الآراء التي تفرّد بها .

حيثُ أنتَ ومكانَك :

أشار إليهما عند تعليقه على قول الإمام : ((قد بيّن الله لك سبيلك ، وحيثُ تناهت بك أمورك)) بقوله : ((حيثُ تناهت بك أمورك : الأولى ألّا يكون هذا معطوفا ولا متصلا بقوله : (قد بيّن الله لك سبيلك) بل يكون كقولهم لمَن يأمرونه بالوقوف : حيثُ أنتَ أي قف حيثُ أنت فلا يذكرون الفعل ومثله قولهم : مكانَك أي قف مكانَك))[٤].

لم يرد عند النحويين (حيثُ أنت) اسم للفعل ، بل ورد عندهم (مكانَك) وهو اسم فعل منقول من الظرف بمعنى اثبت[٥]، ولم يقدّر أحدهم فعل أمر محذوف من الجملة ، فلعله من الآراء التي تفرّد بها .

هلُمّ :

قال : ((لفظ يستعمل لازما ومتعديا فاللازم بمعنى تعالّ[٦] ، قال الخليل : أصله (لُمّ) من قولهم : ((لُمّ الله شعثه)) أي اجمعه كأنه أراد (لُمّ نفسك إلينا) أي اجمعها واقرب لنا ، وجاءت (ها) للتنبيه قبلها وحذفت الألف لكثرة الاستعمال[٧]، وجُعلت الكلمتان كلمة واحدة يستوي فيها الواحد والاثنان والجمع والمؤنث والمذكر في لغة الحجاز قال سبحانه : (وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا)[٨] ، وأهل نجد يصرفونها فيقولون : هلُمّ لك وهلُمّ لكما كما قالوا : هيتَ لك ، وإذا قيل لك

: هلُمّ إلى كذا أي تعالَ إليه فقلت : لا أَهلُمّ مفتوحة الألف والهاء مضمومة الميم[١]، فأما المتعدية فهي بمعنى (هات) تقول : هلُمّ هكذا وكذا قال تعالى : (هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ)[٢]، وتقول لمَن

---

(١) التبيان ٢ / ١٤٩ .
(٢) شرح النهج ١١ / ٣٣ .
(٣) ينظر الكتاب ١ / ٢٥٠ ، والمقتضب ٣ / ٢٠٥ ، وشرح عيون الكتاب ١ / ١١٠ .
(٤) شرح النهج ١٦ / ٦ ـ ٧ .
(٥) ينظر الخصائص ٣ / ٣٥ .
(٦) ينظر الأصول ٢ / ١٤٦ .
(٧) ينظر الكتاب ٣ / ٣٣٢ و ٥٢٩ ، وإعراب النحاس ١ / ٥٩١ .
(٨) الأحزاب / ١٨ .

قال لك ذلك : لا أَهلُمّه أي لا أعطيكه يأتي بالهاء ضمير المفعول ليميز من الأولى[٣]))[٤]
لقد فصل القول فيها ذاكرا أصل اشتقاقها وما فيها من لهجا معززا ذلك بآيات من القرآن الكريم ، ولم يختلف مع البصريين في أصلها إذ وافقهم في أنّ أصلها (لُمّ) و(ها) للتنبيه[٥] وهو قول الخليل السابق ، ولم يذكر رأي الكوفيين في أصلها وهو أنها من (هل) و(أمّ)[٦]؛ لذا نرجح أنه وافق البصريين في هذه المسألة .

ثالثا : الحروف :

الأحرف المشبهة بالفعل : من الأحرف المشبهة بالفعل التي ذكرها هي :

. إنّ :

وهي تنصب المبتدأ وترفع الخبر ففي قول الإمام (ع) : ((إنّ اليومَ المضمار وغدا السباق)) يقول : ((المضمار : منصوب لأنه اسم (إنّ) واليوم : ظرف وموضعه رفع لأنه خبر (إنّ) وظرف الزمان يجوز أن يكون خبرا عن الحدث ، وإعراب قوله : (وغدا السباق) على هذا الوجه أيضا ، ويجوز الرفع في الموضعين على أن تجعلهما خبر (إنّ) بأنفسهما))[٧] .

وإذا خُففت (إنّ) دخلت اللام في خبرها ففي قول الإمام : ((ليس كلّ أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مَن كان يسأله ويستفهمه حتى إنْ كانوا ليحبون أن يجيء الإعرابي ...)) يقول : (((إنْ) في قوله (إنْ كانوا ليحبون) مخففة من الثقيلة ولذلك جاءت اللام في الخبر))[٨] .

وفي هذه المسألة خلاف بين البصريين والكوفيين فقد ذهب البصريون إلى أنّ (إنّ) إذا خففت دخلت اللام في خبرها للتفريق بينها وبين (إنْ) النافية[٩]، وذهب الكوفيون إلى أنّ (إنْ) الخفيفة نافية واللام بمعنى (إلا)[١٠]، فعلى هذا يكون ابن أبي الحديد قد وافق البصريين في هذه المسألة.

وتأتي (إنْ) المخففة زائدة مع جواز كونها مخففة من الثقيلة ففي قول الإمام : ((فوالله إنْ لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلا واحدا)) يقول : ((إنْ : ها هنا زائدة ويجوز أنْ تكون

مخففة من الثقيلة))[١١].

---

(١) ينظر الكتاب ١ / ٢٥٢ ، والمفصل / ٦٢ ، والتبيان ١ / ٢٦٥ .
(٢) الأنعام / ١٥٠ .
(٣) ينظر الكتاب ١ / ٢٤١ ، وشرح المفصل ٤ / ٤٣ ، والبحر المحيط ٧ / ٢٢٠ .
(٤) شرح النهج ٩ / ٢٤٦ .
(٥) ينظر الكتاب ٣ / ٣٣٢ و ٥٢٩ ، والأصول ١ / ١٧٤ .
(٦) ينظر معاني الفراء ١ / ٢٠٣ ، وشرح الكافية الشافية ٣ / ١٣٩١ .
(٧) شرح النهج ٢ / ٩٣ ، وينظر نهج البلاغة ١ / ٧٩ .
(٨) السابق ١١ / ٤٠ ، و١٩ / ١٤٦ .
(٩) ينظر الكتاب ٢ / ١٣٩ ، والمقتضب ١ / ٥٠ ، والأصول ١ / ٢٧٨ ، والإنصاف ٢ / ٣٧٢ .
(١٠) ينظر معاني الفراء ٢ / ٣٧٧ ، والأزهية / ٣٨ ـ ٣٩ ، وشرح المفصل ٨ / ٧٢ ، والأشباه والنظائر ٢ / ١٧٦ .
(١) شرح النهج ٩ / ٣٠٩ .

لقد وضع احتمالين لـ(إنْ) في هذا الشاهد ؛ لأنّ زيادة (إن) غالبا ما تكون بعد (ما) عند النحويين[١]، وموضعها في النَصّ بين القسم و (لو) وهذا الموضع تُزاد فيه (أن) المفتوحة الهمزة المخففة[٢]، لذا وضع الاحتمال الثاني وهو ضعيف ؛ لأنّ (إن) المخففة تلزمها لا التوكيد عوضا عمّا ذهب منها[٣] ، وهذا الشرط غير متوفر في النصّ ،والاحتمال الأول أقوى ؛ لأنّ سياق النصّ يدل على أنها زائدة إذ لو حذفناها لم يختل المعنى ، ومما يعضد ذلك أنها في بعض نسخ نهج البلاغة محذوفة من النصّ[٤] .

أنْ :

ذكرها وهي مخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن أو تكون بمعنى (أي) التفسيرية وذلك في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا)[٥] يقول : ((أَلّا تخافوا : (أن) بمعنى (أي) أو تكون خفيفة من الثقيلة وأصله أنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن))[٦] ، وما تأوله ابن أبي الحديد هو نصّ قولٍ للزمخشري ذكر ذلك أبو حيان النحوي وردّ عليه بقوله : ((إنه . أي الزمخشري . على هذي التقديرين يكون الفعل مجزوما بـ(لا) الناهية))[٧] ، والأرجح أن تكون (أن) بمعنى (أي) التي أنكرها الكوفيون ، ولها عند مثبتيها شروط منها أن تسبق بجملة وأن تتأخر عنها جملة وأن يكون في الجملة السابقة معنى القول[٨]، وهذه الشروط متوفرة في الآية السابقة لأنّ في (تتنزل عليهم الملائكة) معنى قائلين لهم أن لا تخافوا[٩] ، فضلا عن أنّ (أن) المخففة من الثقيلة غالبا ما تقع بعد فعل من أفعال اليقين أو ما نزل بمنزلته[١٠] ، وليس في الآية ذلك .

إنّما :

ذكرها عند تعلقه على قوله تعالى : (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ)[١١]، بقوله : ((جعل الغاوي الذي يتبعه مشركا ، والجواب : إنّا لا نسلم أنّ لفظة (إنما) تفيد الحصر ، وأيضا فأنه عطف قوله (والذين هم به مشركون) على قوله (الذين يتولونه) فوجب أن يثبت التغاير بين الفريقين . وهذا مذهبنا . لأنّ الذين يتولونه هم الفساق والذين هم به مشركون هم الكفار))[١٢].

---

(٢) ينظر الكتاب ٣ / ١٥٣ ، والمقتضب ١ / ٥١ ، والأصول ١ / ٢٨٦ .
(٣) ينظر الكتاب ٣ / ١٥٢ ، ومغني اللبيب ١ / ٣٣ .
(٤) ينظر الكتاب ٤ / ٢٣٣ .
(٥) ينظر نهج البلاغة ٢ / ٣٠٧ .
(٦) فصلت / ٣٠ .
(٧) شرح النهج ١٠ / ٢٧ .
(٨) البحر المحيط ٧ / ٤٩٦ .
(٩) ينظر الكتاب ٢ / ١٦٢ ـ ١٦٣ ، ومغني اللبيب ١ / ٣١ .
(١٠) ينظر التبيان ٢ / ٢٢٢ .
(١١) ينظر مغني اللبيب ١ / ٣٠ .
(١٢) النحل / ١٠٠ .

(١) شرح النهج ٨ / ١١٦ ـ ١١٧ .

والمشهور إنّ (إنما) تفيد الحصر وهو إثبات الحكم للشيء المذكور دون غيره[١]، وقد تأتي لتحقير الخير أو التقليل[٢] ، ولم يضح ما فائدة (إنما) إذا لم تفد الحصر ؟ فهل تفيد التحقير أو التقليل ؟ فضلا عن أنه فسّر الآية على مذهب المعتزلة فلا يمكن بناء حكم عليه إذ لا بُدّ أن ينحاز لهذا المذهب لأنه معتزلي مثلما فعل في تفسير حديث للرسول (صلى الله عليه وآله) ومال إلى الأخذ ببعض آراء نحاة البصرة في إعمالهم أقرب العاملين نظرا إلى القرب فلا نحكم أنه وافق البصريين لأنّ أخذَهُ بهذا الرأي إنما يخدم غرضا اعتزاليا صرفا[٣] .

(لا) النافية للجنس :

ذكرها أنها تنصب المعرفة على الشبيه بالنكرة ففي قول الإمام (ع) : ((لا جبرائيلَ ولا ميكائيلَ ولا مهاجرين ولا أنصار ينصرونكم إلا المقارعةَ بالسيف)) يقول : ((الرواية المشهورة هكذا بالنصب وهو جائز على التشبيه بالنكرة كقولهم : معضلة ولا أبا حسن لها[٤] قال الراجز :

لا هيثمَ الليلةَ للمطي))[٥] .

والمشهور في عملها أنها لا تعمل إلا في النكرات فتنصبها كنصب (إنّ) لما بعدها[٦] ، والتقدير في الشاهد الأخير لا مثلَ هيثم[٧] ، ولا مجري ولا سائق كسوق هيثم[٨] ، أو لا مسمى بهذا الاسم لها[٩] ، ورُوي إعمالها في المعارف خلافا للمشهور ومن ذلك قولهم : لا بصرةَ لكم وفي الشعر قول عبد الله بن الزَّبير :

أرى الحاجات عند أبي خبيب نكدْنَ ولا أميةَ في البلاد[١٠] .

ويمكن إضافة قول الإمام عليّ الآنف الذكر شاهدا آخرا على إعمالها في المعارف ؛ لذا فهذه النصوص ترجح أنّ العرب استعملتها مع المعارف كما استعملها مع النكرات ومن المحتمل أنهم أعملوا (لا) النافية للجنس في المعارف قياسا على (إنّ) لأنها محمولة عليها إذ يمكن أن يُحمل الشيء على ضده كما يُحمل على نظيره[١١] .

المشبهات بـ(ليس) : منها

ما ، ولا : ذكرهما في آن واحد وهو يوجه قول الإمام (ع) توجيها إعرابيا : ((ما خيرٌ بخيرٍ بعدَه النار)) يقول : (((ما) من المشبهات بـ(ليس) ، و(خير) اسم (ما) مرفوع ، وبخير : جار ومجرور في موضع نصب خبر (ما) والباء زائدة ، وبعده النار : في موضع رفع صفة (خير)

---

(٢) ينظر شرح المفصل ٨ / ٥٦ .
(٣) ينظر الأصول ١ / ٢٨٤ .
(٤) ينظر شرح النهج ٩ / ٣١١ ، وابن أبي الحديد سيرته وآثاره / ١٨١ .
(٥) إنها مقولة عمر بن الخطاب ، ينظر الحديث النبوي وأثره في الدراسات اللغوية / ٣٤٤ .
(٦) شرح النهج ١٣ / ١٨٢ .
(٧) ينظر الكتاب ٢ / ٢٧٤ .
(٨) ينظر السابق ٢ / ٢٩٦ ، والأصول ١ / ٤٦٦ .
(٩) ينظر المقتضب ٤ / ٣٦٢ ـ ٣٦٣ .
(١٠) ينظر شرح ابن عقيل ١ / ٣٩٤ .
(١١) ينظر الكتاب ٢ / ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .
(١٢) ينظر النحو في اللهجات العربية القديمة / ٣١١ .

اسم (ما) ، ولا ينقدح في (ما) الوجهان اللذان ذكرهما أرباب الصناعة النحوية في (لا) في قولهم : ((لا خيرٌ بخير بعده النار)) أحدها ما ذُكر في (ما) ، والآخر في أن يكون موضع (بعده النار) جرّا لأنه صفة (خير) المجرور ، ويكون معنى الباء معنى (في) كقولك : زيد بالدار وفي الدار ، ويصير تقدير الكلام لا خيرٌ في خير تعقبه النار وذلك أنّ (ما) تستدعي خبرا موجودا في الكلام بخلاف (لا) النافية للجنس فإنّ خبرها محذوف في مثل قولك : لا إلهَ إلا الله أي في الوجود))[1] .

فهو على هذا الوجه جعل (ما) و(لا) عاملتين عمل (ليس) على لغة أهل الحجاز[2]، وذكر مثالا عن (لا) النافية للجنس ، فقد يرفع ما بعدها خلافا للمشهور قال أبو بكر الأنباري : ((وزعم الفراء أنها لغة للعرب حكي عن بعضهم لا إلهٌ إلا الله بالرفع))[3] ، ويحمل النحاة (لا) في هذا الموضع على (ليس) مع أنه عند سيبويه قليل إذ النصب أجود وأكثر من الرفع[4] .

ولعل مأخذا يُسجل على ابن أبي الحديد وهو أنه في الوجه الأول جعل الباء زائدة في (بخير) وقال : الجار والمجرور في موضع نصب خبر (ما) ، والمعروف أنّ الباء الزائدة يكون الاسم بعدها مجرورا لفظا مرفوعا أو منصوبا محلا[5]، فعلى هذا يكون إعراب (بخير) مجرورا لفظا منصوبا محلا على أنه خبر (ما) .

أما ما قاله من الإعراب فهو صحيح يكثر مثله في الكتب النحوية التي سبقته[6] ، ومما يعضد ذلك أنّ ابن هشام ذكر ما يشبه إعرابه وهو يتحدث عن مواضع زيادة الباء في الخبر نحو ليس زيد بقائم وقولهم : ((لا خيرٌ بخير بعده النار)) إذا لم تحمل على الظرفية[7] .

لات : قال في قوله تعالى : (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ)[8]: ((قال الأخفش : شبهوا (لات) بـ(ليس) وأضمروا فيها اسم الفاعل ، قال : لا تكون (لات) إلا مع (حين) ، وقد جاء حذف (حين) في الشعر ومنه المثل : ((حنت ولات هنت))[9] أي ولات حين حنت ، والهاء بدل من الحاء فحذف الحين وهو يريده ، قال : وقرأ بعضهم : (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ)[10] بالرفع وأضمر الخبر وقال أبو عبيد : هي (لا) والتاء إنما زيدت في (حين) لا في (لا) وإن كُتبت مفردة ، والأصل (تحين) كما قالوا في الآن (تلان) فزادوا التاء وأنشد لأبي وجزة :

العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ابن المطعم

---

(١) شرح النهج ١٩ / ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .
(٢) ينظر الكتاب ١ / ٥٧ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٣٠٣ ـ ٣١٢ .
(٣) ينظر الزاهر ١ / ١٠٥ .
(٤) ينظر الكتاب ٢ / ٣٠٤ .
(٥) ينظر مثلا النحو الوافي ١ / ٦٠٧ .
(٦) ينظر المقتضب ٤ / ١٨٨ ، والأصول ١ / ١٠٦ ـ ١٠٧ .
(٧) ينظر مغني اللبيب ١ / ١١٠ .
(٨) ص / ٣ .
(٩) جمهرة الأمثال ١ / ٣٨٠ ، وينظر مجمع الأمثال ١ / ١٩٢ .
(١) وهي قراءة أبي السحال ، وقرأ الجمهور بنصب النون في (حين) ، ينظر البحر المحيط ٧ / ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

وقال المؤرج : زيدت التاء في (لات) كما زيدت في (ربت) و(ثمت)))[1] .

لقد اختلف النحويون في (لات) كثيرا ويمكن إجمال الخلاف في أمرين :

الأول في أصلها وفيه ثلاثة أقوال :

الأول : إنها كلمة واحدة فعل ماضٍ أما من (لا يليت) أو أصلها (ليس)[2] .

الثاني : إنها كلمتان (لا) النافية و(التاء) لتأنيث الكلمة كما في (ثُمت) و(ربّت)[3] .

الثالث : إنها كلمة وبعض كلمة أي (لا) النافية والتاء زائدة في أول الحين[4] .

وقد نقل لنا ابن أبي الحديد القول الثاني والثالث وأهمل الأول .

والثاني في عملها وفيه ثلاثة مذاهب :

الأول : مذهب سيبويه وجمهور النحاة والأخفش في أحد أقواله أنها تعمل عمل (ليس) مع الحين خاصة ، ولكنها اختصت بأنها لا يُذكر معها الاسم والخبر بل يُذكر معها أحدهما[5] .

والمذهب الثاني : مذهب الأخفش في القول الثاني أنها لا تعمل شيئا والاسم بعدها إن كان مرفوعا فهو مبتدأ وإن كان منصوبا فهو مفعول به لفعل محذوف[6] .

والمذهب الثالث : مذهب الأخفش في القول الثالث أنها تعمل عمل (إنّ) فتنصب الاسم وترفع الخبر[7] ،وزعم الفراء من العرب مَن يضيف (لات) ويخفض ، والكلام أن ينصب بها لأنها في معنى (ليس) وأنشد :

طلبوا صلحنا ولات أوانٍ فأجبنا أن ليس حينَ بقاء[8] .

وقد رجح أحد الباحثين الرأي الأخير المنسوب للأخفش بإعمال (لات) عمل (لا) النافية للجنس[9]، وابن أبي الحديد مع سيبويه وجمهور النحاة والأخفش في القول الأول ، ومما يعضد ذلك أنه قال في موضع آخر عن (لات) : ((هي حرف جرى مجرى ليس ولا تجيء (حين) إلا أن تحذف في الشعر))[10]، وهو الصحيح لأننا لا يمكن أن نخطئ سيبويه والفراء وجمهور

النحاة الذين أجمعوا على أنّ (لات) من المشبهات بـ(ليس) ونذهب إلى رأي منسوب إلى الأخفش .

حروف الجرّ :

---

(٢) شرح النهج ١٣ / ١٢٥ .
(٣) ينظر مغني اللبيب ١ / ٢٥٤ .
(٤) ينظر التبيان ٧ / ٢٠٨ ، وشرح المفصل ١ / ١٠٩ .
(٥) ينظر مجالس ثعلب ٢ / ٤٤٢ ، والأزهية / ٢٧٣ .
(٦) ينظر الكتاب ١ / ٥٧ ـ ٥٨ ، والأصول ١ / ١١١ ، والأزهية / ١٦٩ .
(٧) ينظر شرح عيون الكتاب ١ / ٥٤ ، والتبيان ٢ / ٢٠٩ .
(٨) ينظر مغني اللبيب ١ / ٢٥٤ ، و منج الأخفش الأوسط / ٢٩٢ .
(٩) ينظر معاني الفراء ٢ / ٣٩٧ ـ ٣٩٨ ، ومغني اللبيب ١ / ٢٥٥ .
(١٠) ينظر النحو في اللهجات العربية القديمة / ٣٢٩ .
(١١) شرح النهج ١٦ / ١٥٠ .

تحدث ابن أبي الحديد عن أغلب حروف الجرّ ذاكرا معانيها الأصلية مع إمكان تضمنها معاني حروف جرّ أُخر ، ومن هذه الحروف :

إلى وحتى :

كلاهما عنده لانتهاء الغاية إذ يقول : ((إنّ فائدة (حتى) (إلى) وهي موضوعة للغاية))[١] .

وقد تأتي (إلى) بمعنى الباء ، ففي قول الإمام (ع) : ((لا زوافرَ عِزّ يُعتصم إليها)) يقول : ((قوله (يعتصم إليها) أي بها فأناب (إلى) مناب (الباء) كقول طرفة :

وإن يلتقِ الحي الجميع تلاقني إلى ذروة البيت الرفيع المصمد))[٢] .

لقد ذكر النحويون أنّ (إلى) تأتي مكان (الباء) وتمثلوا بغير البيت السابق إلا أن بعضهم تمثلوا به ذاكرين (إلى) بمعنى (في)[٣] ، وهو الأرجح ، ولعل ابن أبي الحديد أراد أنّ (إلى) بمعنى (الباء) إذا كانت (الباء) بمعنى (في) ؛ لأنه ذكر ذلك في قولك : زيد بالدار وفي الدار[٤] وسيؤكده بعد قليل .

الباء :

لم يذكر معناها الأصلي وهو الإلصاق[٥] ، بل ذكر تضمنها معاني حروف أُخر ومنها :

. بمعنى اللام السببية في قول الإمام : ((أُديل الحق منه بتضييع الجهاد)) كقوله تعالى : (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ)[٦] [٧]، وفي قوله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم)[٨] [٩] ، وفي قوله تعالى : (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ)[١٠] [١١].

. وبمعنى (من) في قول الإمام : ((اعلموا أنّ دار الهجرة قد قلعوا بها))[١٢]، وهنا الباء بمعنى (من) لابتداء الغاية ، والذي عليه أغلب النحويين أنّ (الباء) تأتي بمعنى (من) التبعيضية[١٣]، هذا من الآراء التي تفرّد بها إذا لم تدعِ جماعة أنّ سائر معاني (من) التي لابتداء الغاية عائدة إليها .

. وبمعنى (في) في قول الإمام عليّ (ع) : ((رماكم من مكان قريب ... صدّقه به أبناء الحمية))[١٤].

---

(١)شرح النهج ٩ / ٤٨ ، وينظر الكتاب ٤ / ٣٢١ ، ومعاني الفراء ١ / ١٣٧ ، والأزهية / ٢٢٣ .
(٢) السابق ٨ / ١٠٧ ، وينظر الأزهية / ٢٨٤ .
(٣) ينظر أدب الكاتب / ٣٩٥ ، والأصول ١ / ٥٠٦ .
(٤) ينظر شرح النهج ١٩ / ٣٣٥ .
(٥) ينظر الكتاب ٤ / ٢١٧ .
(٦) الأنعام / ١٤٦ .
(٧) شرح النهج ٢ / ٧٨ .
(٨) غافر / ٢٢ .
(٩) شرح النهج ٧ / ٢٠٦ .
(١٠) النساء / ١٦٠ .
(١١) شرح النهج ١٦ / ١٧٦ ، وينظر شرح اللمع ١ / ١٢٧ .
(١٢) السابق ١٤ / ٧ .
(١٣) ينظر الأزهية / ٢٩٤ ، والأمالي الشجرية ٢ / ٢٧٠ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٢٢ ، ومغني اللبيب ١ / ١٠٥ .
(١) شرح النهج ١٣ / ١٤٢ ، وينظر معاني الفراء ١ / ٤٣٠ ، والأزهية / ٢٩٧ .

ـ وبمعنى المصاحبة في قول الإمام : ((ما كان اللهُ ليدخلَ الجنةَ بشرا أخرج به منها ملكا)) يقول : ((الباء في (به) كالباء في قولهم : خرج زيد بثيابه ، ودخل بسلاحه أي خرج لابسا ودخل متسلحا أي يصحبه الثياب ويصحبه السلاح))[1] .

ـ وللمجازاة الدالة على الصلة في قول الإمام : ((سينتقم الله ممن ظلم مأكلا بمأكل ومشربا بمشرب)) كقوله تعالى : (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ)[2]، وكقول أبي تمام :

فبما قد أراه ريّان مكسو المعاني من كل حسنٍ وطيب

وفي قوله سبحانه : (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ)[3] [4] .

ولم يشر أحدُ من النحويين أو المفسرين إلى هذا المعنى ، وأشار أحدهم إلى أنّ الباء في قوله تعالى : (ربِّ بما أنعمت عليّ) للقسم والتقدير اقسم بما أنعم علي من المغفرة ، والجواب محذوف أو متعلقة بمحذوف تقديره اعصمني بحق ما أنعمت عليّ[5] ، فلعل قوله : ((الباء للمجازاة الدالة على الصلة)) من الأقوال التي تفرّد بها .

. وتأتي زائدة في الفاعل نحو قوله تعالى : (وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيباً)[6] [7] ، وفي المفعول به في قول الإمام : ((ولا تخدج بالتحية))[8] .

. وتأتي للقسم في قوله تعالى : (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ)[9]فقد أقسم بإغوائه ، وقد أقسم في موضع آخر فقال سبحانه : (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)[10]، فأقسم بالعزّة[11] .

على :

لم يذكر لها إلا معنى واحدا هو (على لهيئة الحال) في قول الإمام : ((سكنت على حركتها من أنْ تميد بأهلها)) كما تقول : عفوتُ عنه على سوء أدبه ، ودخلتُ إليه على شربه[12]، ولم يشر أحد من النحاة إلى هذا المعنى لـ(على) فلعله تفرّد به .

عن : ذكر (عن) بمعناها الأصلي وهو المجاوزة والبعد في قول الإمام (ع) : ((بنا انفرجتم عن السرار)) أي منتقلين عن السرار ومتجاوزين له[13] .

---

(٢) السابق ١٣ / ١٤٢ ، وينظر سر صناعة الإعراب ١ / ١٥٠ ، وشرح المفصل ٨ / ٢٢ .
(٣) النساء / ١٥٥ .
(٤) القصص / ١٧ .
(٥) شرح النهج ٩ / ٢١٩ .
(٦) ينظر البحر المحيط ٧ / ١٠٩ .
(٧) النساء / ٦ .
(٨) شرح النهج ١٩ / ١٤٤ ، وينظر الكتاب ١ / ٤١ .
(٩) السابق ١٥ / ١٥٤ ، وينظر معاني الفراء ١ / ٢٢٨ .
(١٠) الحجر / ٣٩ .
(١١) ص / ٨٢ .
(١٢) شرح النهج ١٣ / ١٣٩ ـ ١٤٠ ، وينظر الكتاب ٣ / ٤٩٦ ، والبحر المحيط ٧ / ٤١٠ .
(١٣) السابق ١١ / ٥٩ .
(١) شرح النهج ١ / ٢٠٨ ، وينظر الكتاب ٤ / ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

ـ وتأتي زائدة مع جواز مجيئها بمعنى (بعد) ففي قول الإمام : ((جعل لكم اسماعا لتعي ما عناها وأبصارا لتجلو عن عشاها)) يقول : ((عن ها هنا زائدة ويجوز أن تكون بمعنى (بعد) كما قال :

... لقحت حرب وائل عن حيال

أي بعد حيال ، فيكون قد حذف المفعول وحذفه جائز لأنه فضلة ويكون التقدير : لتجلو الأذى بعد عشاها))[1] .

في :

ذكرها بمعنى (على) في قوله تعالى : (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)[2] [3] .

وبمعنى اللام في قول الإمام : ((إنّك ترى له ... طلبا في حلال))[4] .

الكاف : ذكر لها معنى واحدا وهو التعليل في قول الشاعر :

فقلتُ له أبا الملحاء خُذها كما أوسعتني بغيا وعدوا

أي هذه الضربة لبغيك علينا وتعديك[5] .

اللام : من معانيها التي ذكرها :

. التمليك : في قولنا : ((إنّا لله وإنّا إليه راجعون)) ، وكما تقول الدار لزيد[6] .

لقد ذكر النحويون أنّ هذه اللام تسمى لام الملك أو الاختصاص[7]، أما لام التمليك فهي في مثل قولنا : وهبتُ لزيد دينارا[8] ، لذا فقد خلط ابن أبي الحديد بينهما .

ـ والتعليل في قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى)[9] [10]، وجوّز حذف لام ففي قول الإمام : ((إنّ الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا)) يقول : ((أي لأن نشكره بلام التعليل وحذفها أي أحسن إلينا لنشكره ، وحذفها أكثر نحو قوله تعالى : (لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ)[11] [12].

. والتعجب في قولنا : للهِ دَرُّ فلان ، ولله بلاد فلان ، ولله أبوك ، ولم تأتِ للتعجب إلا في لفظ الجلالة كما أنّ تاء القسم لم تأتِ إلا في اسم الله تعالى[13] .

---

(٢) السابق ٦ / ٢٥٨ ، وينظر الأزهية / ٢٩١ ، وأدب الكاتب / ٤٠٥ .
(٣) طـه / ٧١ .
(٤) شرح النهج ١٠ / ١٥٠ ، وينظر معاني الفراء ١ / ٣٢٤ ، والأزهية / ٢٢٧ .
(٥) السابق ١٠ / ١٥١ ، وينظر شرح الكافية الشافية ٢ / ٨٠٤ .
(٦) السابق ٦ / ١٤٠ ، وينظر مغني اللبيب ١ / ١٧٦ .
(٧) السابق ١٨ / ٢٥٥ .
(٨) ينظر الكتاب ٤ / ٢١٧ ، والمقتضب ١ / ٣٩ ، والمفصل / ١٣٢ .
(٩) ينظر مغني اللبيب ١ / ٢٠٩ .
(١٠) الحجرات / ٣ .
(١١) شرح النهج ١٣ / ١٠٥ ، وينظر البحر المحيط ٨ / ١٠٦ .
(١٢) المائدة / ٨٠ . .
(١٣) شرح النهج ١٧ / ٢١ ، وينظر الكتاب ٣ / ١٥٤ ، وإعراب النحاس ١ / ٥١٤ .
(١) شرح النهج ١٠ / ٧٠ ، وينظر معاني الفراء ٢ / ٥١ .

وقد نقل بعض النحويين إنّ تاء القسم قد تأتي في غير اسم الله ، وقد سمع جرها لـ(ربّ) مضافا إلى الكعبة قالوا : تربّ الكعبة ، وسُمع تالرحمن[١] .

. ومقحمة في قول الإمام (ع) : ((لا تنصبنّ نفسك لحرب الله)) ونحوه قولهم : لا أبا لك[٢].

. ولام العاقبة ففي قول الإمام : ((إنّ لله ملكا ينادي كل يوم : لُدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب)) يقول : ((هذه اللام عند أهل العربية تسمى لام العاقبة ومثل هذا قوله تعالى : (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَنا)[٣] ، ليس أنهم التقطوه لهذه العلة بل التقطوه فكان عاقبة التقاطهم إياه العدوان والحزن ومثله :

فللموت ما تلد الوالدة

ومثله قوله تعالى : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ)[٤]، ليس أنه ذرأهم ليعذبهم في جهنم بل ذرأهم وكان عاقبة ذرئهم أن صاروا فيها))[٥]

وفي قول الأعشى :

وما ذنبه إن عافت الماء باقر وما إن يعاف الماء إلا ليضربا

يقول : ((قالوا في تفسيره : لما كان امتناعها يعقبه الضرب حسُن أن يقال : عافت الماء لتضرب وهذه اللام هي لام العاقبة))[٦] .

فعلى هذا يكون ابن أبي الحديد قد وافق الكوفيين بتسمية هذه اللام بلام العاقبة ؛ لأنّ البصريين ومَن تابعهم أنكروا لام العاقبة وعندهم هي لام العلة وإنّ التعليل وارد على طريق المجاز[٧] .

ـ وتأتي بمعنى (على) ففي قول الإمام : ((حتى مضى الأول لسبيله ...)) يقول : ((تقديره مضى على سبيله ، وتجئ اللام بمعنى (على) كقوله :

... فخرّ صريعا لليدين وللفم))[٨] .

إنّ مجئ اللام بمعنى (على) وارد عند النحويين[٩]، وقد تمثل بعضهم بالشاهد الأخير[١٠]، إلا أن أحدهم ذهب إلى أنّ اللام بمعنى (في) في قولهم : مضى لسبيله[١١]، وهذا ليس تقاطعا مع ابن أبي الحديد في قول الإمام ، بل يجوز أن تقول مضى فلان في سبيله وعلى سبيله ، وأيضا فإنّ (على) قد تأتي بمعنى (في)[١٢] .

---

(٢) ينظر شرح المفصل ٨ / ٣٤ .
(٣) شرح النهج ١٧ / ٣٣ ، وينظر الأزهية / ٢٤٧ ، ومغني اللبيب ١ / ٢١٦ .
(٤) القصص / ٨ .
(٥) الأعراف / ١٧٩ .
(٦) شرح النهج ١٨ / ٣٢٨ .
(٧) السابق ١٩ / ٣٨٥ .
(٨) ينظر إعراب النحاس ٢ / ٥٤٣ ، والبحر المحيط ٤ / ٣٢٧ ، ومغني اللبيب ١ / ٢١٤ .
(٩) شرح النهج ١ / ١٦٢ .
(١٠) ينظر معاني الفراء ٣ / ٣٢ .
(١١) ينظر الأزهية / ٢٩٨ ، والأمالي الشجرية ٢ / ٢٧١ .
(١٢) ينظر مغني اللبيب ١ / ٢١٢ ـ ٢١٣ .

(١) ينظر مغني اللبيب ١ / ١٤٤ .

مِن :

ذكرها بمعناها الأصلي وهو ابتداء الغاية ولم يحدد الغاية للمكان أو للزمان في قول الإمام علىّ (ع) : ((احذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة))[١] ، وذكر تضمنها معاني أُخر وهي :

. التبعيض في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ)[٢] ، وفي قوله تعالى : (وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ)[٣] [٤] .

ـ ولبيان الجنس وسماها للتبيين التفسير ففي قول الإمام : (اصطفى الله تعالى منهجه وبيّن حججه من ظاهر علم وباطن حكم)) يقول : ((مِن ها هنا للتبيين والتفسير كما تقول دفعت إليه سلاحا من سيف ورمح وسهم))[٥] .

. والتعليل في قول الشاعر :

أ من رسم دار مربع وصيف لعينيك من ماء الشؤون وكيف

أي لأجل أن رسم المربع هذه الدار وكفّ دمع عينيك[٦] .

. والبدل ففي قوله تعالى : (وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ)[٧] يقول طريقة العرب في الحذف معلومة أي لجعلنا بدلا منكم ملائكة وقال الشاعر :

فليت لنا من ماء زمزم شربة مُبرّدة باتتْ على طهيان

أي ليت لنا شربة مبردة باتت على طهيان وهو اسم جبل بدلا وعوضا عن ماء زمزم))[٨] .

وأنكر قوم هذا المعنى لمِن وتأولوا قوله تعالى : (وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ) أنّ (مِن) زائدة والتقدير لجعلناكم[٩] ، فيكون ابن أبي الحديد من مثبتي هذا المعنى لـ(من) .

. وبمعنى (عن) ففي قول الإمام : ((فما عدا مما بدا)) يقول : ((من ها هنا بمعنى (عن) وقد جاءت في كثير من كلامهم قال ابن قتيبة في أدب الكاتب : ((حدثني فلان من فلان أي فلان عن فلان ولهيت من كذا أي عنه)) فيصير ترتيب الكلام وتقديره : فما صرفك عمّا بدا منك))[١٠].

ـ وبمعنى الباء ففي قول الإمام : ((لا يغرنّك سواد الناس من نفسك)) يقول : ((مِن ها هنا بمعنى الباء أي لا يغرنك الناس بنفسك))[١١] .

---

(٢) شرح النهج ١٧ / ١٣٦ ، وينظر الكتاب ٤ / ٢٢٤ ، والمقتضب ٤ / ١٣٦ ، والأزهية / ٢٣١ . .
(٣) التغابن / ٢ . .
(٤) النـور / ٤٥ .
(٥) شرح النهج ٨ / ١١٨ ، وينظر الكتاب ٤ / ٢٢٥ ، والأزهية / ٢٣٢ .
(٦) السابق ٩ / ٥٦ ، وينظر الأزهية / ٢٣٣ .
(٧) السابق ١ / ١٧١ ، وينظر معاني الفراء ٢ / ١٠ .
(٨) الزخرف / ٦٠ .
(٩) شرح النهج ١١ / ١٧٩ ، وينظر الأمالي الشجرية ١ / ٣٨ ، والبيان ١ / ٣٤١ .
(١٠) ينظر البيان ٢ / ٣٣٥ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٥ .
(١٢) شرح النهج ٢ / ١٦٣ ، وينظر الكتاب ٤ / ٢٢٧ ، والأزهية / ٢٩٢ ، وأدب الكاتب / ٣٩٧ .
(١) شرح النهج ٨ / ٢٧٠ ، وينظر المقتضب ٢ / ٣١٩ ، والأزهية / ٢٩٣ .

. وبمعنى (مُذ) ففي قول الإمام : ((وما تخفي صدورهم من الضمير ومستقرهم ومستودعهم من الأرحام)) يقول : ((من ها هنا بمعنى (مُذ) أي مذ زمان كونهم في الأرحام والظهور إلى أن تتناهى بهم الغايات))[١] .

فعلى هذا يكون ابن أبي الحديد قد وافق الكوفيين بجواز استعمال (من) لابتداء الغاية في الزمان بمعنى (مذ) ومنع البصريون ذلك[٢] ، ومما يعضد رأي الكوفيين أنها وردت في قوله تعالى : (لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ)[٣] أي منذ أول يوم ، ومن الشعر قال النابغة :

تخيّرن من أزمان يوم حليمة إلى اليوم قد جربنَ كلَّ التجارب[٤] .

ولا مسوغ إلى تقدير (من تأسيس أول يوم) قي الآية ، و(من مضى أزمان) في بيت النابغة .

وقال زهير : لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر

أراد مذ حجج ومذ دهر[٥] ، وتقول العرب : ما رأيته من سنة أي منذ سنة[٦] ، فضلا عن قول الإمام السابق ، وقد ذهب ابن هشام إلى أنّ من حالات (منذ ومذ) أنهما حرفا جر بمعنى (من) إن كان الزمان ماضيا وقد تمثل ببيت زهير جاعلا (مذ) مكان (من)[٧] . فلمَ لا تكون (من) بمعنى (مذ أو منذ) للزمان ؟

. وزائدة في قول الإمام : ((ما كان لله في أهل الأرض حاجة من مستسر الأمة ومعلنها)) وهي لا تتعلق نحو قولك : ما جاءني من أحد[٨] .

وفي هذا النص توفر أحد شروط زيادة (من) وهو أنها مسبوقة بنفي ، وهناك شروط أُخر وضعها البصريون وهي أن تكون مسبوقة بنهي أو استفهام بـ(هل) ، وأن يكون مجرورها

نكرة ، والثالث أن يكون مجرورها فاعلا أو مفعول به او مبتدأ[٩] ، ولم يشترط الكوفيون واحدا من الشروط السابقة ، وتبعهم الأخفش وأبو على الفارسي والزمخشري من البصريين[١٠]

أما ابن أبي الحديد فقد جوّز المذهبين وإن كان يقدم مذهب الأخفش ثمّ يجوّز مذهب سيبويه

ففي قول الإمام (ع) : ((اكفف عليهنّ من أبصارهنّ بحجابك إياهنّ)) يقول : ((مِن ها هنا زائدة وهو مذهب أبي الحسن الأخفش في زيادة (من) في الواجب ، ويجوز أن يحمل على مذهب سيبويه فيعني به : فاكفف عليهنّ بعض أبصارهنّ))[١] .

---

(٢) السابق ٦ / ٣٩٥ ، وينظر الأزهية / ٢٩٣ .
(٣) ينظر الإنصاف ١ / ٢٢٨ ، والأشباه والنظائر ٢ / ١٧٤ .
(٤) التوبة / ١٠٨ .
(٥) ينظر مغني اللبيب ١ / ٣١٩ .
(٦) ينظر الأزهية / ٢٩٣ .
(٧) ينظر مختار الصحاح (من) / ٦٣٥ .
(٨) ينظر مغني اللبيب ١ / ٣٣٥ .
(٩) شرح النهج ١٣ / ١٠٤ .
(١٠) ينظر الكتاب ٤ / ٢٢٥ ، والمقتضب ٤ / ٤٢٠ ، والأصول ١ / ٥٠٠ .
(١١) ينظر معاني الفراء ٣ / ١٨٧ ، وشرح اللمع ١ / ١٩٤ ، ومنهج الأخفش الأوسط / ٢٤١ .

أحرف العطف :

من أحرف العطف التي ذكرها هي :

الواو :

وهي عاطفة لمطلق الجمع ولا تقتضي الترتيب[٢]، وقد تخرج من معناها هذا إلى معانٍ أُخر :

. بمعنى (أو) ففي قول الإمام : ((إنما الأئمة قوام الله على خلقه لا يدخل الجنة إلا مَن عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار إلا مَن أنكرهم وأنكروه)) يقول : ((الواو في قوله (وأنكروه) بمعنى (أو) كما في قوله تعالى : (فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ)[٣]))[٤] .

لقد أنكر بعض النحويين الواو بمعنى (أو) في الآية السابقة وعندهم إنما بقوله ضعاف المفسرين[٥] ، في الوقت الذي أثبته الفراء والهروي وأبو البقاء العكبري[٦] ، وتبعهم ابن أبي الحديد وهو الأرجح إذا كانت (أو) تفيد التخيير لأنها واقعة بعد الطلب .

. وتأتي زائدة في قول الإمام : ((لقد كنتُ وما أُهدد بالحرب)) إذ يعدّها إذا كانت (كان) بمعنى (ما زال) كما جاء في المثل : ((لقد كنتُ وما أخشى بالذئب))[٧] ، أما إذا كانت (كان) تامة فالواو واو الحال[٨]، فهو على هذا يجوّز مجئ الواو زائدة موافقا الكوفيين و الأخفش[٩]، أما البصريون فمنعوا مجئ الواو زائدة[١٠]، كما ذكر معاني أُخر للواو غير العطف مثل واو الحال[١١]، والواو بمعنى مع[١٢] .

الفاء :

وهي تفيد التعقيب وليست للفور على ما يصح إما عقلا أو إعادة ، ولهذا صحّ أن يقال : دخلتُ البصرة فبغداد وكان بينهما زمان كثير[١٣]، وذكر لها معنى آخر وهو :

. بيان ماهية الأمر الذي يحرز الإنسان به نفسه ولتفصيل أقسامه وأنواعه في قول الإمام :

((تزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا ، فاتقى عبدٌ ربَّه نصح نفسه ، وقدّم توبته وغلب شهوته ...)) يقول : ((الفاء في (اتقى) لبيان ماهية الأمر الذي يحرز الإنسان به

---

(١) شرح النهج ١٦ / ١٢٤ ، و ١٧ / ٥٣ ، وينظر الفلك الدائر / ٤٠ .
(٢) السابق ٧ / ٦٥٤ ، وينظر الفلك الدائر / ٢٢٥ ، والكتاب ٣ / ٤١ .
(٢) النساء / ٣ .
(٤) شرح النهج ٩ / ١٥٥ ، وينظر الفلك الدائر / ٢٦٧ .
(٥) ينظر الشريف الرضي وجهوده النحوية / ٩٧ ، والبحر المحيط ٣ / ١٦٣ ، ومغني اللبيب ١ / ٦٥٣ .
(٦) ينظر معاني الفراء ٣ / ١٣٥ ، والأزهية / ٢٤٢ ، والتبيان ١ / ١٦٦ .
(٧) جمهرة الأمثال ٢ / ١٨٢ ، وينظر مجمع الأمثال ٢ / ١٨٠ .
(٨) شرح النهج ١ / ٣٠٥ ، و١٠ / ٤ .
(٩) ينظر معاني الفراء ١ / ٢٣٨ ، و ٢ / ٥٠ ، ومجالس ثعلب ١ / ٧٤ ، والأزهية / ٢٤٥ .
(١٠) ينظر المقتضب ٢ / ٨٠ ـ ٨١ ، والأمالي الشجرية ١ / ٣٥٨ ، والإنصاف ٢ / ٢٦٨ ، وشرح المفصل ٨ / ٩٤ .
(١١) شرح النهج ٥ / ١٧٥ ، و١٠ / ٧٠ .
(١٢) السابق ١٨ / ١٢٣ .
(١٣) السابق ٧ / ٥ ، والفلك الدائر / ٢٤٦ ، وينظر الكتاب ٤ / ٢١٧ ، ومغني اللبيب ١ / ١٦١ .

نفسه ولتفصيل أقسامه وأنواعه ، وكما تقول : فعل اليوم فلانٌ أفعالا جميلة فأعطى فلانا وصفح عن فلان وفعل كذا))[1] .

وهذا المعنى للفاء غريب لم يشر إليه أحد من النحاة أو المفسرين فضلا عن أنّ المثال الذي ضربه لها لا يعطي المعنى الذي أراده إذ أنها يمكن أن تكون عاطفة جملة (أعطى) على (فعل) ، وإذا كان هناك تقسيم فبالواو أكثر وبقلة لـ(أو)[2] ، وليس بالفاء غير أنه يمكن أن تكون الفاء بهذا المعنى وهو (بيان ماهية الأمر الذي يحرز الإنسان به نفسه) في قول الإمام إذ أنها لا يجوز أن تكون عاطفة جملة (اتقى) وهي جملة خبرية على جملة (تزودوا) وهي إنشائية (طلبية) ، و(تفصيل أقسامه وأنواعه) يكون بالواو ، ومجمل القول أنه رأي تفرّد به .

ثُمّ :

وهي تفيد التعقيب والتراخي ، وجوّز أن تكون بمعنى الجمع المطلق كالواو فمن خطبة طويلة للإمام عليّ (ع) ذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم (ع) حتى قال : ((ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء ...)) علّق ابن أبي الحديد بقوله : ((ثمّ تعقيب وتراخٍ لا في مخلوقات البارئ سبحانه بل في كلامه . عليه السلام . كأنه يقول : ثمّ أقول بعد قولي المتقدم إنه تعالى أنشأ فتق الأجواء ، ويمكن أن يقال : إنّ لفظة (ثمّ) ها هنا تعطي معنى الجمع المطلق كالواو ومثل ذلك قوله تعالى : (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى)[3]))[4] .

لقد أثبت سيبويه (ثمّ) بمعنى الواو[5]، وتبعه بعض البصريين[6]، وبعضهم أنكر هذا المعنى[7] وزعم الكوفيون والأخفش أن هذا المعنى قد يتخلف وذلك بأن تقع زائدة فلا تكون عاطفة البتة[8] فعلى هذا يكون ابن أبي الحديد قد وافق سيبويه وبعض البصريين .

حروف أُخر : من الحروف الأُخر التي ذكرها ابن أبي الحديد هي :

ما : وتأتي

. مصدرية في قول الإمام : ((قريب ما يطرح الحجاب تقديره : قريب طرح الحجاب[9] .

. وزائدة للتوكيد في قول الإمام : ((ما يصنع بالمال مَن عمّا قليلٍ يسلبه))[10]، وقوله :

---

(١) شرح النهج ٥ / ١٤٧ .
(٢) ينظر مغني اللبيب ١ / ٦٥ .
(٣) طـه / ٨٢ .
(٤) شرح النهج ١ / ٨٤ .
(٥) ينظر الكتاب ٣ / ٥٠١ .
(٦) ينظر الأصول ١ / ٥٣١ .
(٧) ينظر شرح عيون الإعراب / ٢٥٠ ، وشرح المفصل ٨ / ١٤١ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٦٦ .
(٨) ينظر المفصل / ٩٦ ، ومغني اللبيب ١ / ١١٧ .
(٩) شرح النهج ١ / ٢٩٨ ، وينظر الكتاب ٣ / ١١ ، ومعاني الفراء ٢ / ٩٤ ، والأزهية / ٨١ .
(١٠) السابق ٩ / ٢١٥ .

((اللهمّ أيما عبدٍ من عبادك سمع مقالتنا ...))[1] ، وسماها صلة مؤكدة عند وقوعها بعد حرف الجرّ في قوله تعالى : (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ)[2]، وقوله تعالى : (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ)[3] [4] ، وأحيانا يطلق عليها بـ(إبهامية) ففي قول امرئ القيس :

دع عنك نهبا صيح في حجراته ولكنّ حديثا ما حديث الرواحل

في أحدى توجيهاته الإعرابية لهذا البيت يقول : ((ما ها هنا يحتمل أن تكون إبهامية وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة زادته إبهاما وشيوعا كقولك : اعطني كتابا ما تريد أي كتاب كان ويمكن أن تكون صلة مؤكدة كالتي في قوله تعالى : (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ)))[5] .

لقد جعل (ما) الزائدة للتوكيد إبهامية تارة وصلة مؤكدة تارة أخرى ، وهي عند النحويين صلة مؤكدة ، ويسميها بعضهم زائدة أو لغوا وبعضهم يسميها توكيدا للكلام ولا يسميها زائدة أو صلة ؛ لئلا يظنّ ظانّ أنها دخلت لغير معنى البتة[6] ، فهي واحدة وإن اختلفت التسميات ، فلعله أطلق هذه التسميات ويقصد المعنى العام وهو (زائدة للتوكيد) .

أحرف الشرط :

من أحرف الشرط غير الجازمة (لولا) قال عنها : ((وضعت لامتناع الشيء لوجود غيره كقولك : لولا زيدٌ لقام عمرو فامتناع قيام عمرو إنما هو لوجود زيد))[7] .

و(لو) أشار إليها بجواز حذف جوابها ، ففي حديث لأم سلمة لعائشة (رض) : ((الله من وراء هذه الأمة لو أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعهد إليك عهدا ... بل قد نهاك ...)) يقول : ((قولها : لو أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الجواب محذوف أي لفعل ولعهد وهذا كقوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ)[8] أي لكان هذا القرآن))[9] .

لقد أجمع النحويون على جواز حذف جواب (لو) في الآية السابقة والتقدير لكان هذا القرآن[10] إلا الفراء جوّز أن يكون جوابها متقدما وهو (وَهَم يَكفِرونَ)[11]، وتحدث ابن أبي الحديد عن فائدة حذف جواب (لو) في قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا

---

(١) شرح النهج ١١ / ٦٠ .
(٢) النساء / ١٥٥ .
(٣) القصص / ١٧ .
(٤) شرح النهج ٩ / ٢١٩ ، وينظر معاني الفراء ١ / ٢٤٤ ، و ٢ / ٤٠٠ .
(٥) السابق ٩ / ٢٤٥ .
(٦) ينظر الكتاب ٣ / ٧٦ ، والأزهية / ٧٥ ـ ٧٦ ، وشرح المفصل ٨ / ١٠٨ .
(٧) شرح النهج ١٣ / ٧٧ ، وينظر مغني اللبيب ١ / ٢٧٢ .
(٨) الرعـد / ٣١ .
(٩) شرح النهج ٦ / ٢٢٢.
(١٠) ينظر المقتضب ٢ / ٨١ ، وتحصيل عين الذهب / ٤٢٠ ، والأمالي الشجرية ١ / ٥٣.
(١١) ينظر معاني الفراء ٢ / ٧ و ٦٣ ، وإعراب النحاس ٢ / ١٧٢ .

اللّـهُ سَيُؤْتِينَا اللّـهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّـهِ رَاغِبُونَ)[1] إذ يقول : ((جواب (لو) ها هنا محذوف لفهم المخاطب وعلمه وفي حذفه فائدة لطيفة وهو أنّ تقديره : لرضي الله عنهم ، ولما كان رضاه عن عباده مقاما جليلا جدا حذف ذكره لأنّ الذكر له لا يُنبئ عن كنهة وحقيقة فضله فكان الإضراب عن ذكره أبلغ من تعظيم مقامه))[2]، وهذه التفاتة لطيفة من ابن أبي الحديد لعلها مفيدة .

وإنْ الشرطية تحدث عنها مفرقا بينها وبين (إذا) إذ يقول : (((إن) لفظة أكثر ما تستعمل لما لا يعلم حصوله ، ولفظة (إذا) لما يعلم أو يغلب على الظنّ حصوله تقول : إذا احمرّ البسر جئتك ولا تقول : إن احمرّ البسر جئتك))[3] ، وهذا الرأي مما ذهب إليه كثير من النحاة الذين سبقوه ولا سيما المبرد في المقتضب[4] .

. من أحرف النصب (أنْ) :

جوّز حذفها مع بقاء عملها ، ففي قول الإمام : ((املكوا عني هذا الغلام لا يهدني ...)) يقول : ((لا يهدني أي لئلا يهدني فحذف كما حذف طرفة في قوله :

ألا أيّهذا الزاجري أحضرَ الوغى ...

أي لأن أحضر))[5] .

وهو بهذا قد وافق الكوفيين بجواز عمل (أنْ) النصب في الفعل المضارع مع الحذف من غير بدل[6] ، وذهب البصريون أنها لا تعمل مع الحذف من غير بدل[7] .

لمّا بمعنى (إلّا) :

في قول الإمام : ((أنا أذكّر الله مَن بلغه كتابي لمّا نفرَ إليّ ...)) قال : ((لمّا ها هنا بمعنى (إلّا) كقوله تعالى : (إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)[8]في قراءة مّ قرأها بالتشديد))[9]، والمشهور في (لمّا) المشددة الميم أنها تأتي جازمة لفعل واحد أو تكون بمعنى (الحين)[10]، إلا أنّ سيبويه حكى ورودها بمعنى (إلا)[11]، وقد عُزيت هذه اللغة إلى هُذيل[12]، وهُذيل من القبائل الفصيحة التي حددها الفارابي في أطلسه ، فلا مسوغ لمَن عدّ (لمّا) بمنزلة (إلا) بأنه وجه لا نعرفه[13]

فضلا عن أنّ كلام الإمام هو نصّ من كتاب له قُرئ على أهل الكوفة ، والمعروف أنّ الكوفة

---

(١) التوبــة / ٥٩ .
(٢) شرح النهج ١١ / ٢٠٦ .
(٣) السابق ١٠ / ٦٩ .
(٤) ينظر المقتضب ٢ / ٥٦ ، وشرح عيون الإعراب / ٢٩٠ .
(٥) شرح النهج ١١ / ٢٦ .
(٦) ينظر معاني الفراء ٣ / ٢٦٥ ، ومجالس ثعلب ١ / ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ، وشرح المفصل ٧ / ٥٢ .
(٧) ينظر الكتاب ٣ / ٩٩ ، والمقتضب ٢ / ٨٥ ، والأصول ٢ / ١٨٤ ، والإنصاف ٢ / ٣٢٧ .
(٨) الطارق / ٤ ، مرّ تخريج القراءة .
(٩) شرح النهج ١٧ / ١٤٠ ، وينظر الأزهية / ٤٥ ، وشرح المفصل ٨ / ٧٥ .
(١٠) ينظر الأزهية / ٢٠٧ .
(١١) ينظر الكتاب ٣ / ١٠٥ .
(١٢) ينظر معاني الفراء ٣ / ٢٥٥ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٥٤ .
(١٣) ينظر معاني الفراء ٢ / ٢٩ .

في ذلك الوقت كانت خليطا من قبائل شتى فلا بُدّ أنّ الإمام عليّ (ع) يخاطبهم بلغة مشهورة ومعروفة بينهم ؛ لذا نرجح أنها ليست لهجة في هُذيل بل لهجة معروفة وشائعة مثل (لغة قريش) كما يسميها اللغويون القدامى .

قد :

يقول ابن أبي الحديد : ((حرف لتقريب الماضي من الحال تقول : قد قام زيد فقد دلّ على أنّ قيامه قريب الحال التي أخبرت فيها بقيامه))[1] .

(أم) استفهامية أو بمعنى (بل) :

في قول الإمام : ((أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام)) يقول : ((أم ها هنا إما استفهامية على حقيقتها كأنه قال : أعظكم وأذكركم بحال الشيطان وإغوائه أم بحال الإنسان منذ ابتداء وجوده إلى حين مماته ، وإما أن تكون منقطعة بمعنى (بل) كأنه قال : عادلا وتاركا لما وعظهم به بل أتلو عليكم نبأ هذا الإنسان الذي حاله كذا))[2] .

لقد نقل لنا ابن الشجري أنّ هناك خلافا بين النحويين في (أم) المنقطعة بمعنى (بل) فالكوفيون يحكمون على (أم) المنقطعة بأن تكون بمعنى (بل) مجردة من الاستفهام ، والبصريون مجمعون على أنها لا تكون بمعنى (بل) إلا بتقدير همزة الاستفهام[3]، وهي عند سيبويه بمنزلة همزة الاستفهام[4]، ولا يكون الكلام بها إلا استفهاما ويقع الكلام بها في الاستفهام على وجهين : على معنى أيّهما وأيّهم ، وعلى أن يكون الاستفهام الآخر منقطعا عن الأول[5] ، وقد تجئ منقطعة بعد الخبر في قول الرجل : إنها لإبل أم شاء[6]، فعلى هذا يكون سيبويه قد جوّز المذهبين ، ويكون ابن أبي الحديد قد تبعه في هذه المسألة .

ونقل لنا ابن الأنباري أنّ هناك خلافا بين البصريين والكوفيين في (أو) بمعنى (بل) ، فالكوفيون يجوز ذلك عندهم ، والبصريون لا يجوز ، ومن احتجاج أنهم قالوا : ((الأصل في كل حرف أنه لا يدلّ إلا على ما وضع له ، فنحنُ تمسكنا بالأصل))[7]، ويعضد ذلك ابن هشام بأنّ قولهم : ((ينوب بعض حروف الجرّ عن بعض)) لا يجوز عند البصريين ومَن تابعهم إذ يرون أنّ الحرف باقٍ على معناه وأنّ العامل ضمن معنى عامل يتعدى بذلك الحرف لأنّ التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف[8] ، فعلى هذا يكون ابن أبي الحديد قد وافق الكوفيين على جواز إنابة الحروف بعضها مكان بعض ولا سيما حروف الجرّ .

---

(١) شرح النهج ٣ / ٧٦ ، وينظر شرح المفصل ٨ / ١٤٧ .
(٢) السابق ٦ / ٢٣٠ .
(٣) ينظر الأمالي الشجرية ٢ / ٣٣٥ ، ومغني اللبيب ١ / ٤٥ .
(٤) ينظر الكتاب ٣ / ١٨٩ .
(٥) السابق ٣ / ١٦٩ .
(٦) السابق ٣ / ١٧٢ .
(٧) ينظر الإنصاف ٢ / ٢٨١ .
(٨) ينظر مغني اللبيب ٢ / ٦٥٦ .

توجيهاته الإعرابية :

لابن أبي الحديد توجيهات إعرابية كثيرة هذه بعض منها ، والقسم الأكبر في ملحق ثبت في نهاية البحث ، وذكرتُ جانبا منها في جهوده النحوية :

. قال عدي بن زيد العبادي :

ساءها ما لها تبيّن في الأيدي وأشنافها إلى الأعناق

((تبيّن في هذا البيت فعل ماضٍ تبيّن يتبيّن واللام في (لها) تتعلق بـ(تبيّن) يقول : ظهر لها ما في أيدينا فساءها ، ويروى (ساءها ما بنا تبيّن) أي ما بان وظهر ، ويروى (ما بنا تبيّنُ) بالرفع على أنه فعل مضارع ، ويروى (أشنافها) بالرفع عطفا على (ما) التي هي بمعنى الذي وهو فاعله ويروى بالجرّ عطفا على (الأيدي)))[1] .

. وقال الإمام عليّ (ع) : ((أكلّ ذلك كراهية الموت ...)) .

((مَن رواه (أكلَّ ذلك) بالنصب فمفعول فعل مقدّر أي تفعل ذلك ، و(كراهية) منصوب لأنه مفعول له ، ومَن رواه (أكلُّ ذلك) بالرفع أجاز في (كراهية) الرفع والنصب ، أما الرفع فأنه يجعل (كل) مبتدأ و(كراهية) خبره ، أما النصب فيجعلها مفعولا له كما قلنا في الرواية الأولى ويجعل خبر المبتدأ محذوفا وتقديره : أكل هذا مفعول أو تفعله كراهية الموت))[2] .

. وقال الإمام علي : ((إذا كان ذلك أكبر مكيدته أن يمنح القوم سبته ...)) .

((يجوز رفع (أكبر) ونصبه ، فإن رفعت فهو الاسم وإن نصبت فهو الخبر))[3] .

. وقال الإمام : ((لا يكوننّ المضمون لكم طلبه أولى من المفروض عليكم عمله)) .

((قد يتوهم قوم أنه ارتفع (طلبه) بـ(المضمون) كقولك : المضروب أخوه ، وهذا غلط لأنه لم يضمن (طلبه) وإنما ضمن حصوله ، ولكنه ارتفع لأنه مبتدأ وخبره (أولى) وهذا المبتدأ والخبر في موضع نصب لأنه خبر (يكوننّ) أو ارتفع لأنه بدل من (المضمون) وهذا أحسن وأولى من الوجه الأول وهو بدل اشتمال))[4] .

. وقال الإمام : ((حُمّل كل امرئ منكم مجهوده وخُفف عن الحملة ربّ رحيم ودين قويم)).

((قد رُوي (حمّل) على صيغة الماضي ، ومجهوده بالنصب ، و(خفف) على صيغة الماضي ويكون الفعال هو الله المقدّم ذكره ، والرواية الأولى أكثر وأليق ، ومن الناس مَن يجعل (ربّ رحيم) فاعل (خفف) على رواية مَن رواها فعلا ماضيا ، وليس بمستحسن لأنه عطفُ (الدين) عليه يقتضي أن يكون (الدين) أيضا مخففا وهذا لا يصح))[5] .

---

(١) شرح النهج ١ / ١٧٢ .
(٢) السابق ٤ / ١٢ .
(٣) السابق ٦ / ١٨١ .
(٤) السابق ٧ / ٢٦ ، وينظر نهج البلاغة ٢ / ٢٢١ .
(٥) السابق ٩ / ١٢٢ ، وينظر نهج البلاغة ٢ / ٢٦١ .

. وقال امرؤ القيس :

دعْ عنك نهبا صيح في حجراته ولكنْ حديثا ما حديث الرواحل

((انتصب (حديثا) بإضمار فعل أي هات حديثا أو حدثني حديثا ، ويروى (ولكن حديث) أي ولكن مرادي أو غرضي حديث فحذف المبتدأ ، و(ما) ها هنا يحتمل أن تكون إبهامية وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة زادته إبهاما وشيوعا كقولك : اعطني كتابا ما تريد أيّ كتاب كان ويمكن أن تكون صلة مؤكدة كالتي في قوله تعالى : (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ)[1] ، فأما (حديث) الثاني فقد ينصب وقد يرفع ، فمّن نصبه أبدله من (حديث) الأول ، ومَن رفع جاز أن يجعل (ما) موصولة بمعنى (الذي) وصلتها الجملة أي الذي هو حديث الرواحل ثمّ حذف صدر الجملة كما حذف في (تَمَاماً عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ)[2] ، ويجوز أن تجعل (ما) استفهامية بمعنى (أيّ)))[3] .

. وقول الإمام عليّ (ع) : ((أما الليل فصافون أقدامهم ...)) .

((أما الليلَ بالنصب على الظرفية ، و رُوي الليلُ بالرفع على الابتداء))[4] .

. وقول الإمام : ((وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية ... فريضة فرضها الله سبحانه)) .

((فريضة : قد رُوي بالنصب والرفع ، فمَن رفع فخبر مبتدأ محذوف ، ومَن نصب فبإضمار فعل أو على الحال))[5] .

. وقول الإمام : ((لا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم)) .

((رُوي بإسقاط الباء من قوله : (بأيديكم) ، ومَن روى الكلمة بالباء جعلها زائدة ويجوز ألا تكون زائدة ويكون المعنى : لا تحركوا الفتنة بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم فحذف المفعول))[6] .

---

(١) النساء / ١٥٥ .
(٢) الأنعام / ١٥٤ .
(٣) شرح النهج ٩ / ٢٤٥ .
(٤) السابق ١٠ / ١٤٢ ، وينظر نهج البلاغة ٣ / ٣٧٧ .
(٥) السابق ١١ / ٩٢ .
(٦) السابق ١٣ / ١١٣ .

الخاتمة

الخاتمـة

من خلال البحث ظهرت النتائج الآتية وهي :

ابن أبي الحديد سيرته وآثاره :

هو عبد الحميد بن بهاء الدين محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني المعتزلي وُلد في المدائن سنة ٥٨٦ هـ ، وتتلمذ على (١٣) شيخا في مختلف العلوم والفنون ، وأخذ العلم منه (٣) تلاميذ ، وله من المؤلفات (٢٠) مؤلفا أشهرها (شرح نهج البلاغة) ، ويُعدّ عالما موسوعيا عارفا بعلوم كثيرة ، توفي في بغداد سنة ٦٥٦ هـ .

مصادر الكتاب :

اعتمد في تأليفه هذا الكتاب مصادر كثيرة :

أولها : مصادره في الاستشهاد وهي القرآن الكريم ويأتي في المرتبة الأولى إذ لم يدع موضوعا إلا استشهد فيه ، والشعر العربي ويأتي في المرتبة الثانية وقد تمثل به في أعلب موضوعات اللغة والبلاغة والموضوعات العامة ، وذكر أشعارا كثيرة تنم عن ذوق سليم وانتقاء دقيق لشعراء عاشوا في عصور مختلفة ابتداء من عصر ما قبل الإسلام حتى عصره والحديث النبوي استشهد به في موضوعات اللغة والبلاغة والموضوعات العامة ، والأمثال تمثل بها في الموضوعات اللغوية لكن على قلة وفي الموضوعات العامة كثيرا .

ثانيها : الكتب التي اعتمدها وهي كثيرة جدا إذ بلغت (٢٣٤) كتابا لـ(١٤٤) مؤلفا بعضها مطبوع ومتداول ، وبعضها الآخر ما زال مفقودا ، فهو أشبه بمتحف لهذه المخطوطات المفقودة لأنه حفظها في كتابه ، وهذه الكتب متنوعة ، فمنها كتب التاريخ والأنساب والسير والأدب والشعر ، واللغة ، وعلم الكلام والفقه ، وكتب متفرقة ، ولم يصرح بأسماء كتب النحو وقد عرفت منها كتاب سيبويه ، والمقتضب للمبرد وسر صناعة الإعراب لابن جني ومفصل الزمخشري ، وذلك من خلال مطابقتي لبعض النصوص مع تلك الكتب ، ولعل تعليقاته على نصوص مفصل الزمخشري هي بعض من كتابه المفقود (الحواشي على المفصل) لأنه اعتمد في شرحه للنهج بعضا من مؤلفاته فضلا عن الكتب السابقة .

وثالثها : الشيوخ وهي المعلومات التي تلقاها عن شيوخه في موضوعات التاريخ والنقد وعلم الكلام والنحو فشكلت مصدرا من مصادر الكتاب .

موضوعات الكتاب :

لقد حوى كتابه موضوعات كثيرة ومنها : اللغة وتأتي في مقدمتها إذ عرض لنا فروعها بشكل متكامل إذ يشرح كلمات كل فصل شرحا دقيقا مشتملا على الغريب وما عساه يشتبه من الإعراب والتصريف ذاكرا دلالة الكلمة في المعجم وفي سياق النص ، وذكر بعضا من لغات

العرب ، وطائفة لا بأس بها من القراءات دون أن يُخطئ شيئا منها ، وظهرت عنده موضوعات نقدية وبلاغية وأخرى في علم الكلام والتاريخ والفقه وموضوعات عامة كثيرة .

أهمية الكتاب :

أشاد به باحثون كثيرون ويمكن القول إنه من الكتب المهمة ويُعدّ منجما غزيرا بالدرر الثمينة ومصدرا مهما لمختلف الاختصاصات ، وثمرة طيبة من عصارة العقل البشري .

مصادره في الاستشهاد النحوي :

١ـ اعتمد القرآن الكريم مصدرا مهما من مصادره النحوية ، ويأتي في المرتبة الأولى إذ بلغ مجموع ما استشهد به أكثر من (٨٠) آية قرآنية .

٢ . تعرض للقراءات القرآنية واهتم بها ولم يتقيد بذكر أصحابها وإنما أرسلها إرسالا وكثيرا ما يوجه القراءة توجيها إعرابيا ثم هو قد احتج بها ولم يخطئ شيئا منها .

٣– تمثل بشعر الشعراء الذين يقع شعرهم ضمن المدة الزمنية التي حددها العلماء في الاستشهاد ولم يخرج عنها إلا في موضوعات تتعلق بالمعاني وتأتي شواهد الشعرية في المرتبة الثانية إذ بلغت أكثر من (٧٠) بيتا أو نصف بيت .

٤ . احتج بالحديث النبويّ الشريف وبكلام الصحابة ولا سيما الإمام عليّ (ع) إذ إنّ أغلب مسائله النحوية مستنبطة من كلام الإمام .

٥ . تمثّل ببعض الأمثال لكن على قلة .

منهجه في النحو :

١ـ أولى للسماع أهمية كبيرة إذ عدّه حجة على علماء اللغة وهو بهذا قد اتبع منهج المدرسة الكوفية التي اعتدت بالسماع أكثر من القياس .

٢. استعمل القياس اللغوي البسيط وابتعد عن القياس النظري أو الجدلي كما أهمل العلل الثواني والثوالث والتأويلات والتقديرات ، فكانت اغلب علله تعليمية ، وظهرت عنده فكرة العامل النحوي بشكل واضح كما استعمل التضمين الذي هو فرع من القياس .

٣. أغلب مصطلحاته النحوية بصرية إذ بلغت (١٨) مصطلحا ، ولم يهمل المصطلحات الكوفية إذ استعمل منها (٤) مصطلحات في وقت غلبت فيه المصطلحات البصرية وسيطرت على النحو العربي .

٤ـ له القدرة العلمية الدقيقة في الردّ على العلماء في موضوعات اللغة والنحو ولا سيما القطب الراوندي إذ بلغت ردوده عليه (٢٤) ردّا في مسائل النحو فقط .

جهوده النحوية :

يمكن إجمال النتائج التي توصلتُ إليها من استعراض جهوده النحوية في أبواب النحو المختلفة بما يأتي :

المسائل الخلافية :

١. وافق البصريين في (١٥) مسألة نحوية هي :

. (ذا) لا تكون موصولة إلا إذا رُكّبت مع (ما) .

. جواز تقديم خبر المبتدأ عليه .

. لا يجوز الابتداء بالنكرة إلا إذا وصفت أو إذا اعتمدت على نفي أو استفهام .

. لا يجوز حذف الفاعل .

. الاسم المرفوع بعد (إنْ) و(إذا) الشرطيتين فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده .

. المنادى في قوله تعالى : (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ) منصوب كالنكرة أو مشابه للمضاف وليس بمنادى على الحقيقة بل كالنداء .

. الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه .

. (هَلُمّ) أصلها (لمّ) و(ها) للتنبيه .

. (إنْ) المخففة تدخل اللام في خبرها للتفريق بينها وبين (إنْ) النافية .

. يجوز أن تأتي (أنْ) المخففة بمعنى (أي) التفسيرية .

. (لات) تعمل عمل ليس .

. لا يجوز العطف على الضمير المستكن أو المتصل المرفوع إلا بتوكيد أو فصل .

. لا يجوز العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة حرف الجرّ .

. يجوز أن تأتي (ثُمّ) بمعنى الواو .

. يجوز حذف جواب (لو) .

٢. وافق الكوفيين في (١١) مسألة نحوية هي :

. جواز حذف المبتدأ صدر الصلة قياسا وإن لم تطل الصلة .

. يجوز تقديم الحال المفرد على صاحبها المجرور بحرف الجرّ .

. يجوز أن تأتي (سوى) اسما بمعنى (غير) في الاستثناء .

. جواز إضافة الشيء إلى نفسه .

. جواز حذف الضمير المضاف إليه وإنابة (ال) منابه .

. أثبت لام العاقبة معهم .

. جواز حذف حرف النصب (أن) وإبقاء عمله من غير بدل .

. يجوز أن تأتي واو العطف زائدة .

. جواز إنابة الحروف بعضها مكان بعض ولا سيما حروف الجرّ .

. (هيهات زيد) مبتدأ وخبر .

. حرف الجر (مِن) يجوز أن يأتي لابتداء الغاية في الزمان بمعنى (مُذ) .

٣. مسائل خلافية ذكر فيها المذهبين دون أن يميل إلى أحدهما هي :

. ظرف الزمام مبني أو معرب .

. همزة (أيمن) في القسم همزة قطع أو وصل .

. يجوز تقديم التميز المعرفة على عامله أو لا يجوز .

. (أم) استفهامية أو منقطعة بمعنى (بل) .

٤. مسائل لعله تفرّد بها هي :

. حذف خبر المبتدأ النكرة الموصوفة وتقديره (في الوجود) .

. الاسم بعد (ألّا) التحضيضية مبتدأ وخبره محذوف تقديره (في الوجود) .

. (الواو) في التحذير نحو (إياك والكذب) عوض عن الفعل المحذوف المقدّر .

. لا يكون التمييز إلا واحدا .

. يجوز أن يأتي التمييز مشتقا .

. في قوله تعالى : (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً) ، رفيقا : صفة لموصوف محذوف .

. حذفُ فعل الأمر من (عليَّ زيدا) و (مكانك) .

. (إنما) لا تفيد الحصر .

. (الباء) للمجازاة الدالة على الصلة في مثل قوله تعالى : (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ) .

. (الباء) بمعنى (مِن) لابتداء الغاية في المكان .

. (على) لهيئة الحال في مثل قول الإمام عليّ (ع) : ((سكنت على حركتها من أن تميد بأهلها)) .

. (الفاء) لبيان ماهية الأمر وتفصيل أقسامه في مثل قول الإمام : ((فاتقى عبد ربه نصح نفسه قدّم توبته ...)) .

المسائل النحوية العامة :

١. الحذف ذكره كثيرا في الموضوعات الآتية :

. حذفُ المبتدأ في المواضع الآتية : إذا وقع بعد فاء الجواب ، وإذا كان صدر الصلة ، وإذا كان الخبر مصدرا نائبا عن فعله .

ـ حذف الخبر في المواضع الآتية : إذا وقع المبتدأ بعد (لا) النافية غير العاملة ، وإذا المبتدأ اسم تفضيل إذ يسد الحال مسد الخبر ، وإذا كان المبتدأ نصّا في اليمين ، ولم يميز بين حذف المبتدأ أو الخبر وجوبا أو جوازا .

ـ حذفُ المفعول به : ذكره في (١٠) مواضع من شرحه للنهج إذ عدّه فضله ، كما تحدّث عن حذف عامل المفعول به في باب الإغراء والتحذير والاختصاص والنداء .

حذفُ الحال : ذكره في (١٥) موضعا من شرحه للنهج وغالبا ما يكون ذلك إذا تعلّق حرف

الجرّ بحال محذوفة .

. حذفُ المضاف في (١٧) موضعا من شرحه للنهج ، وحذفُ المضاف إليه في مواضع قليلة

. حذفُ الموصوف في مواضع قليلة .

. حذفُ اسم (كان) وخبر (ليس) في موضع واحد .

. حذفُ خبر (لا) النافية للجنس غالبا .

. حذفُ اسم (لات) غالبا .

٢ . التقديم والتأخير : ذكر جواز التقديم في الموضوعات الآتية :

. تقديم الخبر على المبتدأ .

. تقديم الصفة على الموصوف .

. تقديم التمييز على عامله .

. تقديم الحال على صاحبه .

٣ . الفصل :

١ . تحدث بشكل مسهب عن الاعتراض معززا ذلك بشواهد كثيرة إلا أنه لم يحدد مواضع هذا الاعتراض في الجملة .

٢ . ذكر الفصل في الموضوعات الآتية :

. الفصل بين الحال وذي الحال .

. الفصل بين الصفة والموصوف .

. الفصل بين اسم ليس وخبرها .

٤ . بلغت توجيهاته الإعرابية أكثر من (٥٠) توجيها إعرابيا .

نتائج عامة :

١. يميل في أغلب مسائله النحوية نحو توجيه المعنى السياقي للنصّ .

٢. تأول بعض النصوص تأويلا نحويا مرتبطا بمذهب المعتزلة .

٣ . يستعمل في عرضه المادة النحوية أسلوب توجيه السؤال والإجابة عليه نحو : إن قلتَ : لماذا ... ؟ قلتُ : ...

٤. مذهبه النحوي : لم يلتزم بمذهب واحد فهو يأخذ من البصريين والكوفيين ، ويورد آراءهم وربما ذكر المذهبين في المسألة الواحدة دون أن يميل لأحدهما فضلا عن تفرّده بتقرير رأي خاص به بعيدا عمّا استقرت عليه آراء النحاة مما يمكننا القول إنّ له منهجا مستقلا في النحو ، ومما يعضد ذلك أنه معتزلي ، والمعتزلة يميلون إلى الاستقلال بآرائهم وعدم تعصبهم لمذهب بعينه .

ملحق بتوجيهاته الإعرابية :

هذه التوجيهات الإعرابية كلها مستنبطة من كلام الإمام عليّ (عليه السلام) :

. ((عَزِب رأي امرئ تخلف عني)) .

((يحتمل أن يكون هذا الكلام أخبارا وأن يكون دعاءً كما أن قوله تعالى : (حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ)[1] يحتمل الأمرين))[2] .

. ((الشيطان موكل به ... يمنيّه التوبة ليسوفها)) .

((وقد روي (ليسوفها) بكسر الواو وفتحها ، والضمير في الرواية الأولى يرجع إلى نفسه ويجوز أنه يعني به : ليسوف التوبة كأنه جعلها مخاطبة يقول لها : سوف أوقعك ، والتسويف أن يقول في نفسه سوف أفعل وأكثر ما يستعمل للوعد الذي لا نجاز له ، ومَن روي بفتح الواو جعله فعل ما لم يسمَ فاعله وتقديره : ويمنيه الشيطان التوبة أي يجعلها في أمنيته ليكون مسوفا إياها يعدّ من المسوفين المخدوعين))[3].

. ((أوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر)) .

((ما : مصدرية أي أعذر بإنذاره ، ويجوز أن يكون بمعنى الذي))[4] .

. ((أضلّ وأردى ووعد ومنّى ... حتى إذا استدرج قرينته ...)) .

((القرينة ها هنا : الإنسان الذي قارنه الشيطان ولفظه لفظ التأنيث وهو مذكر أراد القرين قال تعالى: (فَبِئْسَ الْقَرِينُ)[5]، ويجوز أن يكون أراد بالقرينة النفس ، ويكون الضمير عائدا إلى غير مذكور لفظا لما دلّ المعنى عليه ؛ لأنّ قوله : (أضل وأردى ووعد ومنّى) معناه أضل الإنسان وأردى ووعده فمنّى ، فالمفعول محذوف لفظا وإليه رجع الضمير على هذا الوجه ويقال : غلق الرهن إذا لم يفتكه الراهن في الوقت المشروط فاستحقه المرتهن))[6] .

. ومن كلام للإمام لما أراده الناس على البيعة .

يعلق على هذه العبارة بقوله : ((في أكثر النسخ (لما أراده الناس) ووجدتُ في بعضها (أداره الناس) فمَن روى الأول جعل (على) متعلقة بمحذوف وتقديره (موافقا) ، ومَن روى الثاني جعلها متعلقة بالفعل الظاهر نفسه وهو (أداره) تقول : أدرتُ فلان على كذا وداورتُ فلانا على كذا أي عالجته))[7] .

. ((حتى يكون أعظمَكم فيها غناء أحسنُكم بالله ظنّا)) .

---

(١) النساء / ٩٠ .
(٢) شرح النهج ١ / ٢١١ .
(٣) السابق ٥ / ١٤٧ .
(٤) السابق ٦ / ٢٦٨ .
(٥) الزخرف / ٣٨ .
(٦) شرح النهج ٦ / ٢٦٩ .
(٧) السابق ٧ / ٣٣ .

((يروى برفع (أعظمكم) ونصب (أحسنكم) والأول أليق))[1] .

. ((هيهاتَ أن اطلع بكم سرارَ العدل)) .

((يفسره الناس بمعنى هيهات أن أطلعكم مضيئين ومنورين لسرار العدل ... ويمكن أن يفسره آخر وهو أن يكون السرار ها هنا بمعنى السرور نصّ أهل اللغة على أنه يجوز سرر وسرار ، ويمكن فيه أيضا وجه آخر هو أن ينصب (سرار) ها هنا على الظرفية ويكون التقدير : هيهات أن أطلع بكم الحق زمان استسرار العدل فيكون قد حذف المفعول وحذفه كثيرا))[2] .

. ((مَن استشعرَ التقوى قلبُهُ برزَ مهله ...)) .

((برز مهله : يروى بالرفع والنصب ، فمَن رواه بالرفع جعله فاعل (برز) أي مَن فاق شرطه برز الرجل على أقرانه ، ومَن رواه بالنصب جعل (برز) بمعنى (أبرز) أي أظهر وأبان فنصب حينئذ على المفعولية))[3] .

. ((لقد استهام بكم الخبيثُ ...)) .

((يعني الشيطان ، واستهام بكم : جعلكم هائمين فعداه بحرف الجرّ كما تقول : استنفرتُ القوم إلى استنفرتُ بهم أي جعلتهم نافرين ، ويمكن أن يكون بمعنى الطلب والاستدعاء كقولك : استعلمتُ من حال كذا أي استدعيتُ أن يعلمني ، واستمنحتُ فلانا أي طلبتُ واستدعيتُ أن يعطيني))[4].

. ((وسمّوا صدقهم على الله فرية ...)) .

((على : ليست متعلقة بصدقهم بل بفرية ... فإن امتنع أن يتعلق حرف الجرّ به لتقدمه عليه وهو المصدر فليكن متعلقا بفعل مقدّر دلّ عليه هذا المصدر))[5] .

. ((إنّ رفعةَ الذين يعلمون ما عمظمتُه أن يتواضعوا له ...)) .

((ما ها هنا بمعنى أيّ شيء ، ومَن رواه بالنصب جعلها زائدة))[6] .

. ((إنّ الدهرَ ... آخر أفعاله كأوله ...)) .

((يروى (كأول) ، ومَن رواه (كأوله) أعاد الضمير إلى الدهر أي آخر أفعال الدهر كأول الدهر فحذف المضاف))[7] .

. ((لم يمنع ضوءَ نورها ادلهمامُ سجف الليل المظلم)) .

((يروي بعض الرواة (ادلهمام) بالنصب وجعله مفعولا ، و(ضوء) بالرفع وجعله فاعلا وهذه الرواية أحسن في صناعة الكتابة لمكان الازدواج))[1] .

---

(١) شرح النهج ٧ / ٧٩ .
(٢) السابق ٨ / ٢٦٤ .
(٣) السابق ٨ / ٢٧١ .
(٤) السابق ٨ / ٢٩٥ .
(٥) السابق ٩ / ١٠٥ ـ ١٠٦ .
(٦) السابق ٩ / ١٠٧ .
(٧) السابق ٩ / ٢١١ .

. ((ليبصّرهم عيوبها ... وما أعدّ الله سبحانه للمطيعين منهم)) .

((يجوز أن تكون (ما) معطوفة على عيوبها فيكون موضعها نصبا ، ويجوز أن يكون موضعها جرّا ويكون من تتمة ما يعتبر به ، والأول أحسن))[٢] .

. ((فهم والجنة لمَن قد رآها ...)) .

((الواو في (والجنة) واو مع ، وقد روي بالرفع على أنه معطوف على (هم) ، والأول أحسن)) .

. ((تجارة مريحة يسرها لهم ربهم ...)) .

((أي تجارتهم تجارة مريحة فحذف المبتدأ ، وروي (تجارة مريحة) بالنصب على أنه مصدر محذوف الفعل)) .

. ((أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن)) .

((أما الليلَ بالنصب على الظرفية ، وروي : أما الليلُ على الابتداء .

وقوله : (تالين) منصوب على أنه حال إما من الضمير المرفوع بالفاعلية في (صافون) أو من الضمير المجرور بالإضافة في (أقدامهم)))[٣] .

. ((نحمده على ما وفق له من الطاعة ... وذاد عنه من المعصية ...)) .

((الضمير في (له) وهو الهاء راجع إلى (ما) التي بمعنى الذي ، وقيل : بل هو راجع إلى الله سبحانه كأنه قال : (نحمده على ما وفق من طاعته) ، والصحيح هو الأول لأنّ (له) في الفقرة الأولى بأزاء عنه في الفقرة الثانية ، والهاء في (عنه) ليست عائدة إلى الله))[٤] .

. ((هذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم)) .

((روي (عللهم) بالرفع عطفا على (وجوه) ، وروي بالجر عطفا على اختلافهم))[٥] .

. ((جبل جلاميدها ونشوز متونها وأطوادَها)) .

((ويروى و (أطوادِها) بالجرّ عطفا على متونها))[٦] .

. ((أنت من وراء ذلك كله وليّ الإعطاء والمنع)) .

(((ولي) مرفوع بأنه خبر المبتدأ ويكون خبرا بعد خبر ، ويجوز أن يكون (ولي) هو الخبر ويكون (من وراء ذلك) جملة مركبة من جار ومجرور منصوبة الموضع لأنه حال))[٧].

. ((منعتها منذ القدمة ، وحمتها قد الأزلية ، وجنبتها لولا التكملة)) .

((اختلف الرواة في هذا الموضع من وجهين :

---

(١) شرح النهج ١٠ / ٨٦ .
(٢) السابق ١٠ / ١١٥ .
(٣) السابق ١٠ / ١٤٢ .
(٤) السابق ١٠ / ١٦٤ .
(٥) السابق ١١ / ٤٠ .
(٦) السابق ١١ / ٥٧ .
(٧) السابق ١١ / ٢٥٦ .

أحدهما : قول مَن نصب (القدمة) و(الأزلية) و(التكملة) فيكون نصبها عنده على أنها مفعول ثانٍ والمفعول الأول الضمائر المتصلة بالأفعال ، وتكون (منذ) و(قد) و(لولا) في موضع رفع بأنها فاعل .

والوجه الثاني : قول مَن رفع (القدمة) والأزلية) و(التكملة) فيكون كل واحد منها عنده فاعلا وتكون الضمائر المتصلة بالأفعال مفعولا أولا ، و(منذ) و(قد) و(لولا) مفعولا ثانيا))[1] .

. ((نحت أعوان المنون ، وأنفسنا نصب الحتوف)) .

((نصب الحتوف : يروى بالرفع والنصب ، فمَن رفع فهو خبر المبتدأ ، ومَن نصب جعله ظرفا))[2] .

. ((ذاك الذي ضيع اشرف الخصلتين من الثلاث ...)) .

((اللام في (الخصلتين) زائدة وأصله (ضيع أشرف خصلتين من الثلاث) لأنه لا وجه لتعريف المعهود ها هنا في (الخصلتين) بل تعريف الثلاث باللام أولى ، ويجوز حذفها من الثلاث ولكن إثباتها أحسن كما تقول : قتلتُ أشرف رجلين من الرجال الثلاثة))[3] .

المصادر والمراجع

الرسائل الجامعية :

---

(١) شرح النهج ١٣ / ٧٧ .
(٢) السابق ١٩ / ٨ .
(٣) السابق ١٩ / ٣١١ .

. ابن أبي الحديد سيرته وآثاره النقدية الأدبية (رسالة ماجستير) ، عليّ جواد محيي الدين ، جامعة القاهرة / كلية الآداب ، ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .
. أبو العباس ثعلب وجهوده في النحو (رسالة ماجستير) ، جمهور كريم الخماس ، جامعة البصرة / كلية الآداب ، ١٩٨٥ .
ـ النحو في اللهجات العربية القديمة (رسالة دكتوراه) جمهور كريم الخماس ، جامعة البصرة / كلية الآداب ، ١٩٩٥ .
الكتب المطبوعة :
. ابن الحاجب النحوي آثاره ومذهبه ، طارق عبد عون الجنابي ، مطبعة أسعد ، بغداد ١٩٧٣ . ١٩٧٤ .
ـ أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، د . أحمد مكي الأنصاري ، طبع المجلس الأعلى للفنون الآداب ، دار المعرفة بمصر ، ١٩٦٤ .
. أثر القراءات في الدراسات النحوية ، د . عبد العال سالم مكرم ، الكويت ط٢ ، ١٩٧٨ .
ـ أدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي الدينوري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، ط٤ ، ١٣٨٣ هـ . ١٩٦٣ م .
. الأزهية في علم الحروف ، عليّ بن محمد النحويّ الهروي ، تحقيق عبد المعين الملوحي دمشق ، ١٣٩١ هـ . ١٩٧٠ م .
ـ أساس البلاغة ، الإمام جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار صادر بيروت ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩ م .
. الأشباه والنظائر ، أبو الفضل عبد الرحمن أبو بكر جلال الدين السيوطي ، راجعه وقدم له د. فايز ترجيسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤ م .
ـ الأصول ، أبو بكر بن السرج البغدادي ، تحقيق د . عبد الحسين الفتلي ، مطبعة سلمان الأعظمي بغداد ، ١٩٧٣ .
. الأضداد في اللغة ، محمد حسين آل ياسين ، مطبعة المعارف بغداد ، ١٩٧٤ .
. إعراب القرآن ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس تحقيق د . زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني بغداد ، ١٩٨٠ .
. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء ، خير الدين الزركلي ، ط٣ .
. الاقتراح في أصول النحو ، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، دار المعارف النظامية حيدر آباد ، ١٣٨٢ هـ .
ـ أمالي الزجاجي ، أبو القاسم الزجاجي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني القاهرة ، ط١ ، ١٣٨٢ هـ .

ـ الأمالي الشجرية ، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله المعروف بابن الشجري ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان .
. أمالي القالي ، أبوعلي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي دار الآفاق الجديد ، بيروت لبنان .
ـ الأمالي النحوية ، أبو عمر عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب ، تحقيق د . عدنان صالح مصطفى ، دار الثقافة فطر الدوحة ، ط١ ، ١٩٨٦ .
. الإنصاف في الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مصر ، ط١، ١٣٦٤ هـ ١٩٤٥ م .
. الإيضاح في علل النحو ، أبو القاسم الزجاجي ، تحقيق مازن المبارك مطبعة المدني القاهرة ، ١٣٧٨ هـ . ١٩٥٩ م .
. البداية والنهاية ، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ، مكتبة المعارف بيروت ومكتبة النصر الرياض ، ط١ ، ١٩٦٦ .
ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، الحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، ط١ ، ١٣٨٤ هـ . ١٩٦٥م
ـ البيان قي غريب إعراب القرآن ، أبو البركات بن الأنباري ، تحقيق د . طه عبد الحميد طه ومراجعة مصطفى السقا ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة ، ١٩٦٩ .
ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، ج١٦ تحقيق محمود محمد الطناحي ، وج٢١ تحقيق عبد الحليم الطحاوي .
. تاريخ الأدب العربي . القسم الثاني . العصر الإسلامي د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ .
. التأويل النحوي في القرآن الكريم ، د . عبد الفتاح أحمد الحموز ، مكتبة الرشد الرياض ط١ ، ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤ م .
. التبيان في إعراب القرآن (إملاء ما منّ به الرحمن) أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر ، ط١ ، ١٣٨٩هـ . ١٩٧٠ م .
. تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب ، أبو الحجاج يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم الشنتمري ، تحقيق د. زهير عبد المحسن سلطان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٢ .
. تشريح شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، محمود الملاح ، مطبعة أسعد بغداد ، ١٩٥٤ .
. تصحيح الفصيح ، ابن درستوية ، تحقيق عبد الله الجبوري ، مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٧٥.

ـ تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بابن حيان الأندلسي الغرناطي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٣٩٨ هـ . ١٩٧٨ م .
. التكملة لوفيات النقلة ، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن القوي المنذري ، تحقيق بشار عواد معروف ، مطبعة الآداب النجف ، ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م .
ـ الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م .
. الجمل ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تحقيق العلامة ابن أبي شنب باريس ، ط١ ، ١٩٥٧ .
ـ جمهرة الأمثال ، الشيخ أبو هلال العسكري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطان ، دار الجيل بيروت لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م .
ـ الحديث النبوي وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية ، د . محمد ضاري حمادي ، طبع اللجنة الوطنية بغداد ، ط١ ، ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٢ م .
. حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، شهاب الدين محمود الحلبي ، تحقيق أكرم عثمان يوسف ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٨٠ .
. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، شرح على شواهد شرح الكافية للرضي ، عبد القادر عمر البغدادي ، تصحيحات وتعليقات عبد العزيز الميمني الراجكوني ، المطبعة السلفية القاهرة ، ١٣٤٧ هـ .
. الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار بيروت لبنان ، ط٢ ١٩٥٢ .
. دراسات في فقه اللغة ، د . صبحي الصالح ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٠ .
. دراسات في كتاب سيبويه ، د . خديجة الحديثي ، مطبوعات جامعة الكويت ١٩٧٣ .
ـ الدرر اللوامع على (همع الهوامع شرح جمع الجوامع) أحمد بن الأمين الشنقيطي ، مطبعة الجمالية بمصر ، ط١ ، ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م .
ـ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، العلامة الميرزا باقر الموسوي الخوانساري الاصبهاني ، تحقيق أسد الله إسماعيليان ، مكتبة إسماعليان رقم ١٣٩٢ هـ .
. الروضة المختارة ، صالح علي الصالح ، مؤسسة النعمان بيروت لبنان ، ط١ ، ١٩٧٩ .
. الزاهر في معاني كلمات الناس ، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري تحقيق د . حاتم صالح الضامن ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ط٢ ، ١٩٨٧ .
. سرّ صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني النحوي ، تحقيق لجنة من الأساتذة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ، ط١ ، ١٣٧٤ هـ . ١٩٥٤ م .

. الشاهد وأصول النحو ، د. خديجة الحديثي ، مطبوعات جامعة الكويت ، ١٩٧٣ .
ـ شرح ابن عقيل على ألفية الإمام الحجة أبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، ط١٤ ، ١٣٥٨ هـ . ١٩٦٤ م .
ـ شرح الأشموني على ألفية بن مالك ، علي بن محمد الأشموني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ، ١٣٥٨ هـ . ١٩٣٩ م .
ـ شرح جمل الزجاجي ، الإمام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري المصري تحقيق د. علي محسن عيسى مال الله ، عالم الكتب بيروت ط١ ، ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥ م .
ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، الإمام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري المصري ، ومعه كتاب منتهى الأرب ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، الإدارة العامة للأزهر .
ـ شرح عيون الإعراب ، الإمام أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي ، تحقيق د. حنا جميل جواد ، مكتبة المنار الزرقاء الأردن ط١ ، ١٩٨٥ .
. شرح عيون كتاب سيبويه ، أبو نصر هارون بن موسى بن صالح القيسي المجريطي القرطبي ، تحقيق د. عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٤ .
ـ شرح الفصيح ابن هشام اللخمي ، تحقيق د. مهدي عبيد جاسم ، دائرة الآثار والتراث وزارة الثقافة والأعلام العراق ، ط١، ١٠٤٩ هـ . ١٩٨٨ م .
. شرح الكافية الشافية ، جمال الدين عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجباني حققه وقوم له د. عبد المعظم محمد هريري ، دار المأمون للتراث مكة المكرمة .
. شرح اللمع ، الإمام أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان العكبري الأسدي ، تحقيق د. فائز فارس ، السلسلة التراثية الكويت ط١ ، ١٩٨٤ .
ـ شرح المفصل ، العلامة موفق الدين يعيش بن يعيش النحوي ، عالم الكتب بيروت ومكتبة المثنى القاهرة .
. شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الجيل بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧ .
ـ الشريف الرضي وجهوده النحوية ، حازم سليمان الحلي ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد العراق ، ط٢ ، ١٤١٠ هـ . ١٩٩٠ م .
. الشواهد والاستشهاد في النحو ، عبد الجبار علوان ، مطبعة الزهراء بغداد ط١، ١٩٧٦ .

. صحيح البخاري ، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي ، شرح وتحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي ، دار القلم بيروت لبنان ط١ ، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧ م .
. صفوة البيان لمعاني القرآن ، الأستاذ حسنين محمد مخلوف ، ط٣ ، ١٩٥٥ م .
. الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط١ ، ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م .
ـ عبقرية الإمام عليّ ، عباس محمود العقاد ، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ومطبعة فير بغداد .
ـ العذيق النضيد بمصادر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ، د. أحمد الربيعي ، مطبعة العاني بغداد ١٩٨٧ م .
. علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، مطبعة جامعة الكويت ، ط١ ، ١٩٨٢ .
. علم الدلالة ، جون لاينز ، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة ، مطبعة جامعة البصرة العراق ، ١٩٨٠ .
. العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٠ .
. عيون التواريخ ، محمد شاكر الكبتي ، تحقيق د. فيصل السامر، ونبيلة عبد المنعم داود دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٠ .
. فصول في فقه اللغة ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٠ .
. الفعل زمانه وأبنيته ، د. إبراهيم السامرائي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠ .
ـ الفلك الدائر على المثل السائر ، عبد الحميد بن أبي الحديد ، تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدري طبانة ، دار الرفاعي الرياض ، ط٢ ، ١٩٨٤ .
ـ فوات الوفيات والذيل عليها ، محمد شاكر الكبتي ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٤ .
. القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، د. عبد العال سالم مكرم ، الكويت ، ط٢ ١٩٧٤ .
ـ القصائد السبع العلويات ، عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي ، شرح العلامة السيد محمد صاحب المدارك ، دار الفكر بيروت ، ١٩٥٥ .
. القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة ، محمد عاشور السويح ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان الجماهيرية الليبية ، ط١ ، ١٩٨٦ .
. الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي ، تحقيق لجنة من المحققين الأشراف ، مؤسسة المعارف بيروت .

. كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون عالم الكتب بيروت ، ط٣، ١٩٨٣ .
. لسان العرب ، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر بيروت ، ط١ ، ١٣٠٠ هـ .
ـ اللغة ، فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو مصرية ١٩٥٠ .
. اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس ، دار الكتب المكتبة الفنية الحديثة ، ط٤ ، ١٩٧٣ .
. اللهجات العربية الغربية القديمة ، رابين ، ترجمة عبد الرحمن أيوب ، جامعة الكويت ١٩٨٦ .
. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق د. احمد الحوفي و د . بدوي طبانة ، دار الرفاعي بالرياض ، ط٢، ١٩٨٣ .
. مجالس ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف القاهرة النشرة الأولى ، ١٩٤٨ .
. مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، ط٢ ، ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩م .
ـ مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، دار الرسالة الكويت ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م .
. المدارس النحوية ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .
. مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها ، د . عبد الرحمن السيد ، ط١، القاهرة .
ـ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، د. مهدي المخزومي ، مطبعة دار المعرفة بغداد ، ١٣٧٤ هـ . ١٩٥٥م .
. المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، شرح وتعليق محمد جاد المولى بك وآخرون ، المكتبة المصرية بيروت ، ١٩٨٧ .
ـ المسائل العسكريات في النحو العربي ، أبو علي النحوي ، دراسة وتحقيق د . علي جابر المنصوري ، مطبعة جامعة بغداد ، ط٢ ، ١٩٨٢ .
ـ المسند ، الإمام الحافظ أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ، تحقيق عبد الرحمن الأعظمي المدينة المنورة ، ١٣٨١هـ .
. مصادر نهج البلاغة ، عبد الله نعمة ، مطابع دار الهدى لبنان بيروت ١٣٩٢هـ . ١٩٧٢
ـ مصادر نهج البلاغة وأسانيده ، الخطيب عبد الزهراء الحسيني ، مطبعة القضاء النجف الأشرف ١٣٨٦هـ . ١٩٧٢م .

ـ المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، عرض القوزي الرياض ١٩٨١ .
. معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، ج١ تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٥ ، وج٢ تحقيق محمد علي النجار الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ، وج٣ تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي مراجعة علي النجدي ناصيف الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .
ـ معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، عمر رضا كحالة مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .
. مع نهج البلاغة ، د. إبراهيم السامرائي ، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان ،ط١، ١٩٨٧ .
. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري المصري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني القاهرة .
. المفصل في تاريخ النحو ج١ قبل سيبويه ، د. محمد خير الحلواني ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩ .
. المفصل في النحو ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، نشره جي بي بروش في كريستينا ١٨٤٠ م .
. المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب بيروت ١٩٦٣ .
ـ منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، الإدارة العامة للأزهر .
ـ منهج الأخفش الأوسط في الدراسات النحوية ، د. عبد الأمير محمد أمين الورد ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت ومكتبة دار التربية بغداد ، ط١، ١٩٧٥ .
. موقف النحاة من الاحتجاج في الحديث الشريف ، د. خديجة الحديثي ، دار الرشيد للنشر بغداد ، ١٩٨١ .
ـ النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، عباس حسن ، دار المعارف بمصر ، ط٥ ، ١٩٧٥ .
. النشر في القراءات العشر ، الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي المشهور بابن الجزري ، تصحيح ومراجعة علي محمد الصالح ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر .
. نهج البلاغة ، علي بن أبي طالب ، تحقيق د. صبحي الصالح ، بيروت ، ط١، ١٣٨٧هـ ١٩٧٦ م .

. نهج البلاغة ، شرح الشيخ محمد عبده ، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .
. همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، عنى بتصحيحه محمد بدر الدين الغساني ، طبع محمد أمين الخانجي بمصر ، ط١، ١٣٢٧ هـ .
. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت لبنان ز
المجلات والدوريات :
. مجلة آداب المستنصرية ، منهج التحليل اللغوي ، د. سمير ستيتية ، ج١٦ ، لسنة ١٩٨٨ .
ـ مجلة الأستاذ ، شكوك الرضي وابن أبي الحديد في بعض نصوص نهج البلاغة ، د. صفاء خلوصي ، كلية التربية ، مجلد ١٠ لسنة ١٩٦٢ .
. مجلة كلية اللغة العربية ، نهج البلاغة بين الإمام علي والشريف الرضي ، د. عبد الفتاح محمد الحلو ، الرياض ، ع٥، لسنة ١٩٧٥ .
. مجلة لغة العرب ، بعض مستندات عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة مصطفى جواد ، مجلد ٩ ، ج٧، ١٩٣١ .
مجلة المجمع العراقي ، مصادر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، د. صفاء خلوصي مجلد ٩ لسنة ١٩٦١ .
ـ مجلة المعرفة ، عبد الحميد بن أبي الحديد شارح نهج البلاغة ، مصطفى جواد السنة الثانية ج٢٩ آذار ١٩٦٢ .
. مجلة المعلم الجديد ، الكنوز الدفينة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، د. صفاء خلوصي ، مجلد ٢٤ ، ج٤.٣ لسنة ١٩٦١ .